

تاريخ المدينة السودانيّة – المكان والإنسان

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

سلسلة الدراسات التوثيقية 14

تاريخ المدينة السودانيّة

المكان والإنسان

إشراف

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبّا

الكتاب : تاريخ المدينة السودانية - المكان والإنسان - ج 1
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution
جوال : -00249910785855 00249121566207
arithriaforpublishing@gmail.com

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾

(يس - 20)

الفهرست

الفصل الأول:

مدينة الخرطوم وسكانها في أدب الرحالة:

الرحلـة العلمية للفريـد إدمونـد بريـم (1852-1847) 7

الفصل الثاني:

تاريـخ مدينــة الأُبيِّــض 34

الفصل الثالث:

نشـأة وتطـور مدينـة طابـت الشـيخ عبـد المحمـود 52

الفصل الرابع:

مدينــة الفـاشــر (الأصــالة والتاريــخ) 81

الفصل الخامس:

إقليم مدينة شمبات

دراســة في جغرافيــة العمــران (1963 - 2019) 104

الفصل السادس:

مدينة ودمدني

(دراسة تاريخية في التطور السياسى والاقتصادي والاجتماعي)(1504 - 1989م) 122

الفصل السابع:

نشـأة مدينة مروي (دراسـة في العوامل الجغرافيـة والاجتماعيـة) 152

الفصل الثامن:

مـن تاريـخ مدينة أم درمـان الحضـاري (شـواهد أثريـة) 187

الفصل التاسع:

التطـور الاجتماعـي الاقتصـادي لمدينـة المناقـل 209

الفصل العاشر:

مدينة سواكن (دراسة تاريخية تحليلية) 253

الفصل الأول

مدينة الخرطوم وسكانها في أدب الرحالة:

الرحلة العلمية للفريد إدموند بريم(1847-1852)

مدينة الخرطوم وسكانها في أدب الرحالة:
الرحلة العلمية للفريد إدموند بريم(1847-1852)

د. حماد محمد حامدين
قسم الآثار- جامعة النيلين

أ. أروى علي حسن
طالبة دراسات عليا قسم الآثار – جامعة الخرطوم

مقدمة:

للرحالة دوافع كثيرة للقيام برحلهم وتجوالهم حول العالم قاصدين أماكن ومدن بعينها، وأيًا كانت دوافع الرحالة المعلنة منها والخفية فقد أتصف أغلبية الرحالة ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق كما حرص معظمهم على التفرقة بين المشاهدة والرواية عن تسجيل معلوماتهم، هذه كلها سمات قد أصبحت الآن بمثابة قواعد أساسية في منهجية البحث في الدراسات الأثنوغرافية ودراسات أدب الرحالة[(1)].

جذب السودان منذ القدم العديد من الرحالة لشد الرحال إليه، لأسباب ودوافع تختلف باختلاف الرحالة والزمان الذي جاؤوا فيه إلى السودان والأماكن التي كانوا يقصدونها، ولقد ضم أدب الرحالة في السودان إشارت كثيرة للمدن السودانية ومن ضمن هذه المدن كانت مدينة الخرطوم التي نالت حظًا وافرًا من الوصف عند أحد أهم الرحالة الألمان الذين زاروا السودان في الفترة من ١٨٤٧-١٨٥٢م ألا وهو الرحالة الفريد إدموند بريم ورحلته العلمية للسودان، والتي كانت إحدى نتائجها جمع أكثر من ألف وأربعمائة نوع من أنواع الطيور بالإضافة إلى الحيوانات الأخرى والتي قدمها إلى حديقة الحيوان في برلين، هذا بالإضافة إلى رسومات الطيور والحيوانات ودراسته والتي شكلت بصورة أو أخرى مرجعًا لا غنى عنه لدراسات علم الحيوان والطيور للكثير من الباحثين في ألمانيا.

وإن قمنا بعمل استطلاع صغير للرحالة الألمان، بمعنى الرحالة الذين سجلوا مشاهداتهم باللغة الألمانية أو كانوا ألمانيي المنشأ، بحيث يدخل السويسريون والنمساويون في هذا الأمر نجد أسماء كالرحالة إدوارد ربل Edward Ruepple الذي تجول في مناطق شمال

السودان وفي كردفان بغرب السودان ما بين عامي ١٨٢٥-١٨٣٦م والسيد فون هويجلينVon Heuglin الذي قصد إفريقيا الشمالية والبحر الأحمر عام ١٨٦٠م، ومبعوث امبراطورية النمسا السيد أنتون فون بروكشAntun Von Prokeshمابين عامي ١٨٢٦-١٨٣٣م والجيولوجي النمساوي جوزيف فون روسيجرJosef Von Russegger بين عام ١٨٤٦-١٨٤٩م ومن الرحالة الفريد إدموند بريم الذي وجدت مشاهداته وخلاصاته اهتمامًا أكبر من قبل الباحثين مستقبلًا لطابعها العلمي والبحثي في مجال البحث البيولوجي والجيولوجي[٢]وهنالك غوستاف ناختيقال ووليم يونكر وغيرهم.

والجدير بالذكر نجد أن الفريد إدموند بريم لا يعد من الرحالة المعروفين لدارسي الآثار وأدب الرحالة في السودان ولم يحظِ بالاهتمام بقدر الآخرين بعد، ولعل ذلك ربما يرجع إلى أن نص الرحلة كان مكتوبًا باللغة الألمانية في شكل يوميات ولم ير النور إلا في عام ٢٠١٠م بعد ترجمته إلى العربية بواسطة النور عثمان أبكر، وبرغم بعض الأخطاء في ترجمة عنوان الكتاب ويوميات بريم، إلا أنه يعتبر جهدًا مقدرًا منه لنقل هذا اليوميات من الألمانية إلى العربية. وكذلك من الأسباب نجد أن طابع الرجل ورحلته كان طابعًا علميًا حيث تم الاهتمام به من قبل دراسي العلوم الطبيعية خاصة البايولوجية منها" علم الحيوان خاصة الطيور" أكثر من دارسي العلوم الإنسانية. وسوف تركز هذه الورقة على الفصل الخامس من يوميات الرحالة الفريد إدموند بريم والتي كانت بعنوان "الخرطوم وسكانها" حيث قام بوصف مدينة الخرطوم وسكانها وصف دقيقًا، وبالتالي خلف لنا مصدرًا مكتوبًا عن مدينة الخرطوم في الفترة ١٨٤٧-١٨٥٢م وهو الأمر الذي يساهم في معرفتنا لتاريخ المدينة السودانية من حيث المكان والزمان والإنسان.

الفريد إدموند بريم:

الفريد إدموند بريم من مواليد عام ١٨٢٩م في رينتيندروفRentendrof في تورينغين Thuringen، كان أبوه من رجال الدين ومن الذين عملوا في مجال الأبحاث العلمية وبخاصة في حقل البحث العلمي المتعلق بالطيور، حَط الفريد بريم رحاله بالقاهرة أولًا في نهاية سبتمبر عام ١٨٤٧م ثم انطلق بعد ذلك إلى السودان وبعد مضى مائة يوم من السفر وصل إلى الخرطوم في السابع من يناير لعام ١٨٤٨م. من ثم بدأ رحلة الصيد في الغابات على ضفاف النيل الأزرق والأبيض التي دامت قرابة سبعة شهور طاف خلالها في كردفان إلى أن عاد إلى الخرطوم مرة ثانية في نهاية أغسطس محملًا بالحيوانات والطيور منها ما كان قد نفق ومنها لا يزال حيًا وغادر بعدها متوجهًا إلى القاهرة مرة ثانية وقد بلغها في نهاية أكتوبر عام ١٨٤٨م. في العام ١٨٤٩م عاد إلى السودان بصحبة أخيه أوسكار الذي مات في

دنقلا غرقًا في النيل، وبلغ هو الخرطوم لا يملك شيئًا وكان مريضًا جدًا وقضى فترة نقاهة في رعاية المحافظ العثماني والذي تفضل عليه بكرمه وقدم له مبلغًا من المال من دون مردود واستطاع بهذا المال أن يحقق رغبته للقيام برحلة صيد على ضفاف النيل الأزرق مر فيها بكل من سنار والروصيرص ووصل حتى الحدود الإثيوبية، جمع خلالها أكثر من ألف وأربعمائة نوع من الطيور. بعد عودته قضى بريم الصيف كله في الخرطوم حيث بدأ ينسق وينظم رسوماته ومخطوطاته التي كانت حصيلة رحلته، ثم أقرضه لطيف باشا المحافظ العثماني آنذاك مبلغًا من المال من خزينة المدينة حتى يتمكن من العودة إلى القاهرة حيث قضى الشتاء بها ومن ثمة عاد إلى ألمانيا محملًا بمجموعة كبيرة من الطيور والحيوانات التي قدمها إلى حديقة الحيوان في برلين وقد استمرت رحلته هذه قرابة الخمس سنوات [٣].

درس بريم العلوم الطبيعية وعلم الحيوانات في مدينة Jena بشرق ألمانيا وفي فينا Wien عاصمة النمسا حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة وكان عضوًا في أكاديمية القصر العلمية للباحثين في علم الطبيعة. وقد عمل مدرسًا في المراحل الثانوية بمدينة لايبتسيغLeipzig وله عدة منجزات وأبحاث عملية منها " حياة الحيوان" و" علم في حياة الطيور" و" رواق الحديقة" و"عالم الطيور" و"حيوانات الغابة" وهذا الأخير كان سبب شهرته، ثم نشر " مصور عالم الطيور" تنقل في رحلاته العلمية ما بعد السودان ومصر في ألمانيا والبرتغال وأسبانيا وبعد آخر رحلة له في جنوب أمريكا توفى في ١١ نوفمبر ١٨٨٤م عن عمر يناهز الخامسة والخمسين عامًا [٤].

وصف مدينة الخرطوم:

في وصفه لمدينة الخرطوم أشار بريم إلى أنه " ..كانت ثمة قرية صغيرة تسمى الخرطوم علي ملتقى النيلين الأزرق والأبيض، وقد اختيرت لتكون عاصمة مملكة السودان وفي سنة ١٨٢٣م بنيت أولى القطاطي للجنود على مسافة قريبة من القرية وعلى ضفة النيل الأزرق لجودة مياهه كمياه للشرب..."[٥].

" .. وقبل أن يدخل المرء المدينة يمر بمنطقة ترابية مغطأة بالطحلب والأعشاب النتنة وسد بني لحماية المدينة من فيضان النهر، وهكذا يدخل المرء المدينة من شارعها الرئيسي الذي يفضي إليه هذا الطريق، وهذا الشارع يشق المدينة من الغرب إلى الشرق ويدخل سوقها ويغني وصف أي شارع في الخرطوم عن وصف بقية شوارعها، فهي ترابية مغبرة في زمن الجفاف ومليئة بالحفر وبرك المياه في موسم الأمطار، وتطغى عليها في كل الأوقات رائحة نتنة وحرارة شديدة فوق تصور أي إنسان متحضر وتؤدي الشوارع كلها إلى السوق أو إلى إحدى البنايتين الحكوميتين وهي ليست بالشوارع العريضة إلا في ما ندر، بل هي

بالأحرى ضيقة وملتوية وليست هنالك ميادين عامة في المدينة وإن وجدت فهي غير ذات جدوى" [٦].

"... وتفصح المدينة القائمة اليوم بوضوح عن الكيفية التي بدأت بها، فالناس قد بنوا أول الأمر وفق هواهم ودون أي خطة شاملة، وقد استغل ذلك كل من بنى، ولذا تجد الحدائق الكبيرة وسط المدينة وتفتقد الإحساس بأن يكون البناء قد تم وفق خارطة للمدينة..."[٧].

المنازل وطرق بنائها:

أما عن منازل الخرطوم في تلك الفترة وعن طرق ومواد بنائها فقد أوضح بريم أن ".... المنازل من طابق واحد أرضي في الأعم، وسقوفها مسطحة ويكون كل بيت كبير وحدة واحدة مقفولة في ذاتها فيما لو كان مُلكًا لتركي أو قبطي أو عربي ثري، ويتكون كل منزل من قسمين منفصلين قسم للرجال وآخر للنساء أو الديوان أو الحريم كما يقولون في مصر، ويتم بناء الدانقة وجمعها دانقات بطريقة غير منتظمة منذ البداية والدانقة هي المنزل المبني من التراب..."[٨].

كذلك أشار "... ويحتفر التراب اللازم لعمل الطوب الأخضر قريبًا من مكان البناء، ثم يترك الطوب ليجف تحت الشمس. ونسبة لطغيان الحرارة يجف هذا الطوب سريعًا ويمسى صالحًا للبناء. وتقوم الجدران لارتفاع معلوم ثم تجهز لبناء السقف. والسقف هو أكثر ما يعتنى به من أجزاء البيت، ولذا فهو أكثر كلفة، وقد يقام على كمرين سميكين متينين من خشب السنط، وقد وضعا في الحائط على مسافة قدم ونصف أو قدمين، ويعارض فوقهما عدد من العيدان الرفيعة المرصوصة في تلاصق وتجاور، وتسمى الرصاص وتجلب عادة من غابات بعيدة. ويوضع فوق هذا الرصاص صفان من البروش المصنوعة من سعف النخل وفوق هذا يتم وضع ما يجعل السقف مانعًا للماء من التسرب إلى داخل الغرفة، وهو بناء طبقة ترابية بسمك عدة بوصات تدك جيدًا وتسطح. وبعد كل عاصفة رعدية ممطرة يشاهد المرء سكان الخرطوم منهمكين في إصلاح سقوف منازلهم. وغالبًا ما تكون سبلوقة تصريف الماء مسدودة، وفي هذه الحال تتجمع المياه في السقف في بركة وتتسرب إلى الداخل. وقد تتسبب في هدم البيت كله. ولقد حدث أن مات كثيرون بسبب انهيار سقف البيت..." [٩].

"... والمنزل من الداخل يشبه خارجه. فالأرضية من تراب مكوك وتفرش بالحصير وتوضع عليها مساند للجلوس، وفيما ندر يجد المرء ما يزين الجدران الداخلية الترابية المسطحة، والتي تطلى بالجير الأبيض في بعض المنازل والنوافذ فتحات عليها قضبان متقاربة أو متباعدة ومثلها الأبواب والتي لا يمكن إغلاقها إلا في بعض المنازل. ولا يرى المرء قفلًا أو ترباسًا أو أي شيء من الحديد، وحتى الأقفال الخشبية المصرية العادية قليلة ونادرة..." [١٠].

كذلك أيضًا أشار إلى إيجار المنازل وما فيها من مشاكل حيث قال: "... وأسوأ ما في الخرطوم هو ما يعانيه القادم الجديد إليها من جهة السكن فعندما يستاجر الغريب منزله فإنه يعطى دائمًا أسوأ بيت لأن المنازل الأفضل قد استأجرها من هم أطول إقامة منه، ومن ثمة عليه أن يقوم بتجهيز كل شيء، لأن صاحب البيت لا يقدم له أكثر من الحيطان الأربعة. عليه أولًا أن ينظفه من الداخل من الحشرات والهوام فكل الزوايا المعتمة تأويها في مواسم الأمطار العقارب والثعابين والسحالي القبيحة والزنابير وما هو أسوأ. وعلى المرء ألا يدخل أو يخرج من أي غرفة دون أن يحمل نورًا في الأمسيات لوجود هذه وخطرها. وقد وطئت قدمي ثعبانًا سامًا للغاية في مدخل مظلم لكن لحسن الحظ كان منشغلًا بابتلاع طائرين من السنونو كان قد قتلهما. إن المرء يعتاد رؤية العناكب الضخمة والعقارب فيراعي الاحتياطات اللازمة لسلامته. أما الضب الذي يخرج ليلًا ويتجول ملتصقًا بأرجله على الحيطان أو السقف فهو ذو فائدة فعلية، ويرتاح المرء لما يصدره من صوت. وعلى النقيض منه تلك الحشرات التي تدخل وتسرح وتمرح في الغرف نهارًا كالذباب وليلًا كالبعوض فالنوافذ مشرعة لها، مما يجعل المرء يقاسي الأمرين نهارًا من الذباب وليلًا من الناموس دون أن يستطيع أن يفعل شيئًا.." (١١).

المباني العامة:

كان في الخرطوم في تلك الفترة التي زارها عدد قليل من المباني العامة حيث أورد أن"... الخرطوم فقيرة من ناحية المباني العامة، وهي في الواقع تنحصر في منزل الحاكم العام ومدير أو محافظ الخرطوم والبازار والمستشفى العسكري، وهي مبان حكومية يجدد بناؤها مرارًا. وهي تفي بأغراضها إلى حد كبير وإذا أراد المرء أن يضيف بعض المؤسسات الخاصة إلى المباني العامة يمكنه أن يعد الكنيسة القبطية والكنيسة الكاثوليكية والمدرسة المسيحية التابعة للكنيسة الكاثوليكية." (١٢).

منزل الحاكم العام:

ومن المباني العامة والرئيسية والتي تعتبر معلمًا مهمًا كان هنالك مبنى الحاكم العام حيث أورد بريم "... ويقع بيت الحاكم العام في الجزء الشرقي من المدينة على ضفة النيل الأزرق مباشرة، وله ميدان واسع أمامه، لا اسم له يحمله، وفي زمن لطيف باشا (١٨٥٠-١٨٥٢م) ألحقت به إضافات وتحسينات وكان فيما مضى مثل بيوت الخرطوم مبنيًا من الجالوص، أما الآن فإن جدرانه الأرضية من الطوب الأحمر، ويتكون من قاعة استقبال أو ديوان الباشا ومكاتب موظفيه وغرفات سكنى عماله والإرشيف وعدد من السجون وحرس قوي ومكان حريمه وتحيط به حديقة حسنة..." (١٣).

وكذلك هنالك المستشفى العسكري "... وبفضل جهود الأطباء الأوربيين، فقد جهز

المستشفى العسكري بشكل يرضي المرضى. عنابر المرضى عالية، نظيفة، متجددة الهواء، والعناية الطبية مرضية وقيام الأطباء بالعلاج حسن جدًا إذ على الأقل انتهى زمن الدجالين ومدعيي الطب. ولكن لم يتم مع الأسف عزل القشلاق عن المستشفى، وهي مبانٍ فقيرة وقد خصصت لسكنى الجند المساكين وعوائلهم ..."[١٤].

السوق:

أيضًا من معالم مدينة الخرطوم في تلك الفترة سوقها "... وككل مدن المسلمين فإن السوق هو مركز المدينة الاجتماعي . ولذا رتب بعناية، وبه الجامع وعدد من البازارات وقد بني الجامع من الطوب وهو حسن المنظر رغم بساطة بنائه، أما المئذنة فهي من اللبن وليس بها أي تزويق وبالقرب من الجامع صالتان مهمتان للبيع، وبين الصالتين يوجد سوق الرغيف، وهنا يجلس الخبازون المصريون تحت مظلات شمسية ضخمة، ويعرضون رغيف القمح بينما تبيع السودانيات الكسرة والقراصة لأهل البلد، وتجاور سوق الرغيف أسواق اللبن والفاكهة والخضروات ووسطها تقوم المشنقة. والفظيع في الأمر أن الناس تغدو وتروح في شراء حاجياتها عندما يشنق إنسان، ولا يبدو أن الجنائنية أو بائعات السمن يكترثون لذلك، ومن هنالك يعبر المرء من سوق العيش إلى سوق التبغ (التنباك) الذي يجاوره سوق السمن والعلف وتوجد الذرة والقمح مفروشة على الأرض الجرداء ويباع التنباك في زقاق ضيق يملأ هواءه غبار التبغ الجاف، وفي سوق السمن يباع الودك المستخلص من شحم البقر أو الغنم وهو يستخدم للدلكة ... ويباع القش اليابس والقصب وأعلاف أخرى"[١٥].

الحدائق العامة:

وبالنسبة للحدائق والجنائن في الخرطوم فقد ذكر "... والحدائق القائمة على ضفة النيل الأزرق هي بهجة الخرطوم. فخضرتها الزاهية تسر الناظرين خاصة، حيث تحيط بالمدينة مساحات جرداء، وفاكهتها منتعشة مقارنة مع بعض أشجار أواسط إفريقيا التي لا تحمل ثمراً، ويوجد بهذه الحدائق العنب والليمون والتين والتين الشوكي والموز والقشطة . أما أشجار النخيل فهي عند نهاية حدها الجنوبي وحتى إن كانت من النوع الجيد فهي ليست جيدة الثمر هنا"[١٦].

سكان الخرطوم:

أورد بريم بعض القبائل والإثنيات التي كانت موجودة في الخرطوم في تلك الفترة حيث ذكر "تسكن الخرطوم عناصر مختلفة وإن لم تكن مختلطة كما في القاهرة ويمكن تقدير سكانها بحوالي ثلاثين ألف نسمة منهم قرابة الثلاثة آلاف من السود في الخدمة العسكرية،

ونجد في الخرطوم الأتراك والأوربيين والإغريق واليهود والقالا وأربعة أو خمسة أجناس من السود كالفور والشلك والدينكا ومن تقلي وأعالي النيل الأزرق. وكان الترك الموجودون في شرق السودان ومصر محتقرين من أبناء بلدهم لتخليهم عن عاداتهم ولكنهم مع ذلك أرفع رتبة من وجهة نظر أخلاقية من الأوروبيين الموجودين بالخرطوم لأن الأخيرين باستثناء قلة هم حثالة شعوبهم. والإغريق واليهود هم كما هم في بقية أنحاء العالم، أما المصريون فقد احتفظوا بتقاليدهم وعاداتهم"[١٧].

" ونقصد بالسودانيين كل الذين يعمرون أراضي النيلين الأزرق والأبيض وهم سمر في اللون وقبل قرون عديدة امتزج سكان السودان الأصليون -الفونج – مع الشعوب المحيط بهم ولذا فإن المرء لا يستطيع أن يتحدث عن عنصر خالص وفي الوقت الحاضر، يعتبر الأحباش المقيمون في السودان والنوبيون المهاجرون في عداد السودانيين. ويمكن تقسيم السكان إلى اهل مدن وقرى صغيرة وبدو رحل، من الرحل الحسانية وبنو جرار والكبابيش والبشارية والبقارة وآخرون وهم يختلفون في السمات الجسمانية والعادات والتقاليد بعض الاختلاف، لكنهم بحكم نوع الحياة التي يحيونها لا يمكن الخلط بينهم وسكان المدن والقرى المستقرة. والسودانيون كلهم أحرار بالمولد ولا يجوز بيعهم كرقيق"[١٨].ولكن من الأشياء المهمة التي أشار إليها بريم هنا هي عدم القدرة على الحديث عن عنصر عرقي خالص في الخرطوم في تلك الفترة، وهذه إشارة إلى التمازج والانصهار العرقي لهذه الإثنيات العرقية من زمن بعيد.

السمات الجسمانية :

أما من ناحية السمات الجسمانية فقد ذكر بريم " أن السودانيين عادة ذوي قامات مربوعة أو طويلة، أقوياء وبهم طاقة هائلة على التحمل أحيانًا، ورجالهم أجمل من نسائهم"[١٩].

ملابس الرجال:

من الأشياء التي لفتت انتباه بريم هي ملابس الرجال والنساء، وقد ذكر في وصفها " ...فالرجال يلبسون السراويل الفضفاضة البيضاء التي تصل إلى الركبة أو أدنى ويسمون السروال "اللباس"، ويلبسون الفردة -الثوب- التي يبلغ طولها ستة عشر قدمًا وعرضها أربعة أقدام وهي من القطن ورمادية اللون، وبها خطوط حمراء أو زرقاء في الحاشية، وينتعلون الصندل، ويغطون الرأس بالطاقية، وترى على الذراع الأيسر سكينًا بيتها من الجلد مربوطة بسير من الجلد المضفور، كما يغلب أن يلبس الواحد منهم أكثر من حجاب في شكل أسطوانات من الجلد، ولا يخلع الرجل حجباته أو سكينه وتستخدم السكين في الأغراض العادية أو للدفاع عن النفس كما أن الحجاب يجد منهم كل تقدير ويؤمنون بأن الآيات القرآنية المكتوبة في ورق الحجاب تحمي من أمراض كثيرة. ويلبس بعضهم المحفظة وهي من جلد ولحفظ

النقود والأوراق المهمة وبها خمسة جيوب، وهي مشغولة وحسنة، كما يرى بعضهم يحمل السبحة ومحركًا حباتها دون تفكير بين أصابعه. وهم يحلقون شعور رؤوسهم من حين إلى آخر، والموس التي تستخدم سيئة، وتشحذ على جلد المركوب -الصندل، ومن حين إلى آخر يشاهد المرء كظاهرة من زمن ماضٍ سحيق جماعة من البدو من جهة أتبرا أو داخل الجزيرة بشعورهم الطويلة التي ترتفع إلى ست بوصات، وتدهن بالودك، ويشكون فيها خلالين من خشب أملس طول أحدهما تسع بوصات ومقابضها حسنة الشكل، ويستخدم هذا الخلال لجلب الراحة للرأس المليء بالقمل"[٢٠].

وصف نساء الخرطوم وملابسهن:

أما وصف نساء الخرطوم وملابسهن فقد أشار إلى أنه "ويمكن وصف نساء الخرطوم بالقبح فهن يدقن شفاههن ويضعن عليها زرقة على غرار نساء البادية وملابسهن بسيطة ولا تختلف إلا قليلًا من مكان إلى آخر ... وملابس النساء بمثل بساطة ملابس الرجال فالصبايا يلبسن الرحط حتى يتزوجن، وهو مصنوع من مئات السيور الجلدية وموشى بأهداب كما بالودع وهو رمز إلى عذرية الفتاة، ويستبدل يوم زواجها بمئزر قطني، وتلبس المرأة الحجاب لا كالرجال على ذراعها بل تتركه يتدلى بسيور جلدية تحت المئزر، وتعتقد في قدرة الحجاب على حمايتها من أمراض عديدة وخاصة ضد العقم، كما يلبسن الفردة أيضًا ولكن بطريقة مختلفة عن الرجال. والفردة النسوية من قماش يختلف وهي من نسيج شفاف يبرق من تحته لون البشرة السمراء ويلف الجلد والجسد بها حتى القدمين ويبقى الوجه وحده مكشوفًا وينتعلن الصنادل ويلبسن زمامًا من النحاس أو الفضة في الأنف، وكان من الذهب فيما مضى، ويبدو الوجه بهذا الزمام والشفة الموشومة منفرًا للغاية ويود المرء لاعتبارات جمالية لو أن الوجه قد خلا منها. وكما في كل مكان آخر فإن النساء في السودان يبحثن عن كل ماهو باذخ، ولذا فإن الصندل النسائي مكلف أكثر من صندل الرجل، كما أن كوافيرهن،المشاط، مكلف جدًا وتقوم به نسوة خبيرات به، ويستخدم في دهن الشعر الودك ومواد زكية الرائحة "[٢١].

الاعتناء بالجسد:

وكان كل من الرجال والنساء يقومون بالعناية بأجسادهم وذلك عن طريقة المسوح واستخدام الدلكة حيث ذكر بريم " ويعتني الجنسان بالمسوح وتدليك الجسم من حين إلى آخر لحماية الجلد من التشقق واليبوسة، وحفظه لينًا، وقد أكد لي الأطباء الأوربيين الذين قضوا وقتًا طويلًا بالسودان أن ترك الدلكة والمسوح يصيب الجسم بأمراض جلدية ويستخدم النوبيون والسود هذه الدلكة التي تكسب جلد السود لمعانًا وبريقًا لا مثيل له في أوروبا. إن نساء السود يكتسبن نعومة في الجلد بدرجة عالية لا تعرفها نساء أوروبا وكانت العادة قديمًا

في السودان أن تقوم إحدى الجواري بتدليك الضيف العزيز، والدلكة مثل دهن الرأس تأسن بعد حين وتصبح ذات رائحة مقيتة " [٢٢].

الدين والتدين عند السوداني:

أما فيما يتعلق بالدين والمسائل الدينية "..ليس لديهم كمسلمين أي تشريع منصوص في الوقت الحاضر، فالقرآن عندهم هو الكل في الكل، إنه يعلمهم أن يستبينوا الحلال من الحرام، الخير والشر، ويحدد عقوبات المخالفات، وبه القوانين التي حكم بها محمد - صلى الله عليه وسلم- جنوده ورفاقه وتابعيه. ومما يؤسف له أن هذا الكتاب الديني الممتاز قليل التداول في السودان. ولهم جامع في بلادهم الشاسعة -الخرطوم، ولا يعرفون من دينهم إلا المسائل الأساسية وبشكل تقليدي. فهم مسلمون اسمًا دون معرفة بالشريعة أو فهم لها وحين يقومون ببعض الفروض يحسبون أنهم قد قاموا بالكثير.."[٢٣].

الشخصية السودانية الإيجابيات والسلبيات:

في تناوله لسلوك الشخصية السودانية أورد بريم العديد من المظاهر الإيجابية ".. تشبه شخصية السودانيين المعاصرين شخصية نصف المتمدنين، ولكنها اكتسبت عبر ديانة ممتازة بالنسبة لظروفهم بعض الخصائص النبيلة. وعندما يأخذ المرء الجوانب المضيئة والمظلمة في حياتهم ويقابل بينها فإنه يستطيع أن يجزم بلا تردد أنهم في الأصل أناس خيرون، كرماء للضيف، يقدمون القرى للغريب بغض النظر عن فقرهم أو ثرائهم، فهم لا يدركون أنهم فقراء، ويعينون المحتاج ويطعمون الجائع. وهم يرعون العهد ولا يتنكرون لكلمة قطعوها وعدًا، ويرعون ما عهد إليهم من أمانة أكثر مما لو كان ملكًا لهم، ويحبون أطفالهم ويحترمون الوالدين، ويعتبرون حسن الضيافة من الواجبات المقدسة، ويقومون بها في حرص وصرامة"[٢٤].

أما السلبية في السلوك السوداني".. ولكن هناك السوداني الذي يكذب، ويخدع، ويسرق متى تمكن من ذلك وهو نهم للذة الحسية، وكسول، وأحمق، ولا يحب العمل، ومهمل. والسودانيون عمومًا مثل كل الشعوب الجنوبية متهورون وسريعو الهيجان، ومازالوا بالثقافة والعادة أبناء الطبيعة بالسليقة. وهم يشتعلون غضبًا كالقش ويقومون بأي عمل دون تدبير، لكنهم يندمون على ذلك بعد وقت قصير. وكان القتل في الماضي أمرًا عاديًا، لكن الحكومة قد فرضت عقوبات صارمة حدت منه. وقبل الحكم التركي كان الثأر شيئًا عاديًا متفشيًا، وكان القتل والضرب المميت من الأمور اليومية. وكانوا يسوون أمورهم فيما بينهم. ومازالوا يفعلون حتى يومنا هذا عندما يرون أن الحكومة لن تعرف. وما كان ملوكهم يهتمون كثيرًا بخصومات رعيتهم الشخصية، ولذا يستغربون تدخل الحكومة الحالية فيها، فهي صغائر لا تخصهم في ظنهم... ينغمس السوداني في الملذات الحسية، وهو خامل، كسول، مهمل، أحمق. وهو

بسيط في ملبسه، مقل في صرفه على طعامه، مبذر في الصرف علي فتيات الهوى، وهن في الغالب من الجواري اللائي اعتقن أو بناتهن، وهو كثير السكر بالمريسة "[٢٥]. لعل هذه الوصف فيه أسلوب انصافي واضح حيث التوازن ما بين الإيجابية والسلبية لسلوك الشخصية السودانية ولعل هذا الأمر مفقود في العديد من أدب الرحالة في السودان.

ختان الإناث:

أما بالنسبة إلى مسألة ختان أو خفاض البنات فقد ذكر بريم "... خفاض الفتاة فهو ليس شرعًا محمديًا وهم يمارسونه وغالبًا ما تتم العملية الفظيعة والفتاة بنت خمس أو سبع سنين، وتأخذها النسوة العجائز ويجرين بموس خفض الأجزاء المعنية وبذا يلحقن بالفتاة آلامًا فظيعة، وغالبًا ما تظل الفتاة لمدة أربعة أسابيع ورجلاها مقيدتان معًا فوق العنقريب، قبل أن يبرأ جرحها. كما في ختان الأولاد الذكور تقام احتفالات كبيرة في طهور البنات، وقبل أيام من العملية يؤخذ في الغناء والرقص والضوضاء والشرب حتى وقت متأخر من الليل، وتشرك بنت الطهور في كل ذلك وأثناء العملية يشتد الاضطراب والضوضاء أضعافًا وتصبح الحفلة أكثر بذخًا ويرتفع دوي الدلوكة– الطبل- والزغاريد وربما كانوا يحاولون تغطية آلام الفتاة إذ بعد انتهاء العملية تنتهي هذه الفنتازيا ويصمت جميع المحتفلين "[٢٦].

التبرير للسلوك السلبي للشخصية السودانية:

وبالرغم من كل السلبيات والإيجابيات في السلوك السوداني إلا أن بريم قد أورد بعض الاسباب خاصة الطقس والمناخ ومالها من تأثير في مثل هذه السلوكيات حيث قال " وسأحاول أن أقدم تبريرًا ودفاعًا عن السوداني، وذلك بإلقاء اللائمة في كل هذه العيوب على طقس البلاد. ومن يستطيع أن ينكر أن للطقس أثرًا كبيرًا في تكوين العقل كما في تكوين الجسم وحتى القادم من جزء آخر من العالم يتأثر بهذا الطقس. والذي يعيش فترة في البلاد الحارة يدرك كيف يصبح أنشط الأوروبيين خاملاً، فالحرارة في الخرطوم في أيام السموم تبلغ ٤٠ درجة مئوية في الظل، فتشل الجسد، وهنا أكثر من أي مكان آخر ينصح المرء بالقيام بالأعمال الذهنية الخفيفة، إذ إن المرء يصبح دونها خاملًا حتى يقعد في النهاية عن أي حركة ويهتم فقط براحته ومسكنه البارد. وبذا يعجل بنهايته. إن الأوروبي يعرف تأثير الجو الحار، ونتائج الترف الجسدي ومع ذلك فإنه نادرًا ما يتجنبهما، والسوداني أقل منه تجنبًا لهما، فهو يبالغ في فسقه وملذاته ولا يدري إنه بذلك يقصر أجله. أما كسله فهو نتيجة لعلاقاته، فهو عندما يعمل حقًا فإنما ذلك لتأمين احتياجات حياته وذويه، لكنه يحتاج القليل، وبلده مباركة الخصب والعطاء الأمر الذي يمكنه من توفير ما يريد دون عناء. فلماذا يشقى نفسه بالعمل؟ ولماذا يفعل ما لم يأمره به دينه؟. ودينه يسمح له بأن يستمتع بحياته بطريقته وأسلوبه، إذ

يعلمه أن الله كريم وموته مكتوب وحياته قدر. ولذا فهو يعيش يومه دون هم. وفي النهاية يعمل السوداني قليلًا جدًا، فهو يستلقي في داره في عنقريبه الناعم يهنا براحته. وتبدأ حياته الفعلية مع غروب الشمس، لكنها ليست حياة عمل، بل حياة المتعة. فهو في نصف عريه يرقد في استرخاء وأمامه برمة المريسة الكبيرة يشرب منها بالقرع، ويتم كيفه إذا كانت تسقيه امرأة جميلة، ويقضي نصف الليل مع جميلته وبرمته، وقد أسكره الحب والمريسة، فلماذا يشغل نفسه بضوء النجوم في ليل الاستواء الصحو أو بالله ورسوله أو بالعمل وأربابه؟ إنه يحيا لنفسه وامرأته ومريسته، والله كريم ويغفر للمذنب "[٢٧].

الطعام وتجهيزه وطريقة تناوله:

للطعام أهمية تتعدى كونه وسيلة لتغذية الجسم بغية الحياة، ولأن الطعام يرتبط أيضًا بالبيئة والاقتصاد وبالدين والمعتقدات الشعبية وربما بكافة مظاهر الحياة الإنسانية المادية والفكرية وعلى هذا الأساس يشكل مركبًا حضاريًا كما أن طهيه وأدب تقديمه وتناوله ماهي إلا مظاهر سلوكية فريدة اختص بها الإنسان وميزته عن الحيوان. ويمكن أن يزودنا الطعام بالكثير عن المعلومات والإيضاحات عن أوجه الحياة المختلفة من اقتصاد واجتماع وثقافة تلك المجتمعات [٢٨].

أما عن الطعام لدى سكان الخرطوم فقد أشار بريم إلى أن " ... مأكل السودانيين بسيط للغاية. لكن تجهيزه يتطلب مجهودًا وعملًا كبيرين، ولذا فهو أشق أعباء النساء، ويستغرقن اليوم بأكمله والسبب هو الطريقة الصعبة لإعداد الخبز -الكسرة- وقبل ساعتين من وقت الأكل لا يكون من الكسرة غير الحبوب، ولا يعرف السودانيون المطحنة البسيطة التي يستعملها المصريون، بل يستخدمون في سحن الغلال المرحاكة -الرحى- وأولادها كما يقولون، والمرحاكة قطعة من صخر الجرانيت مسطحة بانحدار نحو الوسط، تسحن عليها الذرة أو الدخن بعد أن تنقع في الماء باستخدام ابن المرحاكة باليدين. وتجثوا المرأة على ركبتيها للقيام بهذا العمل المضني، وتمسك الحجر بكلتا يديها وبتحريكه لأعلى وأسفل تسحن الذرة وتبللها بالماء من حين لآخر، وتجمع العجين الخشن في فجوة في الأرض بها برمة من الفخار، ولا يكون هذا الطحين جاهزًا لصنع الكسرة إلا بعد إعادة سحنه مرتين أو ثلاث. ومع حرارة الجو، وتقاطر حبات العرق من الجسد في هذا الجو المداري تغنى الطاحنات أغنيات بسيطة مرتجلة لاتخلو من جمال. وتبرز عملية طحن الحبوب بالمرحاكة لصنع الكسرة جمال البناء الجسدي للصغيرات اللائي يقمن به"[٢٩].

" ويحرص السودانيون علي وضع الكسرة في طبق مضفور من سعف النخيل وجريده وقصب القمح ومزين بكل الأشكال الفنية وله سير جلدي ويغطى بطبق آخر هرمي الشكل

مصنوع من المواد نفسها وبذات القدر من الجمال. وكلاهما أية في الجمال، ويمكن اعتبارهما من أدوات البذخ وتبرع النساء وخاصة في كردفان و ود مدني في صناعة الأشياء المضفورة"[٣٠].

أما عن بعض أنواع الطعام فقد ذكر" ويندر أن تجهز طبخات من اللحم، أما الحمام والدجاج فيتم طبخه بنوع من الفلفل الأسباني الفظيع أو قليه بالسمن أو سلقه، ولا يحتمل الأوروبي أكل هذه الطيور المعدة بهذه الطريقة السودانية، بل يحسب أنه سيختنق أو يحترق إن فعل، وأنا نفسي لم أقدر على تناول القليل منها أو تذوقه فمن ناحية المقادير يجب أن يكون ثلث هذه الطبخة على الأقل من الشطة الأسبانية. وفي بعض المناسبات الخاصة يأكل السودانيون لحم الضان المسلوق في الماء دون أي بهارات حارة. وقد أولمنى شيخ إحدى القرى بلحم ضان مشبع بالعسل وكان لذيذًا" [٣١].

" والسودانيون كمسلمين لا يأكلون إلا اللحم الحلال الطاهر، أي من ذبيح قد سال دمه من رقبته، أما ما يرمى بالرصاص من حيوان فلا يكون طاهرًا، إلا إذا كان راميه قد تلا العبارات التي تحلل اللحمة قبل أن يطلق رصاصه أو أن يذبح الحيوان بعد رميه مباشرة ويسيل دمه. وفي حال الذبح يضع الجزار المدية على عنق الحيوان ويردد باسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر ثلاث مرات ثم يشرع في الذبح سريعًا حتى يسيل الدم من عروق ورقبة الحيوان، ثم يسلخ الذبيح ويوضع اللحم فوق الجلد المسلوخ ثم يفتح البطن ويخرج الأحشاء ويكسر اللحم إلى أجزاء صغيرة"[٣٢].

أما طريقة تناول الطعام" ويستخدم السودانيون أيديهم في تناول طعامهم مثلهم في ذلك مثل كل الشعوب الشرقية، لكنهم لا يراعون أشياء معينة تجعل هذه الطريقة في الأكل مقبولة ومحتملة عند الأتراك، فالسوداني يتناول قطعة من الكسرة بثلاثة أصابع من يمناه ويغمسها في الصحن الذي أمامه ويملأ فمه بما وسعه من الطعام وبعد الفراغ من الأكل والذي يقوم به بأسرع ما يمكنه يمص كل إصبع بصوت مسموع ثم يغسل فمه ويديه ويحاول أن يتكرع بصوت مسموع ليعبر بذلك عن إعجابه بالطعام، ويوضع الصحن الوحيد الذي تتكون منه الوجبة على الأرض الجرداء أو علي البرش ويجلس الناس حوله ويقضون عليه في نهم"[٣٣].

كرم الضيافة:

الكرم علامته تقديم المأكولات والضيافة لا تكتمل إلا بطعام أو شراب [٣٤] ولهذا تناول بريم بالذكر إحدى أهم وأقدم خصائص السلوك السوداني الأصيل ألا وهي كرم الضيافة حيث ذكر " وإذا توغلنا أكثر في الحياة اليومية السودانية وجدنا عادات جديرة بالاعتبار. فالسوداني إن أراد أن يكرم ضيفه بصورة خاصة ذبح شاة أو عنز إن كان معسرًا، وجهز له وليمة شهية.

وهو يأكل عادة طعامه اليومي- العصيدة أو اللقمة- لكنه محب للضيف حتى أنه يعتبر يوم نزول الضيف أو الصديق عليه يوم عيد، ويقوم بكل ما في وسعه ليسعد ضيفه. وإذا كان قادرًا فإنه يقيم حفلًا ورقصًا أمام كوخه ويجمع جيرته. وحتى الغرباء يجدون ضيافة حسنة وطيبة من السوداني. وهو يقتسم ما لديه مع الحجاج الذين يقصدون مكة، فينتقلون من مكان لآخر، سائلين الناس العون في الطريق. ويعتقد السوداني أن الضيافة تمتد حتى ما وراء القبر. وقد حكى لي أن من يريد قضاء ليلة في المقابر لن يجد راحة إلا إذا اختار قبرًا ونام فوقه، أما إذا نام بين القبرين فإن الميتين يتجاذبانه كل يريد استضافته لقبره ليقوم بفروض حسن الضيافة، فيقضي النائم الليلة يُدفع هنا وهناك دون أن ينعم براحة وتعذبه الأحلام المزعجة " (٣٥).

الخمر " المريسة وأم بلبل" وأماكن بيعها:

أما الخمر أو المريسة " وهم في شربهم للخمر بنفس القدر من البداوة، ويذهب كلا الجنسين إلى قطاطي الخمر مؤتزرين قطعة من القماش فقط حول الردفين ولا يعرفون ما الذوق، فالرجل يرقد شبه عار في عنقريبه ويجرع مريسته في نهم، ولا يقوم حتى لقضاء أهم الحاجات وهو لا يعرف معنى الخجل بل يظل يشرب ما يستطيع ويبقى إلى النهاية مخمورًا فوق عنقريبه. والمريسة أو البلبل شراب مسكر يصنع من الذرة أو الدخن ويستهلك بكميات كبيرة في الخرطوم وهي تصنع في أماكن مخصصة وبطرق متعددة، وفي الخرطوم تبل الذرة وتوضع في مكان رطب بين أوراق العشر حتى تنبت قليلًا -تزرع- ولو قارنا المريسة بالبيرة عندنا فإن الذرة تقابل الشعير والعشر الخميرة. وبعد أن يتم تزريع الذرة تبعد أوراق العشر وتترك الذريعة لتجف تحت الشمس ثم تسحن على المرحاكة ثم يصب عليها الماء ويغلى في أوعية من الفخار، وعادة ما يترك ست أو ثماني ساعات على النار ثم يبرد في بطء وتضاف الخميرة لذلك ويترك ليتخمر وما ينتج عن ذلك هو ما يعرف بالمريسة. وإذا تمت تصفيتها بمصفى من جريد النخل وغليت للمرة الثانية تسمى بلبل وتضاف إليها الخميرة، وتترك ثم تشرب بعد ساعات قلائل من ذلك. ويتم توزيعها في برام مستديرة كبيرة سعة الواحدة منها حوالي ست أو ثماني زجاجات وتباع برمة البلبل في الخرطوم بقرشين، ولا تستخفن بهذا السعر الزهيد فالربح الناتج من صناعة البلبل هو ٣٠٠٪ أو ٤٠٠٪ من تكلفة صنعها. ومذاق البلبل حامض نوعًا ما لكنه غير منفر، وهي مسكرة وحتى الأوروبين يحتسونها بكميات صغيرة ويستمتعون بها وهي تزيد من تبخر العرق، وهو مطلوب هنا للمحافظة على الصحة في هذه البلاد كما أنها مغذية جدًا " (٣٦).

أما عن أماكن بيع الخمر أو البلبل في الخرطوم فقد ذكر بريم" وهنالك خمارات خاصة لبيع البلبل في الخرطوم حيث يقابل المرء بنات الهوى أيضًا. كان الأغنياء والوجهاء في الخرطوم

يستخدمون هذه الحانات للكسب الحرام وذلك قبل مجيء لطيف باشا، كانوا يشترون عددًا من فتيات القالا الجميلات ويؤثثون لهم -دانقة- ويختلقون مسألة بيع البلبل ويحملون الفتيات على بيع الهوى ويفرضون عليهن مبلغًا شهريًا قد يصل إلى مائتي قرش من كسبهن الحرام، وهم يرون في هؤلاء الجواري مصدرًا للثراء الوفير وقد أبطل لطيف باشا كل ذلك في صرامة وبفرض عقوبة تصل إلى الجلد ألف سوط" (٣٧).

تدخين التبغ والتمباك:

أما عن تدخين التبغ فقد ذكر " قليل من السودانيين يدخن التبغ، ولكنهم رجالًا ونساء يمضغونه دون استثناء وهم يختارون نوعًا ثويًا يخلطونه بقدر من الرماد والعطرون ولا يرى الواحد منهم إلا وفمه محشو به رغم أنه يبدو منفرًا بهذا الشكل"(٣٨).ربما هنا نلاحظ أن بريم قد خلط بين شيئين يبدوان له واحد أو قد يكونا في ذلك الزمان شيئًا واحدًا ألا وهما التبغ الذي يتم تدخينه، والتمباك الذي يوضع في الفم اليوم، وليس يمضغ. وربما يكون في ذلك الزمان نوعًا منه يمضغ أو هنالك شيء ما يشبه القات كان يستخدم كأحد المكيفات لبعض سكان الخرطوم.

الأطفال:

أما عن ذكر الأطفال وحياتهم في الخرطوم في تلك الفترة فلقد ذكر بريم بأن " أطفال السودانيين مخلوقات مهملة بشكل فظيع، وحتى بلوغ السادسة يمشى الأولاد والبنات عراة وبعد ذلك يلبس الأولاد سراويل قصيرة وتلبس الفتيات الرحط، عندئذ يتم شلخ الوجه كما يفعل النوبيون بعدد من الشلوخ المتوازية والتي تعتبر آثارها نوعًا من التجميل للوجه ويبدو أن هذه العادة ماخوذة من النوبيين لكنها ليست عامة في كل مكان"(٣٩).

الزواج:

أما الزواج في مدينة الخرطوم وما يتعلق به من مراسم وغيرها فقد ذكر بريم " وعند زواج السوداني لا تقام احتفالات خاصة، إلا فيما ندر، فمتى بلغ الصبي عامه الخامس عشر أصبح عادة رجلًا وتكون الفتاة صالحة للزواج حين تبلغ الثالثة عشر، ولحسن الحظ لا يتبع السودانيون العادة المصرية السيئة حيث تزوج الفتاة في طفولتها بل يتركون للطبيعة مجراها حتى تكمل عملها دون تدخل من البشر. وعلى السوداني أيضًا أن يقدم مهرًا يقل عمًا هو في مصر ويدفع عادة دفعات قد تستغرق بعض السنين، ويقوم فقيه بعقد القران في سرعة وسط تلاوة آيات من القرآن تتصل بالزواج"(٤٠).

أما فيما يتعلق بالمهور "... مع أن المهر ضئيل في السودان فإنه يحدث في أحيان

كثيرة أن يمتنع الأب عن الموافقة لزواج ابنته بقصد أن يرفع المهر، فالمسلمون في كثير من البلاد المسلمة ينظرون إلى الزواج كمعاملة تجارية، وليس بمستغرب أن يحاول المرء أن يستخلص منه كل ربح ممكن ولأن تعطيل بعض الزيجات قد يؤدي إلى نقص في عدد السكان. أقامت الحكومة في السودان مؤسستها الخاصة ... فالفتيات يرحن ويجئن دون حجاب كاشفات الأوجه ويمكن أن يوقدن نار الوجد في قلوب الشباب بجمالهن ولمساعدة الشباب للزواج من الفتيات قبل أن يصبحن عانسات قبيحات غير قادرات على الإنجاب ابتدعت الحكومة التركية مكتب ناظر الزيجات وهو منصب أكتسب أهميته في السودان والناظر هنا شخصًا روحي يسافر متنقلًا في كل أنحاء السودان من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى، ويستخبر عن القادرين على الزواج والراغبين فيه وهو يسأل البنات إن كن يرغبن في الزواج، فإن أجبن بنعم زوجهن للفتى المحبوب بالحسنى أو القوة، وهو الذي يقرر المهر وله مساعد عليه أن يعيد إلى الآباء المعاندين صوابهم، ويجمع أتعاب الناظر ويقوم إجمالًا كمساعد دنيوي له. ويندر أن يقترن السوداني بأكثر من حليلة واحدة في نفس الوقت لكنه يحب التغيير في علاقاته الزوجية ولذا فهو يطلق امرأته دون سبب حقيقي في الغالب وهذا حق له في الشريعة، وعندما تكون لديه جواري فإنه يرفعهن إلى مرتبة الحريم، ويعامل أطفالهن معاملة أطفال نسائه الشرعيات، وأحيان تفر زوجاته إلى ذويهن إن أساء معاملتهن، وهنا يسرج حماره ويلحق بزوجته النافرة ويعيدها بالقوة إلى بيته، ويؤدبها لكنه في الغالب يدخل في مشاحنات وخصومات جدية مع أقربائها، وإن كانت المرأة ابتعدت عنه دون سبب وجيه وبختها صديقاتها وقرعنها وربما ضربنها وأعادنها فورًا إلى زوجها" [٤١].

الموت:

أما عن الموت فقد ذكر" عندما يسقط السوداني فريسة للمرض ويخشى دون أجله، فإن أصدقاءه وجيرانه يجتمعون في داره يزينون له مباهج الجنة، ويأخذون شهادته ويرددون الشهادة -لا إله إلا الله ومحمد رسول الله،- فيردد المريض أوالمحتضر وعندما يصدر عنه ذلك يوقن كل من سمع زفراته الأخيرة أنه مات مسلمًا حسن الإسلام، وحالما يغمض جفنه بعد موته ينطلق عويل النسوة في داره منبهًا عن موته، ولدى سماع صراخ النعي يهرع الجيران إلى بيت البكاء ويغسل الميت ويكفن والكفن قطعة طويلة من القماش من القطن الصافي، ويمكن لأفقر الناس أن يشتريه أو يحصل عليه لقريبه الميت من أهل البر من مواطنيه، ولن يبخلوا به عليه، وإذا كانت الوفاة صباحًا يتم الدفن في نفس اليوم، أما إذا كانت مساء أو ليلًا فيدفن في صباح اليوم التالي"[٤٢].

أما عن طريقة دفن الموتى " ويتم الدفن وفقًا للتعاليم الإسلامية، فالمقابر في الخلاء بعيدة عن أماكن السكنى، وهناك يُحفر القبر بعمق ثلاثة أو أربعة أقدام وفي مكانٍ عالٍ في الأغلب، ويحمل الجسد الملفوف فوق عنقريب إلى المقابر، يحمله عدد كبير من المشيعين، الرجال يغنون والنسوة يعولن، ويوضع الميت في القبر بحيث يكون الوجه مستقبلًا مكة والكعبة"(٤٣).

الأسلحة:

كانت الأسلحة أحد العناصر المهمة للشخصية السودانية على مدار تاريخها أما في الخرطوم حينما زارها بريم فقد ذكر أنه " حتى عام ١٨٥٠م كان الرجل منهم يحمل رمحين طول الواحد منهما ثمانية أقدام ويستخدمهما دفاعًا وهجومًا، وقد منع لطيف باشا ذلك، لكنه استثنى البدو، وبذا حد من حوادث القتل العديدة ولكن صورة السوداني فقدت كثيرًا من أصالتها وتفرد شخصيتها"(٤٤). وأشار أيضًا "... وفي بعض البيوت يرى المرء أسلحة محلية كالحربة والدرقة -الدرع- المصنوعة من جلد الغزال أو التمساح والسكين والسيف الطويل ذي الحدين الذي يحمله الوجهاء والرؤساء ومرشدو القوافل، كما يحمل البعض هراوات من خشب الأبنوس وهي من أسلحة أهالي النيل الأزرق، أما السلاح الناري فيندر أن يحمله غير الذين قطعوا المسافات الطويلة سفرًا ورأوا بلادًا أكثر تحضرًا واتخذوا عاداتهم "(٤٥).

النظام الإداري والقضاء :

بالنسبة إلى النظام الإداري في السودان في تلك الفترة فقد ذكر " الخرطوم هي مقر الباشا الذي بعثته الحكومة المصرية لإدارة السودان الشرقي.. يغير الحاكم كل ثلاث سنوات في زمن السلم ويعود إلى مصر... ليأخذ منصبه السابق أو منصب أفضل ويسمى باشا السودان حكمدار السودان وهو أعلى سلطة في البلاد وبيده حق إعلان الحرب وإقرار السلام، وهو القائد الأعلى للجيش. إما عن بقية الموظفين بالسودان فهم تحت امرته، وهناك مدير لكل مديرية يحمل لقب ورتبة بيه، وله عدد من الكشاف هم رؤساء مراكز وتحتهم رؤساء مناطق باسم قائمقام ولكل هؤلاء رتبة عسكرية وإلى جانب ذلك هناك في كل قرية شيخ بلد – العمدة – ويجلس القاضي المدني مع القاضي الشرعي بنفس الطريقة كما في باقي البلاد المحمدية. والسودان في دستوره الراهن دولة عسكرية وكل القائمين بالأمر في المديريات أو القرى من الباشا إلى القائمقام هم في الجيش الحالي رتبة ومكانة.... أما قادة الجيش فهم أتراك أو كانوا عبيد أتراك عتقوا وجيء بهم إلى هنا وهم الشركس وأهالي جورجيا والقوقازيين"(٤٦).

أما القضاء والمحاكمات والشكاوي فقد أشار " القضاء هنا جزئي وتتم المداولات باللغة العربية - والديوان - صالة المحكمة الخاص بالموظف المسؤول مفتوح للجميع ويمكن لأفقر الناس وأوضعهم أن يدخل متى شاء ويجب كتابة عرض حال في ورق مختوم يرفع إلى القاضي والذي يكتب حكمه في نفس الورقة ويتخذ القاضي قراره بعد مراجعة الطرف الثاني، وهو غالبًا ما يقضي بأحكام الشريعة أو تقديره الخاص. وقد وضع لطيف باشا صندوقًا في باب الحكمدارية لكي توضع فيه الشكاوى والالتماسات ومن ساعة إلى أخرى ينظر ما به من شكاوى ويقضي في أمرها في ظرف أربع وعشرين ساعة. ويقوم الأقباط بخدمة الحكام ككتبة ومحاسبين أما المسائل البوليسية فهي من اختصاص الجيش المسؤول عن مشاكل الأمن والسلام، والخدمات كالعمل الإجباري والبريد وخدمات أخرى... وفي وقت مضى كان بالسودان عدد من الأسلحة المختلفة، الأرناؤوط والمغاربة والشايقية .. لكن المغاربة والشايقية قد حلت وحدتاهما الآن، وهذه الأسلحة لا تختلف في سلاحها فحسب، بل في ألوانها أيضًا فالارناؤوط بيض والمغاربة صفر والشايقية سود"[٤٧]. ١٣١.

التجارة والنشاط الاقتصادي:

فيما يتعلق بالتجارة والنشاط الاقتصادي في الخرطوم في تلك الفترة فقد ذكر بريم" تشكل التجارة أهم حرفة في السودان رغم أنها لم تصبح حرة إلا منذ عام ١٨٥٠م، وفيما سبق كانت كل المواد الرئيسية للتجارة تحت احتكار الحكومة وكانوا يشترون المحاصيل السودانية – وأرجو أن لا يساء فهمي هنا- وسن الفيل والصمغ العربي والتمر هندي إلخ بأسعار زهيدة وكسداد للضرائب المفروضة ثم تباع هذه المواد في مصر بربح هائل، ولكن الاحتكار قد رفع الآن ومع ذلك ما زالت الحكومة تشارك في تجارة البلاد وتجارة الرقيق حكرًا لها وتتم على أيديها... وللتجارة في الخرطوم أهميتها وتعكس الموقع الممتاز للمدينة فهي على ملتقى نهرين هما شرايين قلب إفريقيا، مما جعل المدينة نشطة بالحركة التجارية. إن النهر في إفريقيا يعني التجارة أكثر مما يعنيه في أوروبا حيث الطرق الحديدية ووسائل المواصلات الأخرى... ولقد تم نمو الخرطوم سريعًا بفضل التجارة وأصبحت بذلك أهم مدينة تجارية بالسودان مثلما هي عاصمته، ومحلاتها التجارية هي أغنى مخازن البضاعة في وسط إفريقيا" [٤٨].

أما عن بعض نماذج المحاصيل والمنتجات فقد ذكر" ومن المحاصيل والمنتوجات هناك العاج والأبنوس وريش النعام والصمغ العربي والخروع والسنامكة والتمر هندي والنيلة والبن من الحبشة والعسل والتبغ من سنار وجلود النمر من دارفور. وهناك الرقيق من الحبشة وقيسان وتقلي ودارفور، والجمال من عرب البشاريين والخيول من الكبابيش ومن دارفور،

والأبقار والأغنام والضأن من مختلف القبائل البدو الرحل، والذرة والدخن من أعالي النيل الأزرق وكردفان، والمصنوعات الجلدية من واد مدني...إلخ وعبر الأوروبيين يجد المرء أحيانًا أشياء غير مألوفة في الحوانيت، منها على سبيل المثال الشمبانيا والنبيذ الفرنسي الأحمر وحتى النبيذ الأبيض. وهناك خمر كالفيرموث التي صارت منذ زمن شراب الأوروبيين والأتراك، وفي عام ١٨٥١م وجدت ولاعات من الشمع في يد أحد السودانيين، وكان مغتبطًا بها، ويكثر الغش في حالة البضائع الأوروبية فالساعات المطلية بالذهب تباع باعتبارها ساعات من الذهب الخالص وبالطبع فإن الذين يقومون بالغش في هذه الحالات هم الأوروبيون" [٤٩].

البريد:

أما عن البريد والمراسلات فنجده قد ذكر " وللحكومة طريقان فقط للبريد أحدهما من الخرطوم إلى القاهرة، والآخر من الخرطوم إلى الأبيض. وقد حسنهما لطيف باشا بحيث أصبح الجواب يصل من الخرطوم إلى القاهرة في بحر ٢٥يومًا. وما أعنيه بتحسين البريد ليس بناء طريق، إذ ليس هناك طرق بهذا المعنى في إفريقيا، وانما قصدت تنظيم وضبط مواعيد عمال البريد. ويقوم من الخرطوم أسبوعيًا اثنان من الهجانة يومى الثلاثاء والجمعة بالبريد إلى مصر، ويبلغان بربر المخيرف في خمسة أيام ثم بعد ١٢ أو بعد ثلاثة عشر يومًا يبلغان كورسكو وبعد ١٦ أو ١٨ إلى أسوان حيث يسلمون البريد والرسائل ويمنح رجال البريد راحة كل يومين ويستخدمون إبل بشارية سريعة وهذا النظام بالمقارنة مع أواسط إفريقيا يستحق الإشادة وأن شخصيًا لم أفقد أي بريد خاص بي " [٥٠].

حالة الطقس:

أما عن حالة الطقس في الخرطوم فنجد أنه أشار إلى " أن طقس الخرطوم من أردأ أنواع الطقس بالنسبة للصحة، وتقول الإحصائيات أن ٨٠٪ من الأوروبيين الذين يضطرون للإقامة سنوات عديدة متصلة بالسودان يموتون أثناء تلك الإقامة. إن موقع المدينة نفسه بين نهرين يغمرون الشواطئ بالماء زمن الأمطار، هو بالنسبة لنا في أوروبا دليل على عدم مناسبته للصحة ونسبة الوفيات في المدينة أكثر من أي مدينة في مثل موقع الخرطوم في أوروبا. إن طقس السودان ضار بصحة الإنسان وحتى الأهالي السود يعانون منه معاناة البيض. ويمكن تقسيم مواسم السودان إلى موسمين، موسم الجفاف وموسم الأمطار، وليس بينهما أي موسم انتقالي، فالواحد منهما يتبع الآخر فجأة، والخريف هو موسم الأمطار عند العرب ويبدأ في يونيو أو يوليو ويستمر حتى أكتوبر وتكثر الأمطار في الجنوب عنها في الشمال ويبث الخريف الحياة في كل شيء فهو يكسو الخلاء الجاف المحترق بكساء جديد غني بالزهور. في شهر مارس وإبريل عندما ترسل الشمس عموديًا على السودان وتكاد أن تبلغ ذروة حرارتها

تبدأ الرياح الجنوبية في الهبوب بشكل قوي ومتصل وكانت الرياح قبل ذلك شمالية وتزيد هذه الريح الجنوبية الحرارة وتصبح ذات طبيعة كهربية يضيق معها تنفس الإنسان وتخيف الحيوان وتجفله، وهي الرياح المشبعة بالسموم في الصحراء... في منتصف شهر أغسطس يبلغ النيل الأزرق أعلى منسوب له ثم يبدأ في الانخفاض شيئًا فشيئًا حتى يكتمل انخفاضه في فبراير، أما النيل الأبيض فإنه يبلغ أعلى منسوب له في شهر أغسطس وفي هذا الوقت من السنة يكون منظر مقرن النيلين بديعًا، تكون صفحة الماء ظاهرة أمام الناظر من مسافة نصف ميل وتغطي المياه كل الأراضي المزروعة الواقعة بين الخرطوم والنهرين ولا يرى من الجزيرة الواقعة بين النهرين سوى الأشجار المغطأة بكل أنواع الطيور "[٥١].

الأمراض:

أما عن الأمراض التي كانت سائدة في الخرطوم فقد أشار إلى أنه " ...فقط عند نهاية الخريف حين تجف الأرض تحت وطأة الشمس المحرقة وتتصاعد الأبخرة السامة النتنة تنشط الأمراض وتشتد ولا ينجو منها إلا قلة من الأجانب ويعاني منها السودانيون... ويقيني أنهم يشقون بالأمراض أكثر لأنهم لا يسارعون إلى العلاج قبل بداية المرض. ونسبة الوفيات بين الأهالي في شهري سبتمبر وأكتوبر عالية جدًا، ولكن إيمانهم بالمقدور والمحتوم هو الذي يمنحهم الشجاعة والجلد على الحياة عندما يطغى عليهم المرض" [٥٢].

ومن أمثلة الأمراض نجد الحمى الراجعة حيث أشار" ومن أمراضهم الحمى الراجعة وهي نوع من الملاريا الخفيفة وليست خطرة إذا وجد المرء العناية الطبية، ولكنها تضعف البدن في وقت وجيز حتى يعجز المرء عن الحركة والعمل ويسبقها ضيق في الصدر وخوف وصداع متكرر ثم يتبع ذلك برد شديد وتقلصات في كل أعضاء الجسم وغثيان وسخونة جافة، ويصبح وجه المريض مصفرًا أثناء شعوره بالبرد، وتصكك الأسنان ويحمر اللسان ويطغى النزوع إلى التقيؤ، ويصاب المريض بظمأ حاد ولكن الأمعاء ترفض الماء مع تقلصات حادة في عضلات البطن ويصبح الجسم واهنًا وفاقدًا للإحساس فيدخل المريض في غيبوبة وهلوسة ولا يمكن أن يظل باقيًا في مكان واحد ويعاني في أغلب الأحيان من انتفاخ وغازات وتصيب هذه الحمى أقوى الناس لكنها تقل بين النساء منها بين الرجال، وبعد زمن يطول أو يقصر تجف السخونة الجافة ويتفصد العرق من كل مسامات الجسد وكلما كثر كان أفضل ويحس المصاب براحة عظيمة، لكنه يحس أيضًا بفتور شديد ثم يبدأ حاله في التحسن"[٥٣].

وأشار كذلك إلى حمى سنار حيث ذكر " وأشد الحميات فتكًا بالأوربيين هي حمى سنار ولأن البحوث عنها قليلة فإن أفضل الأطباء في السودان الشرقي لا يعرفون عنها الكثير وأعراضها الصداع الفظيع المتكرر ويبوسة الجلد والهذيان والتقيؤ والتشنجات الحادة ثم ينتهي الأمر في

اليوم الثالث بموت المريض وعادة ما تنتشر حمى سنار في نهاية موسم الأمطار وتتخذ شكلًا وبائيًا في بعض الأحيان فتفتك بأهل مكان الوباء "[٥٤].

أما الكولرا والدوسنتاريا وضربة الشمس والسيلان فقد ذكر " وهناك الكولرا وإن كانت نادرة في السودان ويطلقون عليها اسم الهواء الأصفر ويخشونها للغاية .وهناك الدوسنتاريا وإن لم تكن بنفس القدر من التفشى كما في مصر لكنها أقوى وتنتهي بموت المصاب. وضربة الشمس في السودان رغم ندرتها أخطر مما عليه في مصر ويحدث أن يشكو أشد الناس صحة من الصداع في الرأس ثم بعد دقائق معدودات يفقد وعيه ويغمى عليه ويموت بانفخار الشرايين. ويقال إن السيلان قد دخل السودان مع الجنود الأتراك. ويندر أن يرى المرء مشلولًا بين السودانيينإاما مقعدًا، كما أن كل العلل والأمراض الجسدية المرتبطة بالعيش الناعم المترف للشعوب المتحضرة تنتفي في السودان" [٥٥].

الخاتمة:

مازال الحديث فياضًا عمًّا أوردها الفريد إدموند بريم عن السودان والخرطوم، وما هذه إلا إشارات بسيطة لما ذكره عن مدينة الخرطوم وسكانها وطقسها وأمراضها، فالكتاب بلا شك قيم جدًا وبه مادة علمية غزيرة في ضروب علوم كثيرة منها الآثار والعلوم الطبيعية والأثنوغرافيا وغيرها.

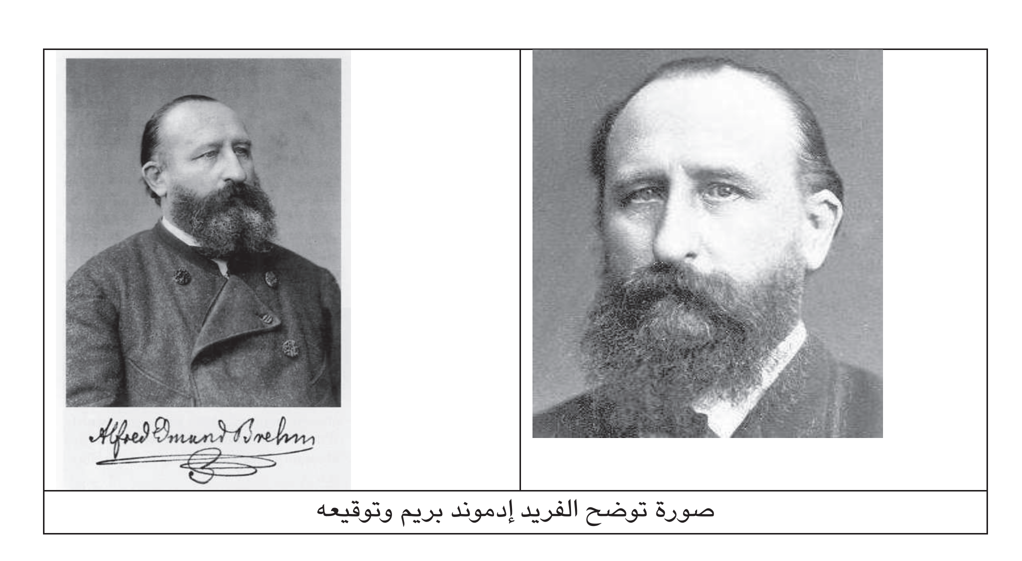
ومن مجمل الحديث عن الفريد إدموند بريم وتجواله في السودان وعن تعليقاته في كتابه " رحلة بريم في السودان " نستطيع أن نقول إنه مراقب دقيق لأدق الأمور التي شاهدها وعايشها هنالك، وملاحظ أنه فطن لأبسط العلامات والإشارات والتصرفات والأحوال، وما كان يلفت انتباهه من سلوك سكان البلاد، والكوارث التي واجهها واحدة تلو أخرى، بدًءا بالمرض الذي ما يكاد يُشفى منه حتى يقع به ثانية وثالثة، ثم موت أخوه أوسكار الذي كان برفقته، والطقس...إلخ. ورغم هذا وتلك من المصاعب والعذابات فقد أنجز بريم من وراء رحلته إلى السودان عملًا في علم الحيوان جديرًا بالتأمل والتقدير، وهو ما زال يُشكر على ذلك الجهد ومجابهة الأخطار حتى الآن في أوروبا وغيرها، ومازال قيد الاعتبار وأساسًا لدراسات عديدة في مجال العلوم الطبيعية، أما رحلته ورغم ما يعتريها من مشكلات التخلف في فهم الآخر والصمت أقله عن النزعة الاستعمارية، إلا أنها تعبر بحق عن قطعة أدبية صادقة [٥٦].

ولعل في الختام نورد بعض المقتطفات لما أورده بريم كمقدمة لليومياته" ... إن إفادتي هذه صادرة عن شخص كاد أن يكون مواطنًا لشمال شرق إفريقيا، ويمنح جنسيتها ففي فترة إقامتي الطويلة في تلك البلاد، تعلمت أن أحتمل الصعاب التي تبدو للوهلة الأولى غير محتملة على الإطلاق، وتعلمت كيف أحترم شعبًا لا يرى الغريب العجل إمكانية عقد صداقة

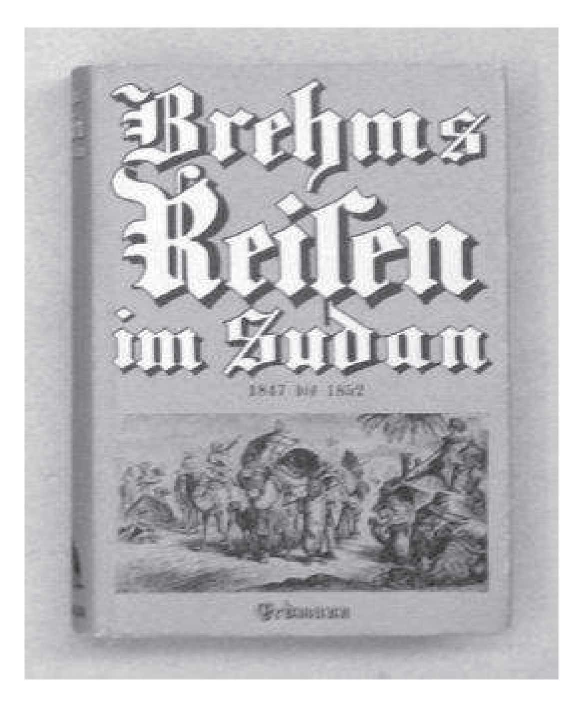
معهم، ووقفت على سحر وجاذبية أماكن هي للغريب مواطن رعب، وكل مشقة احتملتها وكل غم خبرته سجلته دونما تخفيف أو تغيير، لكنني حاولت جهدي أن أصور بدقة متناهية وأمانة كل ماهو رفيع حقًا، فإن تحدثت عن عيوب ومثالب أهل إفريقيا فإنني لم أحجب شمائلهم... أما الغرض الوحيد الذي جهدت لبلوغه من وراء عملي هذا فهو توخي الحقيقة كاملة في ما أرويه وربما أكون قد أخطأت هنا أو هناك لأن اعتمادي على تصوراتي ورؤيتي الشخصية قد يكون خدعني، لكنني لم أورد أبدًا ما يجافي الحقيقة، ولذا فإنني أزكي هذا العمل لمشاركة الناس فيه وهو خالٍ من البريق والتزويق ..." [٥٧].

ولعل يبدو واضحًا من هذه المقدمة التي أوردها بريم مدى تجرده وأمانته وتوخيه الحذر فيما يكتب أو يورد عن السودان وأهله، ويحمل ما كتبه عن السودان بين طياته مصداقية الرواية عن تلك الفترة من تاريخ السودان، ولكن بالرغم من ذلك يظل الحاكم لنا في البحث العلمي هو التقصي وإبراز الحقيقة والتي بلا شك ليست ولن تكون مطلقة نابعة من مصدر واحد، ومن دون تعظيم أو تكذيب للرحالة دون الآخر، إن ما أورده بريم عن الخرطوم وعن السودان يظل يحمل نوعًا من التكريم والاحترام للسودانيين وسلوكياتهم الإيجابية ومحاولة إيجاد تبرير لتلك السلبية منها. وهو بلا شك يظل مرجعًا لا غنى عنه ويحمل الصدق بين صفحاته ما لم تأتِ بينة أخرى تثبت العكس فيما اورده.

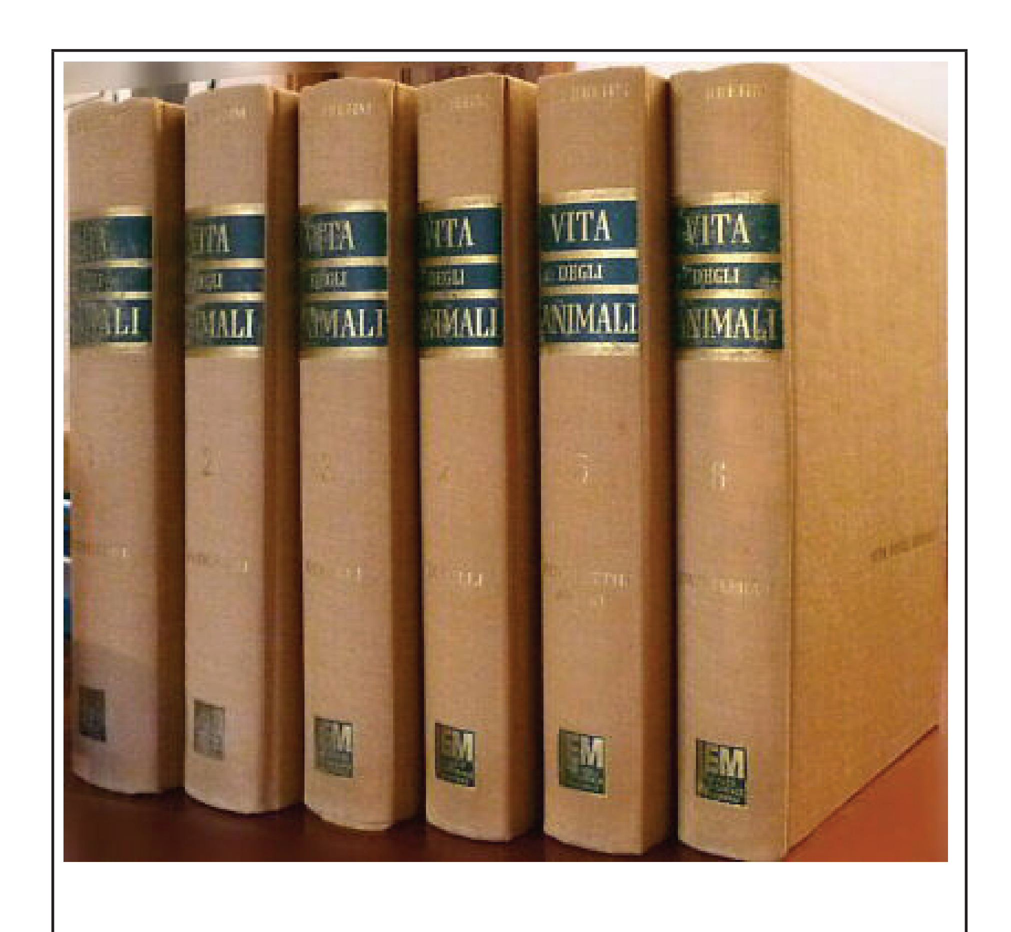
ملاحق



صورة توضح الفريد إدموند بريم وتوقيعه



صورة لغلاف كتاب رحلات بريم في السودان



أحد مؤلفات الفريد إسدموند بريم حياة الحيوان

الهوامش:

(١) فهيم، حسين محمد (١٩٨٩). أدب الرحلات. سلسلة عالم المعرفة ١٣٨. المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت.

(٢) آل عواد، فؤاد (٢٠٠٦م). السودان والرحالة الالمان رحلة الفريد أدموند بريم العلمية ١٨٤٧-١٨٥٢م. في السودان وأفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب أكتشاف الذات والآخر، أبحاث ندوة الرحالة الغرب والمسلمين دورة أين حوقل الخرطوم فبراير ٢٠٠٦.دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الطبعة الأولى ص ٤١١-٤٢٥.

(٣) آل عواد، المرجع السابق، ص٤١٢-٤١٣ .

(٤) آل عواد، مرجع سابق،ص ٤١٣.

(٥) بريم، الفريد أدموند (٢٠١٠م). رحلة بريم في السودان. ترجمة النور عثمان أبكر. دار مدارك للنشر، الخرطوم.

(٦) بريم، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١.

(٧) بريم، مرجع سابق، ص ١١١.

(٨) بريم، مرجع سابق، ص ١١١.

(٩) بريم، مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.

(١٠) بريم، مرجع سابق، ص ١١٢.

(١١) بريم، مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.

(١٢) بريم، مرجع سابق، ص ١١٣.

(١٣) بريم، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٤.

(١٤) بريم، مرجع سابق، ص١١٤.

(١٥) بريم، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥.

(١٦) بريم، مرجع سابق، ص ١١٥.

(١٧) بريم، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦.

(١٨) بريم، مرجع سابق، ص ١١٦.

(١٩) بريم، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢٠) بريم، مرجع سابق، ص ١١٦-١١٧.

(٢١) بريم، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٢٢) بريم، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٢٣) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢٤) بريم، مرجع سابق، ص ١١٩.
(٢٥) بريم، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.
(٢٦) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٢.
(٢٧) بريم، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.
(٢٨) فهيم، مرجع سابق، ص ١٤٣.
(٢٩) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.
(٣٠) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٣١) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٣٢) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٧.
(٣٣) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٧.
(٣٤) فهيم، مرجع سابق، ص ٣٤.
(٣٥) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٥.
(٣٦) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٨.
(٣٧) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٢٩.
(٣٨) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٩.
(٣٩) بريم، مرجع سابق، ص ١٣٠.
(٤٠) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.
(٤١) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.
(٤٢) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٤.
(٤٣) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٤.
(٤٤) بريم، مرجع سابق، ص ١١٧.
(٤٥) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٩.
(٤٦) بريم، مرجع سابق، ص ١٣٠-١٣١.
(٤٧) بريم، مرجع سابق، ص ١٣١.
(٤٨) بريم، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.
(٤٩) بريم، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.
(٥٠) بريم، مرجع سابق، ص ١٣٧.
(٥١) بريم، مرجع سابق، ص ١٣٨، ١٤١-١٤٢.
(٥٢) بريم، مرجع سابق، ص ١٤٢.
(٥٣) بريم، مرجع سابق، ص ١٤٢-١٤٣.

(٥٤) بريم، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٥٥) بريم، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٥٦) آل عواد، مرجع سابق، ص ٤٢٤-٢٤٥.

(٥٧) بريم، مرجع سابق، ص ٩-١٠.

الفصل الثاني

تاريخ مدينة الأُبيِّض

تاريخ مدينة الأُبيِّض

د. عبد العزيز محمد موسى إسحق
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك- كلية العلوم الإنسانية – جامعة بحري

المقدمة:

تعود نشأة المدن السودانية إلى الفترة الحديثة ، خلال القرن الثامن والتاسع عشرالميلادي وما تلاه، تطور معظمها من قري صغيرة إلى ان اصلحت مدن بالمفهوم السائد.اما بالنسبة لمدينة الابيض ليس هناك تاريخ محدد لنشأتها ولكن كانت هناك مجموعة قرى قريبة من بعضها في منخفض ساعد على جمع المياه حولها ونمو الأشجار.

سبب تسمية الأُبيّض يرجع إلى الرواية التي تقول بأنه كانت هناك امرأة اسمها (غفورة) تسكن في وسط المنخفض، وكانت تملك حمارًا أبيض، ولم تملك شيئًا تقتات به سوى إحسان المسافرين وعندما يقتربون منها (أبيض غقورة لا بلاد لا ممطورة) إشارة إلى فقر المنطقة وجدبها.[1]

ونفس هذه الرواية سبب تسمية المدينة وتسرد بطرق مختلفة، إذ إن سكان القرى المجاورة لمدينة الأُبيّض الحالية كانوا بماشيتهم ودوابهم العنان بحثًا عن الكلأ الذي ينبت في الفضاء الممتد حول هذه القرى وحول المستنقعات والمنخفضات التي يتجمع فيها الماء الآسن من بقايا موسم الأمطار، وكانت تسكن في إحدى هذه القرى امرأة عجوز تمتلك حمارًا أبيض تطلقه بحثًا عن قوته وشربه في تلك المنطقة، وفي إحدى المرات طال غياب حمارها، وعند رجوعه لاحظت بأن أرجل حمارها ملطخة بالطين الممزوج بالعشب الأخضر وتبعت المرأة حمارها إلى أن وصل المنطقة التي كان بها ماء وتنبت على أطرافه الأشجار الكثيفة وعند رجوعها إلى قريتها أنبأت سكانها بما رأته، فرحل سكان القرية إلى ذلك الموقع الجديد وأقاموا فيه أكواخهم وكان مولد مدينة الأبيض الحالية التي أخذت اسمها من لون الحمار الأبيض، ثم تبعهم بقية سكان القرى المجاورة وكانوا يقولون :(نحن ذاهبون لنسكن في مورد الحمار الأبيض[2].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن اسم المدينة يرجع إلى اسم المجرى المائي الذي

يقع جنوب المدينة المسمى بالخور الأبيض، إلّا أن الرواية الأولى أكثر تداولًا بين الناس [3].

تقع مدينة الأُبيّض على دائرة 011 / 013 شمالًا وخط الطو 014 / 030 شرقاً، ويصل ارتفاعها إلى 1900 قدم فوق مستوى سطح البحر، وتبعد الأبيض بحوالي 292 ميلًا جنوب غربي العاصمة الخرطوم و 446 ميلًا شرق مدينة الفاشر، وتحيط بها معظم مدن كردفان (ام روابة، الرهد، ابو زبد، النهود، رارا، الدلنج، سودري، كادقلي، ورشاد).[4]

إن احتلال مدينة الأُبيّض لهذا الموقع المهم جعل منها مركزًا تتجمع فيه حاصلات المنطقة النقدية ومعظم ثروتها الحيوانية، كما كان ربطها بالسكك الحديدية في سنة 1912 والذي كان يعتبر الخط الوحيد الممتد إلى غرب السودان، وتمثل الأُبيّض نهايته حتى 1958م قبل مده إلى نيالا، وكان للسكك الحديدية أثرها في ارتفاع أسهم مدينة الأُبيّض التي أصبحت المركز التجاري الذي يفرغ فيه السلع الواردة إليها ومنه تشحن الصادرات هذا بالإضافة إلى وقوعها في منخفض كبير تكثر فيه الخيران والوديان، وهو عبارة عن أرض سهلية توالي انخفاضها تدريجيًا كلما اتجهنا شمالًا ويظهر ذلك بوضوح في وسط المدينة وعند منطقة السوق الكبير توجد منخفضات ذات رمال خفيفة تتجمع فيها مياه الأمطار، المنطقة الشرقية من المدينة ذات تربة رملية خفيفة ومتماسكة ومنتظمة السطح تنبت عليها أعشاب السافنا القصيرة وتمتد طولًا إلى أن تصل إلى منطقة تقطعها الخيران والوديان العميقة وتخترق المدينة بطولها من الجنوب إلى الشمال المجاري المائية والخيران الموسمية.

وفي شرق المدينة وجنوبها توجد بعض التلال القليلة الارتفاع شمال شرق المدينة وجنوبها الكثبان الرملية المتحركة في غربها، وهي طولية الشكل تتكون من تلال مفككة معرضة للتعرية بواسطة الرياح ويتراوح ارتفاعها ما بين 5 و 25 قدمًا. [5]

المناخ:

تقع مدينة الأُبيّض في الإقليم شبه الجاف، وهو أكثر الأقاليم نشاطًا في الزراعة والرعي، ويتركز سقوط المطر فيه دائمًا في أربعة أشهر من يوليو إلى أكتوبر ويقل تساقط الأمطار كلما اتجهنا جنوبًا.

الجدول التالي يوضح المتوسط الشهري والسنوي للأمطار في مدينة الأُبيّض:

الشهر	المتوسط الشهري للأمطار
يناير	-
فبراير	-
مارس	أثر
إبريل	3
مايو	20
يونيو	33
يوليو	121
أغسطس	145
سبتمبر	77
أكتوبر	19
نوفمبر	-
ديسمبر	-
المتوسط السنوي	418

ويوضح الجدول التالي توزيع درجات الحرارة في مدينة الأُبيّض على مدار السنة:

الشهور	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
متوسط درجة الحرارة القصوى (فهرنهايت)	87	91	91	102	102	99	92	90	94	98	94	89
أعلى درجة حرارة	103	106	109	111	113	109	104	100	104	104	102	101
أدنى درجة حرارة	71	72	79	81	81	87	71	76	78	85	82	73
متوسط درجة الحرارة الدنيا	55	56	63	69	74	75	73	71	71	71	63	57
أعلى درجة الحرارة الدنيا	-	71	84	84	86	83	83	80	77	79	79	67
أدنى درجة الحرارة الدنيا	39	36	43	55	60	63	61	64	63	60	50	44
متوسط نسبة الرطوبة (%)	32	26	21	24	37	49	67	75	67	45	30	31

مصادر المياه:

ارتبطت نشأة المدينة الأولى بوجود المياه في ذلك الموضع، حتى أن اسم المدينة ارتبط بقصة تناقلتها الأجيال تلقي كثيرًا من الضوء على هذه النشأة وتأثير البيئة الطبيعية في إختيار الموقع الحالي (أشرنا إليها سابقًا) وتعتمد مدية الأُبيّض على المياه الجوية بشكل أساسي نسبة لعدم وجود أنهار، كما يتم الاعتماد على مياه الأمطار التي يتم تخزينها، حيث يبدأ فصل الخريف في يوليو ويستمر حتى أكتوبر، يسجل شهر يوليو 113 مم ويصل قمته في أغسطس حيث يسجل 143 مم، وهذه الزيادة مرتبطة بالفترة التي تسيطر فيها الرياح الرطبة على المدينة، ثم تبدأ الأمطار في التناقص التدريجي ويسجل شهر سبتمبر 68 مم وأكتوبر 19 مم إلى أن يتلاشى تمامًا في بداية شهر نوفمبر. يتميز سقوط الأمطار في مدينة الأُبيّض بظاهرة الفجائية حيث تسقط الأمطار فجأة مصحوبة بالزوابع الرعدية والأعاصير الترابية (الهبوب)، والتي يصل متوسط سرعتها إلى 32 كلم وتنخفض الرؤيا إلى 200 متر، وتخف هذه الحدة كلما زادت نسبة التساقط خاصة في يوليو وأغسطس بعد أن ترتوي التربة وتنبت فيها الحشائش والأعشاب، وسقوط الأمطار في فصل الصيف هو السبب في ضياع نسبة عالية منه بالتبخر والتسرب في تربة المدينة الرملية.[6]

وخلال المسح الميداني الذي قام به الباحثون في مدينة الأبيض – بارا – الرهد – الدلنج – الدبيبات في الفترة من 21 25- يناير 20177م وزاروا مجموعة من الخزانات الخاصة بالمياه والتي صممت على أسس هندسية حديثة وعلى مستوى عالٍ من الجودة والسعة التخزينية. (انظر الصورة المرفقة)

تخترق المدينة بطولها من الجنوب إلى الشمال المجاري المائية والخيران الموسمية، وأهم خورين هما خور القبة الغربي وخور القبة الشرقي، ويمر الأول جنوب المدينة وشرق مقابر دليل ويسير شمالًا حتى يصل غرب حي القبة وغرب فولة عبيد، ثم منطقة الآبار إلى أن يصل فولة الجنزارة شمال المدينة ويصب فيه مياهه، أما الخور الثاني فيأتي من جنوب المدينة مارًا شرق حي القبة ويلتقي مع الخور الأول عند فولة الجنزارة، ثم يواصل سيره مخترقًا غابة الجنزارة شمال المدينة متوغلًا في منطقة البديرية، وتبدأ مياهه في الانحسار في منطقة أبو ضريس. تغطي مجرى الخورين رسوبيات من الطين والرمل والحصى، وتوجد في تفاوت طبقي منتظم يصل سمكه أحيانًا إلى 50 قدمًا، ويستفيد السكان من هذين الخورين في حفر الآبار للحصول على الماء.[7]

وأيضًا يتم الاستفادة من مياه الخريف بتخزينها في أشجار التبلدي (انظر الصورة المرفقة)





النقل والمواصلات:

توجد شبكة مواصلات داخلية تربط مدينة الأُبيّض بالأحياء والمحليات المختلفة داخل الأُبيّض الكبرى وما جاورها من القرى والمدن.

كما ترتبط الأُبيّض بشبكة كثيفة من الطرق تربط المدن بكردفان الكبرى وبقية أنحاء السودان، ومن أهم هذه الطرق:

طريق نيالا – النهود – الخوي ثم الأُبيّض والرهد وأم روابة وتندلتي، ثم يلتحم بالمحور النيلي عند مدينة كوستي.

طريق الأُبيّض – بارا – أم درمان.

طريق تاريخي كانت تلتقي فيه التجارة القادمة من أقصى الشمال من مصر وأقاليم البحر المتوسط في مدينة الأُبيّض عبر درب الأربعين، وآخر يأتي من أقصى الجنوب من الأرض الغابية.

طريق يبدأ من حواف شبه الصحراء مارًا بالجنينة والفاشر وأم كدادة ورارا ثم الأبيض.

طريق الأُبيّض – الدلنج.

طريق الأُبيّض – الخوي – النهود – نيالا.

طريق الأُبيّض – أبو زبد – رجل الفولة – أبيي.

طريق الأُبيّض – سودري.

طريق الأُبيّض – أبو زبد – بابنوسة – الضعين.[8]

وأيضًا من خدمات النقل الموجودة داخل مدينة الأُبيّض، نجد القطار الذي وصل رأس الخط الحديدي إليها في 1911م، وكان وصول الخط الحديدي يعني ارتباط كردفان وأسواقها الرئيسية بكل من حلفا الميناء النهري وبورتسودان الميناء البحري. ويمتد الخط مسافة 689 كلم، وهي المسافة بين الخرطوم والأُبيّض.[9]

وفي مجال النقل الجوي يوجد مطار في مدينة الأُبيّض يعمل على نقل الركاب خاصة في السفريات الداخلية. ولكن من الملاحظ أن حركة الطيران قليلة جدًا، وربما يعود ذلك لوفرة البصات السفرية ووقوع الأُبيّض في منطقة وسطى مما جعل الحركة إليها ميسرة.

السكان:

أهم ما يلاحظه الزائر إلى مدينة الأُبيّض العفوية التي يتعامل بها سكان المدينة مع الغرباء والاستعداد الدائم للرد على استفساراتهم دون ضيق أو ملل، بالإضافة للثقافة العالية التي يتمتعون بها في جميع دروب المعرفة.

وقد جرت أول دراسة لسكان مدينة الأُبيّض في العام 1965/64م من خلال المسح

الميداني، وتم تقسيمها إلى أربعة أقسام كل قسم يضم عددًا من أحيائها.

الجدول التالي يوضح توزيع السكان على الأحياء:

القسم أو المنطقة	الأحياء التي يتضمنها القسم	مجموع السكان بالنسمة	
		1965/64	1973
وسط المدينة	الدرجة الثالثة، حي الفلاتة، الربع الثاني شرق وغرب المدينة، حي السودنة، المنطقة الصناعية، منطقة السوق، الميدان الكبير، المنازل الحكومية.	13.678	16.379
شرق المدينة	المنطقة العسكرية غرب السكك الحديدية، منطقة السجن الجديد، الدرجة الثالثة الجديدة، البترول، حلة أمير، منازل السكك الحديدية، قطاطي أمير.	5.892	15.2347
غرب المدينة	حي المعاصر، الجلاء، الشويحات، القبة، مساكن الشرطة الغربية.	10.125	14.177
شمال وجنوب غرب المدينة	حلة فلاتة، الناظر، فلسطين، ود إلياس، زندية، اليوم النصر، جبرونا، الرديف.	32.865	43.670
المجموع الكلي		62.560	89.573

نسبة الزيادة سنة 1973م عن 1965م حوالي 28.013 نسمة.

كما يوضح الجدول التالي توزيع سكان الأُبيّض خلال الفترة 1983م / 1993م:

السنة	العدد بالنسمة
1983م	141.528
1993م	229.425

ويوضح الجدول التالي عدد سكان الأُبيّض في آخر تعداد رسمي للسودان في العام 2008م حسب النمط المعيشي:

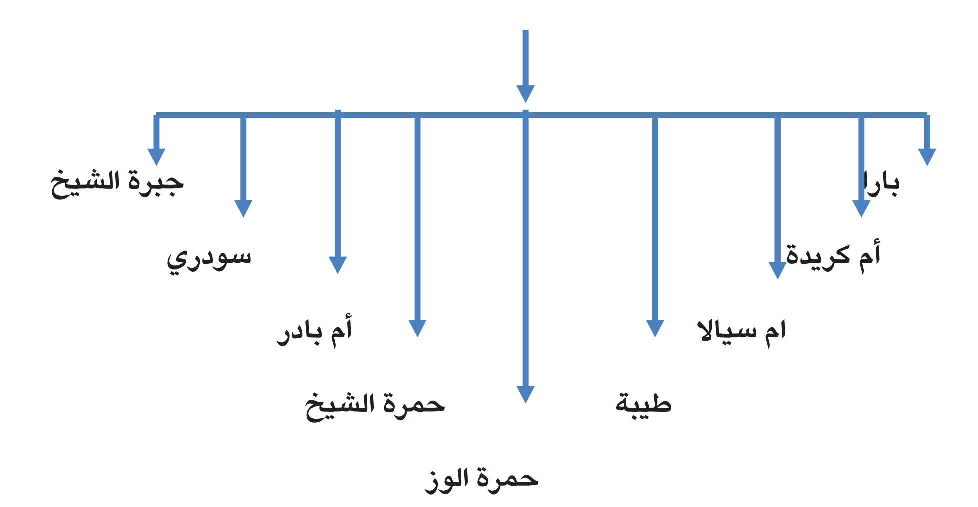
إناث	ذكور	الجملة
170.761	174.365	345.126

هناك ملاحظة لا بدّ من الإشارة إليها وقد تكررت كثيرًا، بخصوص الأحياء وأسماء القبائل القاطنة فيها، حيث يرد اسم حي فلاتة وهو بالأصح حي الهوسا، يوجد في الأُبيّض حي مترمي الأطراف قمت بزيارته خلال المسح لميداني لهذه المدينة. يشمل مصطلح الهوسا كل من تحدث هذه اللغة بصرف النظر عن جذورهم العرقية أو أماكن إقامتهم.[10]

التطور الإداري:

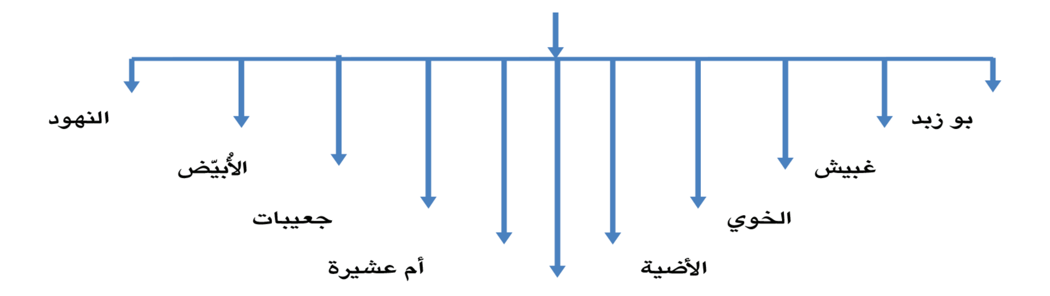
عندما تم تقسيم مديرية كردفان وفقًا لقانون الحكم الشعبي الإقليمي، شملت مدينة الأُبيّض العديد من المجالس في منطقة شمال كردفان كما هو موضح أدناه:

مجالس شمال كردفان



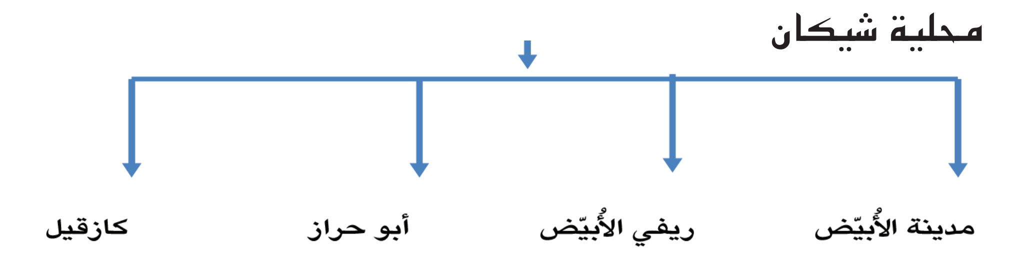
والشكل التالي يوضح مجاس وسط كردفان:

مجالس وسط كردفان



وبعد إقرار نظام المحليات، تم تقسيم مدينة الأُبيّض إلى أربع محليات تحت مسمى محلية شيكان كما هو موضح أدناه:

محلية شيكان



النشاط الاقتصادي:

تعتبر الأبيض من أهم مراكز العمران السودانية، فقد لعبت دورًا كبيرًا في النشاط التجاري لغربي السودان الذي يعتبر أهم مناطق الإنتاج الاقتصادي. إذ إن الأبيض مركزها التجاري كمصب لإنتاج الغرب المتمثل في الصمغ العربي والقطن والحبوب مثل السمسم والفول السوداني، وفي نفس الوقت فهي سوق لتجارة الماشية والإبل والأغنام. وهي أيضًا العاصمة الإدارية في هذا الجزء من القطر. وظهرت أهميتها بعد أن اتخذها الأتراك مركزًا إداريًا لهم وأصبحت مركزًا تجاريًا تتجمع فيه التجارة من كل أجزاء الغرب المختلفة مثل جلود الحيوانات التي كانت تشترى من البقارة، وسن الفيل من أرض الشلك في أعالي النيل بالإضافة إلى بعض الذهب وهي التجارة التي اهتم بها الأتراك في هذه المنطقة.[11]

الأحياء:

القبة، حي البترول، حي فلاتة (الهوسا)، الشهداء، فلسطين، الصحافة، صالحين، الدوحة، الشارقة، المطار، أمير، القلعة، كريمة، السوق.

الأسواق:

يوجد في الأُبيّض العديد من الأسواق الكبيرة مثل سوق المحاصيل، السوق الكبير ويضم في داخله أفرع كثيرة أشهرها سوق عبد الله بن مسعود الشهير بسوق أبو جهل وسوق فور وسوق كريمة وسوق الصالحين وسوق أبوشراء وسوق الناقة، بالإضافة إلى بعض الأسواق الصغيرة الموجودة داخل الأحياء.

دور العبادة:

يوجد في مدينة الأُبيّض العديد من المساجد الكبيرة أشهرها المسجد الكبير الذي يقع في الناحية الغربية من السوق، بالإضافة إلى العديد من المساجد داخل الأحياء السكنية، كما توجد العديد من الكنائس العريقة خاصة في وسط المدينة.

المناطق الأثرية والسياحية:

أشهرها غابة شيكان وسوق المحاصيل وسوق أبو جهل (عبد الله بن مسعود، ومتحف شيكان وسوق الناقة ومحطات تخزين المياه.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصل الباحث، إلى أن مدينة الأبيض نشأت عن طريق الصدفة، وتطورت من محطة التقاء للمسافرين والعابرين إلى قرية، ثم مدينة، وهي تعتبر من أعظم المدن السودانية من كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاسنراتيجية والسياحية إلخ ...

الهوامش:

(1) تخطيط المدن/4/1/4،دار الوثائق القومية.

(2) سمير أحمد محمد الحسن، مدينة الأبيض دراسة في جغرافية المدن، جامعة عين الشمس ، ماجستير، 1979م، ص 11.

(3) المرجع نفسه ، ص 12.

(4) عبد الله حامد العبادي، المرجع السابق، ص 101.

(5) سمير أحمد محمد الحسن المرجع السابق، ص 9 – 10.

(6) المرجع نفسه ، ص 27.

(7) المرجع نفسه ، ص 9 – 10.

(8) المرجع نفسه ، ص 97 – 8.

(9) صلاح الدين الشامي،السودان دراسة جغرافية، منشاة المعارف، الطبعة الثانية،1973، ص64.

(10) الإحصاء القومي، 2008م، دار الوثائق القومية /1/دار الوثائق ، التقرير النهائي لجنة إعادة النظر في تقسيم المديريات

(11) المصدر نفسه.

الملاحق



مسجد مدينة الابيض الكبير



مسجد في وسط المدينة



كنيسة مدينة الأبيض



كنيسة في الأبيض



جانب من متحف شيكان بمدينة الأبيض



متحف شيكان



سوق الأبيض



جانب من سوق الأبيض

الفصل الثالث

نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود

نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود

د. إنعام سليمان محمد إدريس
أستاذ مشارك – قسم الجغرافيا - كلية التربية- جامعة الزعيم الأزهري

المقدمة:

دأب الدارسون في جغرافية العمران على تقسيم المناطق الاستيطانية إلى قسمين هما المدن والقرى، وقد اختلف الجغرافيون في تحديد الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في التفريق بين المدينة والقرية خاصة أن كلًا منهما عبارة عن مساحة من الأرض شيدت عليها مجموعة من المساكن [1] ولا تعتبر ظاهرة التحضر ظاهرة حديثة فقد اهتدى الإنسان إلى العيش في المدن منذ آلاف السنين، وباعتماد الإنسان على الزراعة ظهرت أولى أشكال تجمعات السكان التي تطورت أخيرًا إلى قرى ثم إلى مدن.

إن الدين الإسلامي بطبيعته يشجع التجمع البشري وحياة الاستقرار والتحضر حيث إن الفروض الدينية ومنها صلاة الجمعة تنجز على وجه أتم في ظل حياة جماعية مدنية، والواقع أن الديانة الإسلامية ديانة حضرية كما أن روح القرآن في أساسها مدنية ضد حياة البداوة المتجولة، وقد صممت مبادئ القرآن الأساسية لتطبق على المجتمع الحضري بالدرجة الأولى، فالإسلام دين المدنية فصلاة الجمعة تتطلب التقاء الجماهير في مساجد المدن الرئيسية، كما أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى لحياة المدن أهمية دينية عندما أعلن للناس أن يتوجهوا إلى مكة والمدينة لاعتناق الإسلام. وبهذا يقصد ضمنًا تشجيع الهجرة ولاستقرار في المدن [2]

للعامل الديني في السودان دور في ظهور التصوف الإسلامي حيث أصبح يتخذ الشكل التنظيمي الجماعي ووجد على رأس كل طريقه شيخًا ولكل شيخ منهج وأسلوب يأخذ به مريدوه وأتباعه (زكي ،1938) [3]، وبدأ المريدون يتجمعون حول (الشيخ) فظهرت طرق متعددة في العالم الإسلامي [4]. لهذه الطرق الصوفية في السودان أثر واضح في نشأة القرى ولعبت دورًا بارزًا في تحول هذه القرى إلى مدن، ومن أبرز هذه الطرق الطريقة السمانية بمدينة طابت الشيخ عبد المحمود.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

1. كيف نشأت وتطورت مدينة طابت الشيخ عبد المحمود ؟
2. ماهى العوامل الجغرافية الطبيعية التى ساعدت على نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود ؟
3. هل العامل الديني (استقرار الشيخ عبد المحمود بالمنطقة) يعتبر من أهم العوامل التي أدت إلى نشأة ونمو مدينة طابت؟
4. هل كان لمشروع الجزيرة دور في زيادة حجم السكان ومساحة مدينة طابت؟
5. ماهو دور العامل الاقتصادي والاجتماعي في تطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث في:

1. لاحظ الباحث بعض التطور في النشاط الاقتصادي والخدمات المختلفة بمدينة طابت الشيخ عبد المحمود مما شكل لديه دافعًا للقيام بهذا البحث.
2. ركزت أغلب الدراسات على دراسة نشأة وتطور المدن الكبرى ولا تولي المدن الصغرى اهتمامًا في الدراسة.
3. الأدبيات الجغرافية في العمران لم تهتم كثيرًا بدراسة كيفية نشأة المدن الدينية وتطورها والتي تطورت وأزدهرت بسبب العامل الديني فلا بد من تشجيع الدراسين للقيام بمثل هذه الدراسات.

أهداف البحث:

يهدف البجث إلى الآتي:

1. التعرف على كيفية نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود منذ بدايتها كقرية صغيرة إلى أن أصبحت مدينة.
2. تحليل عوامل الجغرافيا الطبيعية والبشرية التى ساعدت على نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود.
3. التعرف على دور النشاط الاقتصادي والاجتماعي الذي أسهم في نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود.

الفرضيات:

تقوم هذه الدراسة على الفرضيات الآتية:

1. نشأت وتطورت مدينة طابت الشيخ عبد المحمود منذ بدايتها كقرية صغيرة حتى أصبحت مدينة بسبب العامل الديني الذي يمثل أقوى عامل من عوامل النشأة.
2. ساهمت العوامل الجغرافيا الطبيعية والبشرية في نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود.
3. يعدّ العامل الاقتصادي والاجتماعي من العوامل التي أسهمت في تطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود.

منهجية البحث:

استخدم البحث مناهج متعددة في معالجة الظاهرة المدروسة التي تتمثل في المنهج الجغرافي الشامل أهمها المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف نشأة مدينة طابت الشيخ عبد المحمود ووصف عوامل النشأة، كما تم استخدام المنهج التاريخي الذي عمد إلى الترتيب التاريخي في نشأة مدينة طابت الشيخ عبد المحمود منذ بدايتها كقرية صغيرة في الماضي وكذلك رصد التطورات التاريخية للنواحي الاقتصادية والاجتماعية المختلفة بالمدينة؛ مما يساعد على التحليل والتفسير والربط بين هذه النواحي في السابق والحالي.

طرق وأدوات الدراسة:

اعتمد البحث بصورة رئيسية على أساليب جمع المعلومات الأولية عبر العمل الميداني باستخدام الملاحظة واستخدام المقابلة مع عدد من المسؤولين وكبار السن بالمنطقة وكان الهدف منها هو جمع البيانات التي يحتاج إليها الباحث والتي يصعب الحصول عليها بالملاحظة، أما المعلومات الثانوية تم جمعها من بعض المراجع والكتب والدوريات الخاصة بجغرافية العمران والجغرافيا الحضارية وتم الحصول عليها من المكتبات إلى جانب بعض التقارير والمؤتمرات الخاصة بموضوع البحث.

نشأة مدينة طابت الشيخ عبد المحمود:

يمكن أن نناقش نشأة مدينة طابت عبر المراحل التالية:

1/ المرحلة الأولى قبل عام 1878م:

كانت عبارة عن مساحة واسعة توجد بها غابة كثيفة ملتفة الأشجار وغزيرة المرعى بين عفانه وأم دبيب تعرف باسم (أم دبيب)، يرتادها أصحاب المواشي من القرى المجاورة لها، ودلالة الاسم الأولى (عفانه) ينسب إلى قبيلة (العفاناب) [5] الذين كانوا أول الوافدين إليها للمرعى فيها فقط، بينما الاسم الثاني دلالته لكثرة الزواحف(الدبيب) فيها.

بينت المقابلات الشخصية أن هنالك عددًا من الرعاة المشهورين يفدون إليها باعتبارها مرعًى خصبًا في موسم الخريف من القرى المجاورة منهم: «الشيخ البشير الشيخ إبراهيم الدسوقي الشيخ أحمد الطيب « فقد كان مسكنه ومستقره في قرية (الفريجاب) التي تقع في الجنوب الغربي من هذه المنطقة، كما وارتادها (يعقوب ود حسن) فاختلفت الروايات في قريته التي يفد منها للمرعى هل من قرية (الربيق) [6] مكتب (تورس) الأن أو من(قوز الرهيد)؟، وكان أيضًا من الوافدين إلى هذه المنطقة «الحاج أبوسن الحمدي» كان صاحب ماشية كثيرة حفر الحفير حتى عرفت باسمه الآن (حفير يعقوب)، هؤلاء الوافدون من مناطق أو قرى على مقربة من منطقة (عفانة أم دبيب).

أما من الذين عرفوا هذه المنطقة من خارج نطاقها، منهم (الخشماب) ، فقد كان يمتد بهم المرعى من(جمعة) على النيل الأبيض إلى هذه المنطقة، فقد طابت لهم المنطقة، مرعى وسكنًا في موسم الخريف، فظلوا كثيري التوافد إليها. كل هؤلاء عرفوا المنطقة من قبل مجيء الشيخ عبد المحمود إليها. وكان لهم وجودهم فيها موسميًا كرعاة بالمنطقة.

كان من أكثر المرتادين إلى منطقة (عفانة أم دبيب) كمزارع موسمي عيسى ود محمد ود فضل ود نايل ود حمدان ود محمد «أبو خشوم» كان أكثرهم استقرارًا فيها في موسم الخريف للزراعة المطرية (البلدات) ، يأتي منقرية (أم دليبة) و تمتد مساحته الزراعية (تروسه) من قريته حتى (أم دبيب) [7]

يتضح مما ذكر أعلاه أن مدينة طابت كانت في هذه الفترة عبارة عن مساحة رعوية وغابات وأراضٍ زراعية مطرية مبانيها موسمية غير ثابتة من الشعر لا توجد فيها خدمات إلا مياه الشرب من الحفائر.

2/ المرحلة الثانية عام 1878 – 1880م:

ولد الشيخ عبد المحمود في قرية أم طريفي في ود رملي في شرق نهر النيل في عام1845م بعد وفاة والده الشيخ نور الدائم الشيخ أحمد الطيب في عام 1852م مكثوا في أم طريفي مدة سبع سنين، ومن بعدها رحلت بهم أمهم إلى الشيخ القرشي ود الزين بقرية طيبة الشيخ القرشي ود الزين غرب مدينة الحصاحيصا [8]وأقاموا فيها حتى عام1867م، ثم أذن لهم الشيخ القرشي ود الزين بالذهاب إلى قرية(أم طرفاية).وهي على مقربة من طيبة الشيخ القرشي التي تقع إلى الجنوب الغربي منها؛ نسبة لوجود بعض أبناء عمومتهم من السروراب.

كان الشيخ عبد المحمود أثناء وجوده في (أم طرفاية) التف حوله مريدون كثيرون من المناطق المجاورة ؛ نسبة لما عرف فيه من الخلق والدين، ومن بسط الإرشاد الذي كان الناس في تلك الفترة في حاجة إليه فارتفع سيطه وكثر المريدون من حوله وبقى الشيخ عبد المحمود في قرية أم طرفاية إثني عشر عامًا ثم حدثت له مضايقات كثيرة من بعض أهل أم طرفاية خوفًا على سلطانهم بسبب شهرته، وعندما رأى ضرورة أن يجد له مستقرًا آخر أوسع مكانًا ، اتجه إلى منطقة الغابة الكثيفة الأشجار (عفانة) و(أم دبيب) فارتادها منذ1292هـ باحثًا عن أرض يجعلها مقرا وينقل إليها أولاده ومريديه ثم كثر تردده إليها حتى اطمأن إليه، فعمل على الاستقرار فيها عام 1878م.

كان اختيار الشيخ لهذا المكان مناسبًا لاستقراره، فأي مكان في الأرض، هو(طبيعة وبيئة وإنسان) وبكثرة تردده على المنطقة تعرف على طبيعتها وبيئتها وإنسانها، فوجد طبيعة الأرض خصبة تناسب الزراعة والرعي، والسكان هم أصحاب أنعام وماشية، والمرعي من ضروريات حياتهم ويؤكد هذا توافد الناس إليها بمواشيهم من أبعد المناطق غير المقيمين فيها، وشبه المقيمين فيها، وأهل الجوار، أما عن السكان فقد وجد في المنطقة مجموعة من الخشماب يفدون إليها للمرعي وغيرهم من الرعاة، لقد وجد الشيخ عبدالمحمود ترحابًا من كل هؤلاء منهم من فضل السكن معه في هذه المنطقة. [9]

كان أول ما قام به الشيخ عند بداية سكنه أن غير اسم المنطقة إلى اسم طابت تيمنًا بمدينة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام. وبدأ المحبون والمريدون في إعداد المنطقة لسكناهم، فقطعوا الأشجار، وشرعوا في وضع اللبنات الأولى للمدينة بنوا أولًا

مستقر الشيخ وبيوته، ثم بيوتهم ومستقرهم، وكانت متواضعة من الطين والقش والخيام من الشعر وأكواخ من القصب وحسب المتاح آنذاك، كانت البيوت متقاربة متلاصقة، ثم حفروا البئر للسقيا وكان أول بئر يحفره الشيخ في مكان سكنه، والبئر موجود الآن في الحوش الواقع شرق بيت الشيخ محمد المبارك الشيخ عبد المحمود كما بنوا المسجد وخلوة القرآن وقد ذكر [10]كان المسجد الجامع محور الحياة والنشاط في المدن الإسلامية وكانوا يبدأون بإنشائه قبل أي بناء آخر عند تأسيس المدن الإسلامية، وما يلبث العمران أن ينمو حول المسجد. ثم بنى التكية والخلاوي الملاصقة له.

يعتبر عام 1878م بداية النشأة الحقيقية لمدينة طابت كنواة قرية مستقرة فيها الشيخ ومريدوه بعد أن كانت قطعة زراعية ملأى بالأشجار وأصبح السكن من مباني ثابتة من القش والطين والقصب بدلًا من بيوت الشعر المتحركة للرعاة، ثم اختار لها الشيخ عبدالمحمود اسمًا طيبًا مباركًا.

أصبح المسجد، المحور التعليمي والتربوي لنشاط الشيخ عبد المحمود علم الناس الفقه والتفسير والحديث والسيرة النبوية المطهرة، ثم أسس التكية والخلوة لحفظ القرآن الكريم والخلاوي وكانت مأوى من لا مأوى له، وهكذا أصبحت هذه المنطقة على تواضعها(مساحة وبناء) أصبحت مركزًا دينيًا وروحيًا وعلميًا، وسرعان ما تقاطر نحوها المحبون والمريدون من كل أنحاء السودان بل من كل قبائل السودان، وانصهروا جميعًا في وحدة منقطعة النظير.

3/ مرحلة حكومة المهدية-1881 1889م:

كان الأنصار يقصدون المدينة كل عام لتحصيل زكاة الزراعة والقطعان وكان يقوم بهذه المهمة رجل أو رجلان من سكان طابت يتم يعيينهما من إدارة المهدية وتسلم للمسؤولين حين قدومهم أرض طابت بالإضافة إلى إعانة سكان طابت للمهدية ماديًا أعانوها روحيًا وانخرطوا بها جنودًا واتباعًا في الحرب ضد الإنجليز. في هذه الفترة توسعت نشاطاتها الدينية والدنيوية على السواء وزادت مساحة المدينة بزيادة عدد المريدين وسكنهم حول الشيخ وزاد عدد طلاب العلم واتسعت الخلوة؛ ولكن مازالت المنازل عبارة عن طين وقش وخيام من الشعر وأكواخ من القصب. وهكذا نشأت طابت مدينة صوفية متدينة لأن مؤسسها كان صوفيًاعالمًا. وبنهاية عام 1899م انهزمت جيوش المهدية وبدأ الحكم الثنائي.

4/ مرحلة الحكم الثنائي-1899 1955م:

مكث الشيخ عبد المحمود بين أهله ومحبيه ومريديه في مدينته طابت قرابة الأربعين عامًا، وقد كانت وفاته في عام 1333هـ/1915م رحمه الله، وقد خلفه من بعده ابنه الشيخ عبد القادر الجيلي، وقد نهل من علم والده، ولقد كان عالمًا فقيهًا، وأنشأ في بداية خلافته معهدًا علميًا، وكانت بداية في داخل المسجد وذلك في عام 1937م ثم انتقل إلى الغرف المجاورة للمسجد، الواقعة شرق المسجد، وذلك في عام 1953م،

توفرت الظروف الطبيعية من موقع ومناخ وتربة بمنطقة طابت لذا تعتبر الزراعة المطريه أول الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة وذلك قبل قيام مشروع الجزيرة حيث تقسم الأرض إلى مساحات محددة تحجز فيها مياه الأمطار(الترس) لتمارس عليها الزراعة وتعرف بالبلدات. ثم تطورت إلى زراعة مروية إذ شهدت هذه الفترة قيام مشروع الجزيرة عام1925م حيث كان له الأثر الكبير في استقرار العديد من السكان بمدينة طابت وبذلك تحول المجتمع من المجتمع الرعوي غير المستقر إلى المجتمع الزراعي المستقر فزادت الرقعة الزراعية وتوسعت وقسمت إلى مزارع ومع إقامة المشروع دخلت الآلات الحديثة في الزراعة. هذه التطورات قللت عدد العاملين بالزراعة فاتجه العمال لأعمال أخرى كالتجار وغيرها. [11] ظلت طابت مثل قرى الجزيرة الأخرى الكبرى التي توسعت بسبب المشروع حتى عام 1932م.

ثم خططت مدينة طابت في الفترة ما بين عام 1945-1955م فتحولت شوارعها إلى شوارع كبيرة وبدأت تظهر فيها مظاهر المدينة، وبعد ذلك بدأت الخدمات تتطور فيها وبعد ذلك توسعت عمرانيًا فبدأ البناء فيها بالجالوص والطوب الأخضر ثم تطور البناء فيها إلى الطوب الأحمر والأسمنت، ثم تطور البناء بالأسمنت فأصبح يبنى بالطوب الأحمر بدلًا من الطوب الأخضر الذي يُقوى بالأسمنت وظهر بناء السقف بالحديد «المسلح». وكان البناء حسب خرطة توضح مساحات الغرف والمرافق الأخرى.

بعد هذا التوسع الكبير للمدينة أصبحت مدينة طابت تضم عددًا من الأحياء على حسب تعداد (2008) وهي: حي الشهداء –حي السلام(حلة سعيد سابقًا)- الحي الأوسط حي القبة-حي الحقنة –حي النجاضة – الحلة القديمة – الحلة الجديدة (أ)-الحلة الجديدة(ب)-حي النصر – حي الامتداد) قرية أم دبيب سابقًا)– حي الموظفين. شيد في تلك الأحياء عدد من المساجد مثل مسجد طابت العتيق، مسجد الختمية، مسجد حي

النصر، مسجد الحلة الجديدة، مسجد مجمع الشيخ الجيلي، وتبعًا لذلك تعددت في مدينة طابت الخدمات والمرافق العامة التي سيتم تفصيلها لاحقًا.

5/ **مرحلة الحكم الوطني 1956م -2022م:**

في هذه المرحلة انتقل المعهد العلمي إلى مبناه الذي خصص له في عام 1957م وهو المبنى الذي تشغله الآن مدرسة السيدة صفية الثانوية للبنات، وكان لخلوة القرآن الكريم نصيبها من التوسع والازدياد فتطورت الخلوة وتوسعت رأسيًا لمعهد علمي انظر صورة (1) ، وقد كان طلابها يشغلون الساحة الشرقية للمسجد بكاملها. يقرؤون القرآن الكريم في التهجد والسحر إلى شروق الشمس، ثم ينتقلون إلى داخل غرف الخلاوي، وعند الغروب يملأون الساحة الخارجية إلى ما بعد صلاة العشاء يلتفون حول (التقابة). وتوسعت المدينة وزاد حجم سكانها بسبب مشروع الجزيرة وتنوع المحاصيل فأنشأت إدارة المشروع الخدمات الاجتماعية من مياه وصحة وكهرباء وطرق في مدينة طابت، وكذلك تم إنشأ السوق فأصبح السكان يأتون للتسوق والعمل داخل السوق، فأصبحت مدينة طابت مدينة دينية وتجارية مما ساهم في تطور ونمو المدينة بصورة أسرع.



صورة رقم(1) مجمع الشيخ الحفيان لتعليم القرآن بمدينة طابت



المصدر :العمل الميداني 2022 م

العوامل الجغرافية التي ساعدت على تطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود:

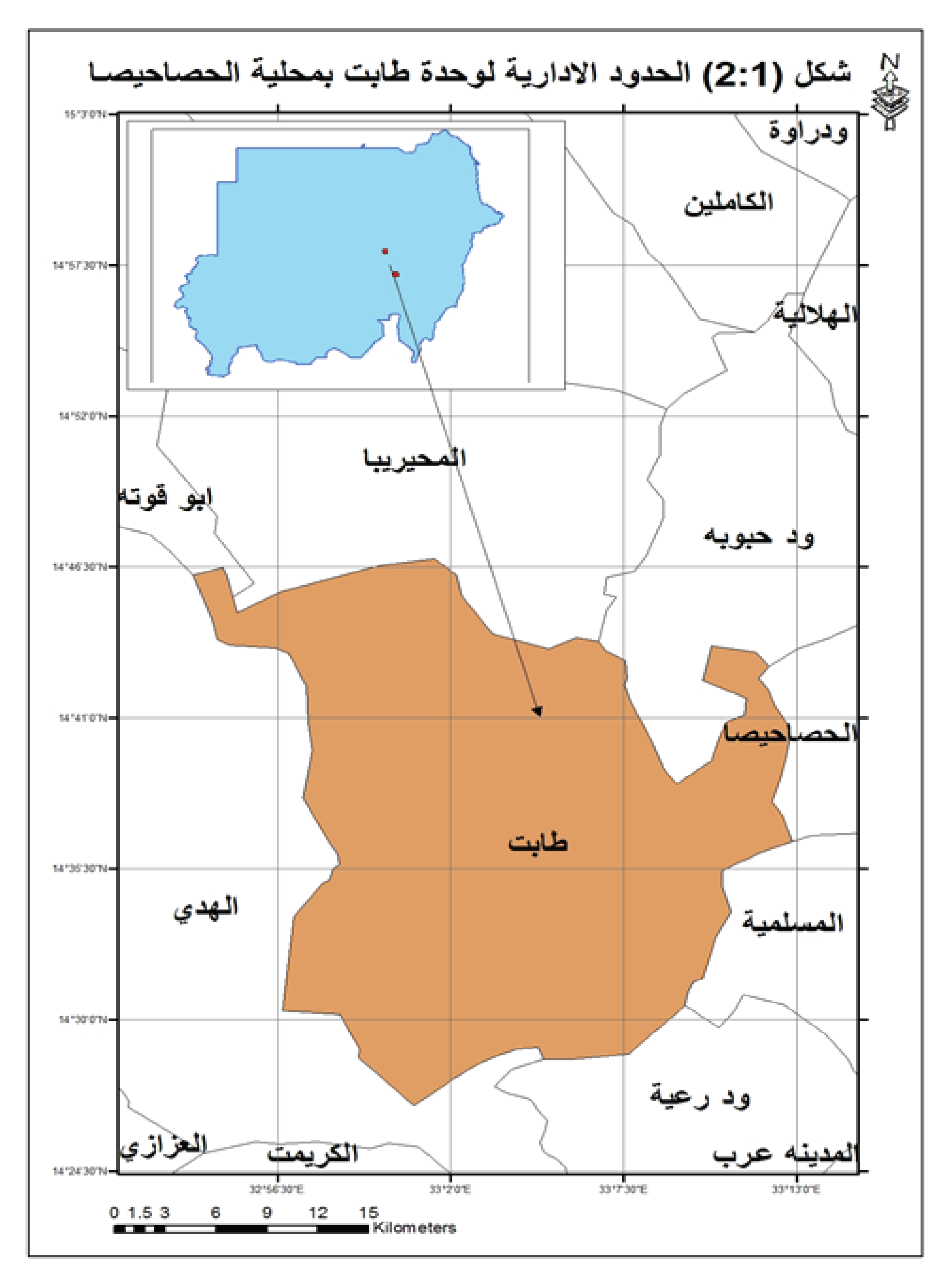
تخضع المدن في نموها لكثير من العوامل التي يتصل بعضها بالموقع والعوامل الطبيعية ويضاف إلى ذلك حجم ونمو السكان ومدى اجتذاب المدينة لسكان جدد بالهجرة من الريف أو المدن الأخرى، هي أيضًا عوامل تؤدي إلى الحاجة المستمرة في زيادة المساحة المبنية سواء في شكل مساكن أومنشآت ومرافق واستخدامات عامة تفي بحاجات السكان وتتمشى مع زيادة أعدادهم [12].

تشتمل على الآتي:

ا /عوامل الجغرافية الطبيعية:

تقع مدينة طابت في وحدة طابت محلية الحصاحيصا التابعة لولاية الجزيرة بين دائرتي عرض47´ °14ش25´ °14 وخطي طول°32ق 13´ °33ق ، أما بالنسبة للموقع الجغرافي، فتحدها من الشمال الشرقي وحدة ود حبوبة ومن الناحية الشمالية وحدة المحيريبا وأبوقوتة من الناحية الشمالية الغربية والهدى من الناحية الغربية والجنوبية الغربية ووحدة ود رعية من الناحية الجنوبية الشرقية أما من ناحية الشرق وحدتا المسلمية والحصاحيصا، أما مدينة طابت فتقع على بعد 28 كلم تقريبًا غرب مدينة الحصاحيصا شكل(1)، كما تبعد مسافة تقدر بحوالي 33 كلم عن طريق الخرطوم مدني، تحدها من الشمال ترعة عفانا –المزارع –حلة سعيد ومن الجنوب ترعة أم دبيب-قرية ود بللو من الشرق المزارع –قنطرة حاج نصر قرية صراصر أمطرفاية-أم تريبات ومن الغرب المزارع وقري الزبيرات وحلة سعيد الجديدة. تتبع لوحدة طابت أكثر من مئة قرية وجميعها منتشرة حول مدينة طابت.

هذا الموقع موقع وسط جعل مدينة طابت سهلة الارتباط بعلاقات مكانية بالمدن التي تحيط بها مثل مدينة الهدى والعزازي وود رعية والكريمت والمسلمية والمناقل والحصاحيصا التي تربطها بالطريق المسفلت القومي الذي يربطها بالخرطوم ومدني والقضارف وكسلا و بورتسودان.



المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء 2008 بتصرف حوسبة الباحث

أما بالنسبة للتضاريس فإن مدينة طابت جزء من سهول الجزيرة حيث تقع في منطقة سهول مسطحة تخلو من الجبال والتلال [13] مما سهل مد الطرق المسفلتة كالطريق الغربي الذي يربطها مع الفريجاب والهدى والعزازي (الذي يبعد عنها الطريق نحو 6 كلم تقريبًا) والطريق الشرقي الذي يربطها بمدينة الحصاحيصا كما ذكر سابقًا، كما أن هذا السطح مهد لمد الطرق الترابية الذي تربطها بكافة ريفها وخارج إقليمها، كما أن السهول تعتبر من أكثر مظاهر السطح انتشارًا للعمران دون وجود أي مناطق خالية من السكان لذلك كمدينة طابت التي تحيط بها المحلات العمرانية في كل الاتجاهات.

أما بالنسبة للمناخ والنباتات الطبيعية، فالمنطقة تقع أيضًا ضمن ولاية الجزير التي تقع في النطاق الأوسط الذي يقع في النطاق الجاف.. فهي نطاق يقرب من نطاق إقليم السافنا قليل الأمطار والشبه صحراوي، الذي يتسم بفترة المطر القليل الذي يستمر ثلاثة أشهر قمتها في شهري أغسطس وسبتمبر ويتميز بدرجة حرارة تنخفض مرتين الأولى في فصل الشتاء والثانية في فصل المطر. وترتفع الحرارة في فصل الصيف وتصل أقصاها في مايو ويوليو [14] يمثل موسم المطر عائقًا للطرق الترابية يقلل حركة السكان نحو مدينة طابت، فتصبح شبه مقفولة في هذا الموسم.

أما بالنسبة للتربة فإن مدينة طابت جزء من تربة الجزيرة والتي تتميز بالشقوق العميقة التي تسمح بمرور الهواء والماء داخلها، ويمتاز هذا النوع من التربة بخاصية التمدد عند غمرها بالمياه والانكماش والتشقق في حالة الجفاف. هي من التربة التي تتميز بدرجة الخصوبة العالية بعد التسميد، ويوجد فيها الجبص بكميات كبيرة وهي تربة صالحة للزراعة خاصة محصول القطن [15] مما جعل الأراضي الزراعية حول مدينة طابت ذات إنتاجية عالية مما جعل مدينة طابت مدينة تسويق(تجارية) للمحاصيل الزراعية بالمنطقة، كما ساعد هذا النوع من التربة على استقرار السكان لممارسة الزراعة وبالتالي مهدت لتوفير مصدر ثابت للدخل.

إنّ الغطاء النباتي الذي يتضمن شجيرات السافنا الشوكية التي تقع بين دائرتي عرض 10 - 14، في السودان بصفة عامة تنتشر فيه مدينة طابت بصورة أوسع واستغل كمراعٍ طبيعية لسكان المنطقة والمناطق المجاورة لها كما ذكر سابقًا في هذا النطاق. وقد قلت المساحات بعد ممارسة النشاط الزراعي خاصة بعد إنشاء مشروع الجزيرة ما ساعد على توافر الاستقرار والعمران بالمنطقة، كما تم استخدام الغطاء النباتي في الإنارة.. استخدمت

الأخشاب في إقاد نار القرآن (التقابة) لقراءة القرآن الكريم وحفظه وأيضًا في إنتاج المهيوبة في المسيد التي تقدم كغذاء ومشروب للزائرين ولكن استعيض عن ذلك حديثًا بعد تطور المدينة باستخدام الغاز وقد كانت تستخدم أيضًا في الإنارة في الخلوة ولكن استخدمت الكهرباء بدلاً عنها.

2/عوامل الجغرافية البشرية:

تشتمل على الآتي:

1/حجم سكان مدينة طابت:

يتكون سكان مدينة طابت من عدة عشائر عريقة أقامت في المنطقة، كعشيرة الخشماب وهي عشيرة السيدة عائشة بنت علي بن زمراوي بن عبد الدافع بن محمد بن خشوم، زوجة الشيخ عبد المحمود الذي سميت المدينة باسمه، وأيضًا مجموعة من القبائل مثل عشيرة الجرونة، والدناقلة، والبديرية، الشايقية، والجعليين، والكبابيش، والنوبة، والشكرية [16]

الكثافة السكانية لمدينة طابت توضحها المعادلة التالية، حيث إن الحدود الإدارية لطابت لم تتغير بمعنى آخر ظلت المساحة ثابتة2,5 كلم2 ، بينما زاد عدد السكان بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة والنزوح لوجود الطريقة السمانية بطابت التي عملت علي جلب المريدين للطريقة من مناطق السودان المختلفة للاستقرار مع الشيخ عبد المحمود إضافة لقيام مشروع الجزيرة والذي كان له الدور الكبير في جذب أعداد إضافية من السكان للعمل بالزراعة. وبناء على تعداد السكان لعام 1993 [17]م فإن الكثافة السكانية لطابت تكون كما يلي:

عدد السكان بطابت/مساحة طابت بكلم2 تساوي 9934 /2.5كلم2 تساوي 3,974 شخص /كم2

وبناءعلي تعداد السكان 2008م [17] فإن الكثافة السكانية لطابت تكون كما يلي: عدد السكان بطابت/ مساحة طابت بكلم2 تساوي 2.5/14,685كلم2 تساوي 5,874 شخص/ كم2 يلاحظ زيادة الكثافة وذلك نظرًا لزيادة السكان وثبات المساحة.

2/العامل الديني:

كان لاستقرار الشيخ عبد المحمود بالمنطقة مع عدد من المريدين للطريقة السمانية

سببًا في نشأة مدينة طابت وتطورها، كما استقر معه بعض من أبناء عمومته السروراب وقبيلة الخشوماب كما ذكر سابقًا(في بداية النشأة) بالإضافة إلى استمرار حركة الارتياد للمريدين حتى الآن.

3/ مشروع الجزيرة:

يعتبر قيام مشروع الجزيرة عام1925 من أهم عوامل تطور مدينة طابت ونموها واستقرارها حيث عمل معظم السكان بالزراعة ووفدت بعض القبائل التي تمارس الزراعة للمدينة مما ساهم في زيادة عدد السكان مما ساعد على اتساع العمران بالمدينة.

دور العامل الاقتصادي في تطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود:

يتجمع السكان في المدن لممارسة وظائف محددة حتى أن الوظيفة هي مبرر لوجود المدينة، وتتمثل هذه الوظائف في الأنشطة المختلفة التي تقوم بها المدينة [18].

للعامل الاقتصادي دور كبير في زيادة القدرة المادية لمدينة طابت الشيخ عبد المحمود، فقد كان معظم سكان طابت يمتهنون الرعي والزراعة، وتطورت هاتان المهنتان وخاصة الزراعة إضافة للرعي، وكان لقيام السوق أثر كبير في نمو العامل الاقتصادي حيث عمل جزء من السكان في التجارة، كما جاءت إلى المدينة كثير من القبائل التي تعمل بالتجارة، وقد ساهم طريق الحصاحيصا الفريجاب في النمو الاقتصادي لمدينة طابت الشيخ عبدالمحمود، وتعددت الأنشطة الاقتصادية بمدينة طابت وشملت الزراعة، الرعي، التجارة بالإضافة للصناعة، سنناقشها بشيء من التفصيل.

الزراعة:

توفرت الظروف الطبيعية من موقع ومناخ وتربة بمنطقة طابت لذا تعتبر أول الأنشطة في المنطقة وقد كانت قديمًا توجد الزراعة المطرية قبل قيام مشروع الجزيرة:

يعّد قيام مشروع الجزيرة عام1925م من أهم عوامل تطوره ونموه مدينة طابت وذلك بازدياد عدد السكان واستقرارهم حيث عمل معظم السكان بالزراعة فوفدت لمنطقة طابت مجموعة من القبائل للعمل في الزراعة، ثم تطورت الزراعة بعد قيام مشروع الجزيرة إلى الزراعة المروية التي تعتبر زراعة بالري الإنسيابي طول العام مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية باستخدام الدورة الزراعية، وشملت محاصيل الذرة والقمح والفول السوداني والخضروات والفواكه بالإضافة لمحصول القطن [19].

الرعي:

حرفة الرعي نشاط قديم مارسه السكان في المراعي الواسعة منذ النشأة، ولكن مشروع الجزيرة أثر على النباتات الطبيعية بسبب التوسع الزراعي المروي، ولكن بقايا المحاصيل بعد الحصاد والأراضي البور اللتان تشكلان مراعي طيبة للثروة الحيوانية بالمدينة والريف الذي يتبع لها تستفيد منها مدينة طابت في المنتوجات الحيوانية.

التجارة:

تعتبر النشاطات التجارية من أهم الوظائف التى تقدمها المدينة ليس لسكانها إنما للجماعات التى تقطن خارج حدودها، كما أنها من الأسباب الرئيسية التي تجذب السكان إلى العيش في المدن.

كشفت المقابلات الشخصية أن التجارة بمدينة طابت بدأت قليلة مقارنة بالزراعة والرعي، وكانت في البداية تعتمد على نظام المقايضة بتبادل السلع بين المزارع والتاجر وهي تتمثل في الذرة والقمح, التي يقدمها المزارع للتاجر مقابل سلع أخرى كالسكر والشاي والزيت وغيرها من الاحتياجات كان يتم ذلك في دكاكين مبنية من الطين وبعض من الرواكيب، خاصة وأن الوظيفة التجارية تعّد أساسية في حياة المدن [20]. وخاصة السوق الذي عرفه أرباب بأنه هو المكان الذي يقام في مكان وزمان معلومين ويكتسب صفة الانتظام وهو إما أن يكون أسبوعيًا أو نصف أسبوعي أو نصف شهري فضلًا عن أسواق تنصب مرة في العام وتستمر أيامًا وتنشأ الدورية من عوامل مختلفة تؤدي إلى صعوبة قيام سوق يومية منتظمة مثل صعوبة حركة النقل [21]، فقد كانت البداية الحقيقية للتجار بمدينة طابت في الخمسينيات عندما تحولت الدكاكين الصغيرة إلى بنايات من الطوب الأحمر في بداية السبعينيات واتجه معظم السكان للتجارة وأصبح السوق سوقًا مستديمًا وأسبوعيًا يوم الأحد والأربعاء ويرتاده السكان من جميع المدن والقرى وأصبح مصدر دخل أساسي لمعظم السكان في المنطقة. ونسبة لازدياد كمية التجارة ونمو المنطقة فتطور السوق إلى سوق متخصص مثل سوق الخضر والفاكهة وسوق الحبوب وسوق مخصص لبيع الماشية، وكذلك سوق خاص بالأواني المنزلية والحدادة والنجارة ومحلات لبيع البهارات والزيوت، سوق خاص بتجارة النساء وغيرها، ويوجد سوق للدلالة تباع فيه بعض البضائع المستعملة من مختلف السلع [22]، ويكتظ السوق بالسكان الوافدين

من القرى المجاورة وذلك لشراء احتياجاتهم وبيع بضائعهم وبيع وشراء المواشي والذرة ويشهد السوق في قمته حركة تجارية لا تتأتى إلا في هذين اليومين كما يزيد عدد المراجعين للمستشفيات والمجلس ودار القضاء والمحكمة التي تنعقد في يومي الأحد والأربعاء يومي السوق، لذلك يزداد عدد سكان مدينة طابت بازدياد عددهم في هذين اليومين وتكثر حركة النقل، وتكثر [23] مساهمة الزائرين لمركز الطريقة السمانية بالمدينة في زيادة حركة السوق خاصة في فترة الاحتفالات الدينية، وخاصة من القرى القريبة كقرية وادي شعير وفطيس والفريجاب وغريقانه، كما يمثل مسيد الشيخ سوقًا يوميًا للزائرئن من المناطق القريبة وقمته يومي السوق وكلما كان للزائر حاجة للسوق يصل المسيد للزيارة ويتضح ذلك بأنه في يوم السوق يكون مسيد الشيخ عبارة عن موقف صغير لنقل الزائرين من وإلى السوق.

الصناعة:

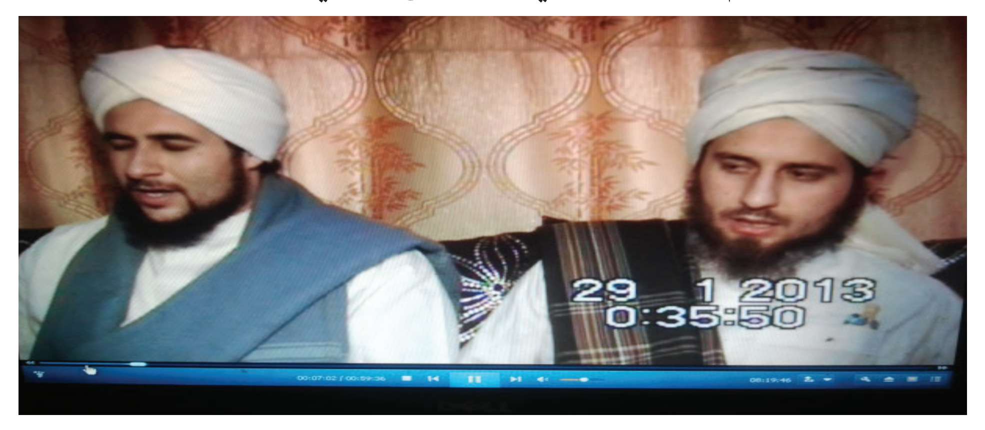
ارتبطت الصناعة بالمدن منذ نشأتها، وتعد الصناعة جزءًا مهمًا من الأساس الاقتصادي لكثير من المدن وخاصة المدن الكبرى [24] تتسم طبيعة المدن، وبخاصة الكبيرة منها، مع قيام النشاطات الصناعية لأنها تتصف بكثير من عناصر الإنتاج الصناعي كالأيدي العاملة ورؤوس الاموال، بالإضافة إلى اعتبارها عقدة تلتقي عندها طرق النقل التي تجلب إليها المواد الأولية من مناطق واسعة وتنقل منها المواد المصنعة إلى المراكز [25]. والصناعة قديمة في كثير من المدن، وتوجد بمدينة طابت مجموعة من الصناعات الصغيرة لسد حاجة سكان المنطقة متمثلة في مجموعة من الصناعات الخفيفة الصغيرة كصناعة عصر الحبوب الزيتية وبلغ عدد العصارات سبع عصارات وكذلك قشارات للحبوب مثل الفول السوداني وبلغ عددها خمسة وتوجد أربع ورش حدادة ونجارة ، وكما نشأت فيها الصناعات الخفيفة ذات المنشآت الكبيرة تتمثل في مصنعين للحلويات والطحنية ومصنع للشعيرية وهناك مصانع للصابون [26]

السياحة:

يعتبر النشاط السياحي من أهم الأنشطة الاقتصادية والموارد المهمة في كثير من الدول حيث يشكل دعامة قوية وخاصة في الدول التي تحظى بتاريخ عريق وبها موروثات حضارية ودينية [27] وساهمت في ذلك إقامة الشيخ عبد المحمود بمدينة طابت لاهتمامه

بالتعليم الديني حيث بنى المسجد وأسس فيها خلاوي القرآن الكريم مما خلق مكانة معنوية كبيرة لها.. وهذا العامل الديني أثر تأثيرًا كبيرًا في مدينة طابت حيث إزداد بها عدد السكان من مختلف أنحاء السودان وأيضًا من خارج السودان..انظر صورة (2) فأصبحت مدينة طابت مدينة سياحية دينية يتزايد أعداد الزوار للشيخ في أيام الأعياد والمواسم الدينية.


صورة رقم(2) وفد بريطاني يزور الشيخ الجيلي بمدينة طابت



المصدر: العمل الميداني2022 م

تؤكد ذلك الدراسة الميدانية في أن عدد المرتادين في موسم المناسبات الدينية تبلغ نسبتهم 50% وتمثل أعلى نسبة من مجموع الزائرين وتتمثل في حضور احتفالات موسم شهر رجب وتبلغ نسبة من يزور مركز الطريقة السمانية بمدينة طابت في رجب والمولد النبوي الشريف 27% وتقل نسبة الزائرين لمدينة طابت في العيدين حيث تبلغ نسبتهم 23% وأسهم ذلك في تنمية مدينة طابت اقتصاديًا خاصة في التجارة لتلبية احتياجات المردين الوافدين في موسم الأعياد والمناسبات. هذا وقد عرفها بعض الجغرافيين بما يعرف بنمط سياحة المناسبات وهي التي تقوم على الاعتماد على المناسبات الدينية والاحتفال بالأعياد الدينية. [(28)]

يتضح من المقابلات الشخصية أنه كلما زادت المسافة من مدينة طابت قل حجم الزائرين ويعود ذلك لبعد المكان وارتفاع سعر التذكرة ..هذه الصعوبات أدت إلى تقليل عدد الزائرين من المناطق البعيدة في السودان خاصة من ولاية كردفان والبحر الأحمر ونهر النيل.

عند خلافة الشيخ الجيلي(تلميذ الأستاذ الشيخ محمد ود البدوي والذي أخذ العلم عليه وقام الشيخ بتدريس العلم والفقه (29)قام بتوسيع وتجديد بناء المسجد ليسع أكبر عدد ممكن من المصلين وخاصة في فترة الأعياد (30) قارن بين الصورة رقم (3) والصورة رقم (4) كما جدد بناء أضرحة أجداده قارن بين صورة رقم (5) وصورة رقم (6) ووسع المضيفة حيث قام بإنشاء مضيفات جديدة لاستقبال الوفود الداخلية والخارجية، انظر صورة رقم(7)، وكان عالمًا جليلًا ومتميزًا تخرجت على يديه أجيال كثيرة [31].

كل ذلك ساعد في تكوين صورة ذهنية جيدة تجسدت فيها القيم والمعتقدات الدينية مما شكل دافعًا لجذب الزائرين من داخل وخارج السودان، ويظهر ذلك من خلال الوفود المتعددة الجنسيات التي تأتي لزيارة مشيخة الطريقة السمانية بمدينة طابت، انظر الصورة رقم(2) ، ويؤكد ذلك ما ذكره (سميث/32) (Smith ،1983) عن أهمية الصورة الذهنية في حجم التدفق السياحي نحو أي مكان يقصده الفرد.

صورة رقم(3) المسجد والأضرحة قبل خلافة الشيخ الجيلي بمدينة طابت



المصدر العمل الميداني: 2022م

صورة رقم (4) مسجد الطريقة السمانية بمدينة طابت بعد التجديد



المصدر: العمل الميداني 2022م

صورة رقم(5) ضريح الشيخ عبد المحمود من الخارج قبل التجديد بمدينة طابت



المصدر: العمل الميداني 2022م

صورة رقم(6) ضريح الشيخ عبد المحمود من الخارج بعد التجديد



المصدر: العمل الميداني 2022م

صورة رقم (7) توسيع المضيفة لاستقبال الوفود الداخلية والخارجية



المصدر: العمل الميداني 2022م

ويؤكد (إدريس، 2013) [33] أن أعلى نسبة للزائرين لحضور الاحتفالات الدينية للطريقة السمانية بمدينة طابت من المناطق المجاورة ، نسبة لسهولة الوصول إلى طابت وقرب المكان وخاصة الزائرين من قرى غريقانة وفطيس والفريجاب وأبوعدارة ومن جميع قرى الإقليم المحيط بطابت حيث توجد بها عدد من المواقف التي تستخدم للنقل العام وربطها بالمناطق المختلفة مثل موقف ووادي شعير والهدي وأبوقوتة والمحيريبا والمناقل والعزازي وسرحان ويتفق ذلك مع ما ذكره (بيرث 34) (Pearce،1981) إن المسافة بين النية والقرار والفعل قد تطول لمختلف الأسباب وتوجد عقبات تؤثر في السفر أو عدمه وأيضًا من ناحية وسيلة السفر ومدته، وبالإضافة للسياحة الدينية يقوم الزائرون بالاستفادة بصورة أكبر من الخدمات والسلع الموجودة بالمدينة وذلك كما ذكر (Mclntosh and 35) (Goldner 1990) أن الإنسان عادة يفضل السفر إلى المكان الذي يتحقق فيه أكبر عدد من الأهداف والغايات ويؤكد ذلك [36] أن بعض الزائرين كانت زيارتهم بالإضافة لزيارة الشيخ كانت لأسباب إقتصادية كالبيع في المسيد حيث يمثل مركز طابت سوقًا جاذبًا لبعض التجار وذلك لزدياد عدد السكان في المدينة بزيادة أعداد الزائرين الشيء الذى يمثل قوة شرائية عالية وخاصة للبضائع ذات الطابع الديني مثل الكتب الدينية والسبح وصور المشايخ وغيرها.

دور الخدمات الاجتماعية في تطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود:

أورد (جابر،2006) [37]أن المدن ظهرت لتقوم بوظائف مركزية. يظهر ذلك في توفر الخدمات المختلفة التى تقدمها المدينة نحو سكانها وسكان المناطق المجاورة. وتشتمل على الآتي:

1/الخدمات التعليمية:

بدأ التعليم بمدينة طابت بالتعليم الديني وكان أول عمل قام به الشيخ عبد المحمود ومريدوه بناء الشيخ عبد المحمود جامعًا وخلوة لتدريس المريدين القرآن الكريم وعلومه حتى يستطيعوا نشر تعاليمهم في مناطق أخرى وأسست أول خلوة بطابت على يد الشيخ عبد المحمود مع تأسيسه للمدينة مباشرة ثم أسس الشيخ عمر الشيخ عبد المحمود ثاني خلوة في عام 1936م [38]، ثم أسس بعد ذلك المعهد الديني

في عام 1946م وقد طوره الشيخ الجيلي 2000م انظر صورة رقم (1) وفق مؤهلات علمية عاليه، بني في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة في مساحة تبلغ أربعة آلاف وستمائة متر مربع ، وبه مسجد كبير وبه مطبخان واستراحتان للضيوف، ويضم طلاب العلم من كل بقاع السودان للعلم والمعرفة الدينية (39) والدين بالخلاوي التى أقامها الشيخ عبد المحمود كما ذكر سابقًا.

أما بالنسبة للتعليم النظامي الحديث ظهر التعليم بمدينة طابت في تأسيس وبدء نوع من التطور في التعليم فتأسست مجموعة من المدارس تضم المدرسة الصناعية التي تأسست عام 1929م ثم مدرسة حسان بن ثابت للبنين تأسست عام 1937م وتعتبر هي المدرسة الأم بالمنطقة، بالإضافة إلى مدرسة لقمان الحكيم بنين للأساس وتأسست عام 1939م ثم مدرسة طابت الابتدائية للبنات ومدرسة السيدة هاجر بنات للأساس وتأسست عام 1971م، وقد أسست مدرسة طابت المختلطة 1980م وذلك لزيادة أعداد الطلاب الذين بلغوا سن التعليم من الجنسين ولم يجدوا فرصًا بالمدارس التي سبق ذكرها، بعدها تأسست مجموعة من المدارس المتوسطة وتضم مدرسة طابت المتوسطة للبنات تأسست عام1948م ثم المدرسة المتوسطة بنين تأسست عام 1958م كما تأسست المدرسة المتوسطة الأهلية بنين عام 1965م إضافة لتأسيس مدرسة السيدة صفية الثانوية للبنات عام 1987م وأضيفت مدرسة الشيخ عبد المحمود الثانوية العليا بنين عام 1976م ،وهناك بعض الخدمات التابعة للتعليم تشمل المكتبات إذ قامت بمدينة طابت مجموعة من المكتبات لخدمة التعليم بالمنطقة وتوفير الضروريات لذلك مثل الأدوات المكتبية من كتب ومجلات وجرائد وأدوات مدرسية وغيرها، ثم تبعها تأسيس مكتبتين، مكتبة الكوثر في عام1958م وصاحبها الشيخ الطيب الشيخ عبد المحمود وقد قامت بتوفير ما تحتاجه المدينة.ثم تلتها مكتبة الحفيان»المسيد» تأسست عام 2001م وقام بإعدادها الشيخ الجيلي الشيخ عبد المحمود وقد وفرت الكتب الدينية.كما تأسست مطبعة عام 1981م قامت لتخدم سكان المنطقة من طباعة الكروت الخاصة بالمناسبات والتي كانت تتم الدعوة لها سابقًا بعربة بها مكبر صوت تجوب المنطقة لمدة يومين أو ثلاثة أيام [40].

يتضح من هذا أن التعليم تطور بالمدينة بزيادة عدد المدارس.. وهذا يوضح زيادة حجم السكان وحاجتهم للتعليم النظامي والديني على حد السواء.

الخدمات الصحية:

الخدمات الصحية تابعة لوزارة الصحة الاتحادية، وكانت تتمثل في شفخانة تم بناؤها عام1932م وكانت تخدم كل القرى المجاورة وثم تم وضع حجر الأساس لمستشفى طابت عام 1972م وضمت أربعة عنابر مختلفة(رجال، نساء، أطفال، ولادة) كما تضم كرنتينة بنيت بعيدًا عن العنابر بالإضافة إلى مكتب لصحة البيئة يختص بتوعية المواطنين، وتبعًا للمستشفى قامت صيدليات وبلغ عددها ثلاث وهي صيدلية طابت(النيل) وتأسست عام 1972م وصيدلية الشفاء (أبو إدريس) تأسست عام1988م بالإضافة إلى صيدلية (النيل2) وتأسست عام 1999م.وقد أقيمت عام 1982م عيادة بيطرية تهتم بصحة الحيوان ومتابعة الذبائح [41].

الخدمات الأمنية والإدارية:

إن وقوع المنطقة منذ القدم في منطقة وسط آمنة لم تتأثر بزعزعة الأمن مع المستعمر بعيدة عن النيل الأزرق والأبيض الذي يشكل للمستعمر طريق عبور بسبب صعوبة النقل لرداءة الطرق الترابية والوسيلة المستخدمة (الدواب)، أدى ذلك إلى جذب العديد من السكان الذين تأثروا بحروب المستعمر إلى هذه المنطقة من المناطق المجاورة ومدينة طابت باعتبارها من مناطق الجزيرة التي تقع في الوسط بعيدة عن النيلين شهدت تدفق العلماء، وتم تأسيس المراكز الدينية وبدأت ملامح الطرق الصوفية الدينية تبرز في بيئة طابت وكان للشيخ دور كبير في استتباب الأمن بالمنطقة فتوافر الأمن أوجد عاملًا مساعدًا في جذب العديد من السكان للمنطقة والاستقرار فيها.

كان زواج الشيخ عبد المحمود من الشنابلة الذين تتبع لهم منطقة الحصاحيصا وطابت وما حولها سببًا في أن أكرمه الشنابلة بإعطائه العمودية فأصبح لدى مدينة طابت شيخ وعمدة وكانت الإدارة الأهلية في عهد الحكم الثنائي محصورة في أسرة الشيخ عبد المحمود وكانت مهمتهم الحكم والفصل في المشاكل حيث الناظر في بيته أو في السوق ثم أصبحت هناك دار في مباني المدرسة الوسطى يجلس بها العمدة والنظار تسمى «محكمة طابت الأهلية» عام 1937م صارت المحكمة تابعة للقضاء وأصبح في طابت قاضيًا مقيمًا يحكم في معظم القضايا الكبيرة، منها تحول إلى الحصاحيصا ومدني يصدر أحكامًا مثل بعض العقوبات كالسجن والغرامة وغيرها [42]، تأسست عام1964م نقطة

بوليس، ثم تطورت إلى قسم للشرطة عام 1969م لفض النزاعات ولحفظ الأمن وهو يعمل برئاسة رتبة عقيد تتبع له نقطتان هما الفريجاب وفطيس ومهمتهما عمل الدوريات الليلية لحراسة الأسواق ومرافق الدولة بالمدينة وما جاورها صورة رقم (8) ويمثل هذا النظام نظام المحاكم الصغرى إلى أن تحول في 1970م إلي محكمة قاضي مقيم بطابت وتتبع إليها محاكم شعبية بطابت والفريجاب وفطيس، وفى عام 1971م تأسست محكمة طابت بالمدينة مهمتها الفصل في القضايا بين السكان بدل السفر إلى الحصاحيصا ومدني وتم فتح مكتب للمحامين في المنطقة لخدمة سكان مدينة طابت والمناطق المجاورة لها.

أما بالنسبة للإدارة تأسس مجلس بالمدينة لريفي طابت عام 1970م لتقديم خدمات التعليم والصحة والإسكان وغيرها لمدينة طابت وما جاورها من القرى، ويتبع للمجلس مكتب للأراضي ومهامه مسح وتسجيل بالإضافة إلى توزيع الخطة الإسكانية، وهناك مكتب للإحصاء لإحصاء السكان بالإضافة لإقامة مكتب للضرائب في عام 1998م لجباية الضرائب السنوية ومتابعة الرخص التجارية وغيرها من الأعمال لضبط العمل التجاري بمدينة طابت والقرى المجاورة لها. كما يوجد بالمدينة رئاسة الوحدة ورئاسة مكاتب التعليم والصحة

صورة رقم(8) قسم الشرطة بمدينة طابت



المصدر: العمل الميداني2022م

خدمات النقل:

تتطلب أي حركة بشرية لأي مسافة طرقًا أو قنوات اتصال تتم عبرها، ووجود الطريق بين مكانين دليل على تجاذبهما.

تساهم وسائل النقل بصورة فعالة في نقل الركاب من مناطقهم إلى مدينة طابت عاصمة الوحدة الإدارية (طابت) فجميع المحلات العمرانية بكل وحدة إدارية مجاورة لوحدة طابت مربوطة بطرق ترابية في كل يوم، ويشهد يوما السوق (الأحد والأربعاء) قمة الازدحام بالعربات والسكان من الساعة السابعة صباحًا إلى السادسة مساءً بينما توجد طرق مسفلته كالطريق الذي يربط طابت بمدينة الحصاحيصا الذي يبلغ طوله (44كلم) تقريباً وتم افتتاحه عام 2001م، وقد ربط طابت بالمدن الأخرى والطريق القومي بالحصاحيصا[43]، وهنالك طريق آخر له أهميته وهو يربط سكان مدينة طابت بقرية الفريجاب ثم الذاكرين (التي تبعد عن الغزازي 6كلم) على الرغم من قصر الطريقين مقابل الريف التابع لطابت وخارج إقليمها. لهذين الطريقين أهمية يساعدان على نقل العديد من سكان القرى التي تقع بالقرب منهما في موسم الخريف بصورة أفضل من القرى التي تقع على الطرق الترابية في هذا الموسم.

خدمات المياه والكهرباء بمدينة طابت الشيخ عبد المحمود:

كان سكان مدينة طابت يحصلون على المياه من الحفائر والآبار كما ذكر سابقًا، ولزيادة حجم السكان وحاجة السكان للمياه الصحية أنشأت إدارة خدمات مشروع الجزيرة شبكة المياه الارتوازية في كافة قرى المشروع من ضمنها مدينة طابت وكانت أول بئر في طابت عام 1950م وتم توزيع مائها للأحياء من«الاكشاك» وقد وصل عدد الآبار الآن في طابت إلى خمس آبار إرتوازية تم توزيعها في أحياء طابت وأصبحت الشبكة تابعة لهيئة مياه المدن وأقيمت مكاتب لتوفير خدمات المياه المختلفة، أما الهيئة القومية للكهرباء فقد بدأت خدماتها عام 1963م وتقوم بتقديم خدمات من صيانة ومد التوصيلات الجديدة بالمدينة والقرى التابعة لها.

الخدمات الثقافية:

تعتبر ممارسة الرياضة من الأمور التي تروح عن النفس وقد بدأ الاهتمام بالرياضة في مدينة طابت الشيخ عبد المحمود في الأربعينيات وأول نادٍ شيد في الخمسينيات

كان النادي الأهلي وبعده قام نادي العمال، كما تضم المدينة اتحادًا لكرة القدم يضم كل الأندية بالمنطقة، وتشمل الأندية الكثير من المناشط الرياضية والثقافية [44].

خدمات أخرى:

يوجد بمدينة طابت خدمات سلكية ولاسلكية في القناطر لخدمة المشروع الزراعي ثم مكتب للبريد منذ عام 1974م ثم تطورت حدمات الاتصال ووصلت خدمات سوداتيل للمدينة عام1999م والهاتف السيار لكل أنواع الشركات الموجودة في السودان مما ساعد على ربط المدينة بالخارج ، كما يوجد بها طلمبات البترول وخدمات للغاز.

الخاتمة:

تعتبر مدينة طابت الشيخ عبد المحمود من المدن التي نشأة وتطورت باستقرار أحد مشايخ الطرق الصوفية بها وتضافرت مجموعة من العوامل الطبيعية من موقع وتربة صالحة للزراعة والرعي، فتطورت الأنشطة الاقتصادية بقيام مشروع الجزيرة مما كان له دور كبير في جذب السكان والاستقرار بصورة أكبر ثم تطورت التجارة والسياحة وتطورت الصناعة بالمدينة كما تطورت الخدمات الاجتماعية بالمدينة عددًا ونوعًا من خدمات تعليمية وصحية وبالإضافة للخدمات الإدارية والأمنية وبهذا تحولت منطقة طابت من منطقة صغيرة يعمل سكانها بالرعي والزراعة إلى مدينة تخدم سكانها وريفها.

الهوامش:

(1) احمد على اسماعيل ،دراسات في جغرافية المدن ،الطبعة الرابعة،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،19،1988

(2) 2عبد الرزاق عباس حسين،جغرافية المدن، المكتبة الوطنية، بغداد،18،1977-19

(3) زكي مباركالتصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، القاهرة،1938،ص

(4) أبوالوفا الغنيمي التفتازاني، المدخل إلى التصوف الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر ،القاهرة،22،1979

(5) عبد المحمود عبد القادرالجيلي ، الشيخ عبد القادر الجيلي حياته واثاره،تحقيق الشيخ الجيلي الشيخ عبدالمحمود، الطبعة الثانية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ،95،2007.

(6) عبد الجبار المبارك الحفياني: الاستاذ الشيخ عبد المحمودالشيخ نور الدائم حياته وآثاره، دار السداد للطباعة، الخرطوم،308،2004.

(7) عبد المحمودعبد القادر الجيلي،2007، مرجع سابق ،96 98-.

(8) عبد الجبار المبارك الحفياني ،الاستاذ الشيخ عبد المحمودالشيخ نور الدائم حياته وآثاره ، دار السداد للطباعة، الخرطوم،2004، مرجع سابق ، 305.

(9) عبد المحمودعبد القادر الجيلي ،2007،مرجع سابق،98.

(10) احمد على اسماعيل ،1988،مرجع سابق،79

(11) إيناس الشريف عبد المحمود ، طابت عبد المحمود، مكتبة الأكاديمي للنشر والتوزيع، الخرطوم،2009، 40-49.

(12) احمد على اسماعيل ، 1988،مرجع سابق،259

(13) صديق البادي ،معالم واعلام ، الطبعة الاولى،الخرطوم ،دار الثقافة والنشر،1،1967.

(14) محمد ومحمد ، ،محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني،دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي في السودان،دار الرائد للطباعة والنشر، القاهرة ، 1996 ,100.

(15) محمد ومحمد ، ،محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي ،1966،المرجع نفسة،105.

(16) نظرات في التصوف الاسلامي،الشيخ عبد المحمود الجيلي الجزء الاول شركة مطابع العملة المحددوة ، الخرطوم، 2001، 49.

(17) الجهاز المركزي للاحصاء، التعداد السكاني الخامس لجمهورية السودان، قسم الخرائط والمعلومات ،مصلحة الاحصاء ،الخرطوم،2008.
(18) عبد الرازق عباس حسين،1977، مرجع سابق،22.
(19) إيناس الشريف عبد المحمود ،2009 ،مرجع سابق ، 40-49.
(20) عبد الرازق عباس حسين ،1977، مرجع سابق،73.
(21) محمد إبراهيم أرباب، الأسواق الدورية في منطقة عسير،اصدارا مركز البحوث، جامعة الملك سعود فرع أبها، السعودية،1997، 33.
(22) إيناس الشريف عبد المحمود ،2009 ،مرجع سابق ،-51 55.
(23) انعام سليمان محمد ادريس، أنماط انتشار الطريقة السمانية في السودان، رسالة دكتوراه،جامعة الزعيم الازهري،171،2013-172.
(24) عبد الرازق عباس حسين،1977، مرجع سابق،109.
(25) عبد الرزاق عباس حسين، 1977 ، المرجع نفسة ،318.
(26) الاحصاء الصناعي،وزارة الصناعة، المجلد الثاني ،الخرطوم، 2005،502,
(27) المدخل إلى جغرافية السياحة،جامعة قنا،السويس،2019 ، 7.
(28) محمد وحمدي، محمد صبحي عبد الحكيم وحمدي أحمدالديب، جغرافية السياحة ، مكتبة الانجلو المصرية،مطبعة أبناء وهبه حسان،الطبعة الثانية،2001، 35.
(29) عبد القادر الجيلي (1970):نفحة الرياض البواسم في مناقب الشيخ عبد المحمود،القاهرة،125،1970.
(30) عبد المحمودعبد القادر الجيلي ،2007،مرجع سابق،81.
(31) صديق البادي ،1،1967.
(32) Mcintosh.R and Goodlier (1990): Tourism: Principles, Philosophies. New Yourk: John Wiley and Sons.
(33) انعام سليمان محمد ادريس ،2013، مرجع سابق،141-142
(34) Pearce, Douglas, (1981): Tourism Development.London longman.
(35) Smith Margot W (1986): Physician's Specialties and medical trade Areas: An Application of central place Theory, Papers and Proceeding of Applied Geography Conferences Vol 9, West Point.

(36) انعام سليمان محمد ادريس ،2013، مرجع سابق،172.

(37) احمد على اسماعيل ، 1988،مرجع سابق،165.

(38) عبد المحمود الشيخ الجيلي «الحفيان»2001،مرجع سابق،150.

(39) الطيب محمد الطيب ،المسيد،الطبعة الاولى،دار جامعة الخرطوم للنشر،الخرطوم،1991 ،43-44.

(40) عبد اللطيف سعيد ،طابت الشمس غابت، دار جامعة افريقيا للطباعة والنشر،الخرطوم الطبعة الاولى،1999 ،3-8.

(41) بشير محمد سعيد ،إدارة السودان في الحكم الثنائي،مطبعة جامعة الخرطوم للنشر،الخرطوم ،15،1988.

(42) انعام سليمان محمد ادريس ،2013، مرجع سابق،140

(43) عبد اللطيف سعيد، 1999،مرجع سابق ،47.

الفصل الرابع

مدينة الفاشر (الأصالة والتاريخ)

مدينة الفاشر (الأصالة والتاريخ)

أ.د محمد أبو محمد إمام
جامعة السودان المفتوحة

مقدمة:

ارتبطت نشأة مدينة الفاشر بسلطنة الفور الإسلامية، التي سبقتها نشأة سلطنتين في دارفور هما سلطنة الداجو، وسلطنة التنجر. وقد حكمت سلطنة الداجو دارفور في الفترة من 1200 – 1359م، والداجو من القبائل الحامية التي استوطنت دارفور وحكم منهم سبعة وعشرون سلطاناً، كان آخرهم السلطان (كسفروك) الذي عانى أهل البلاد كثيرًا من ظلمه وجبروته[1]. وقد امتدت سلطنة الداجو نحو المنطقة الشرقية والجنوبية من إقليم دارفور، ولم تمتد إلى الشمال أو الغرب، ولم يستطيعوا السيطرة على جبل مرة، وقد هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى وداي واستقروا بها، وصاروا جزءًا من التركيبة السكانية في دار سلا[2].

جاءت سلطنة التنجر بعد ذلك لتحكم دارفور بعد سقوط مملكة الداجو، وكان عهد سلطنة التنجر عهدًا إسلاميًا، ويؤكد ذلك وجود أنقاض لجوامع بمدينة (أوري)، وعين فرح، ومناطق أخرى بشمال دارفور، وهنالك أوقاف وأطيان بالمدينة المنورة باسم التنجر وباسم ملكهم أحمد بن رفاعة المشهور بـ (شاو دورشيد). وقد عرف التنجر بالحكمة والمرونة في تصريف شؤون الدولة[3].

بدأت دولة التنجر في التفكك والانهيار في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وفقدوا السلطة في البلاد بإزاحة (كور) لهم، وتأسيسه لمملكة الفور الوثنية، وقد تمكن (كور) هذا من إلحاق الهزيمة بشاو دورشيد آخر ملوك التنجر، بينما اعتبر دالي هو المؤسس الأول لسلطنة الفور[4]. والفور هم سكان دارفور الأصليين، وأصحاب السيادة في جبل مرة والمرتفعات، وهم الذين أعطوا اسمهم للإقليم كله فصار يعرف باسم دارفور، وسبب إطلاق اسمهم على كل الإقليم يعود إلى أنهم كانوا بصفة عامة أهم قبيلة في هذه المنطقة، وأنهم نجحوا في تأسيس سلطنة كبيرة ازدهرت طويلًا[5].

نشأت مملكة الفور قوية منذ بدايتها بعكس الممالك التي سبقتها، فقد عمرت لمدة طويلة من الزمان، واستمر حكمها زهاء أربعة قرون، حكمها عدد من السلاطين الأقوياء، وتعرضت خلال مسيرتها لهزات عنيفة حيث سقطت دولة الفور الأولى على يد الحكم التركي المصري في السودان، وذلك بمقتل السلطان إبراهيم قرض في سنة 1875م في معركة منواشي الشهيرة على يد الزبير باشا، وبعد سقوط الدولة المهدية رجع علي دينار إلى الفاشر لإحياء ملك آبائه، وقد سقطت دولته على يد الإنجليز عام 1916م، واستشهد السلطان علي دينار آخر سلاطين الفور في منطقة (كولمي) بوادي صالح[6].

اتخذ سلاطين الفور من جبل مرة موطنًا للسلطنة، وقد ذكر أوفاهي أنه كان لكل حاكم من سلاطين الفور مجمعه الخاص في جبل مرة، وهو مجمع مبني من الحجر، ولكنها كلها كانت داخل إقليم طرة من عام 1860م تقريبًا، وعندما نزل الكيرا إلى السهول كان لكل سلطان فاشر أو أكثر، يعكس موقعه من الاحتياجات السياسية والعسكرية في تلك اللحظة، وقد بنيت هذه المعسكرات السلطانية من الحجارة أو الطوب أو سيقان الدخن حسب المواد المتوفرة[7].

نشأة مدينة الفاشر:

ارتبطت كلمة الفاشر ارتباطًا وثيقًا بمجالس سلاطين الفور، فالسلطان أحمد بكر 1726-1746م، نقل فاشره من (طرة) بشمالي جبال مرة، وهي العاصمة القديمة لملوك الفور الأوائل إلى (قرلي) ثم نقل ابنه السلطان محمد تيراب 1768-1787م، فاشره من (قرلي) إلى (شوبا) شمال شرقي مدينة كبكابية الحالية، ثم نقله مرة أخرى إلى (الريل) جنوب شرقي منطقة (شنقل طوباية)، ثم نقله مرة ثالثة لأسباب حربية إلى جديد رأس الفيل شمال شرقي منطقة منواشي الحالية[8]. وكان الطور الأخير ظهور عاصمة دائمة في الفاشر حول رهد تندلتي في حوالي 1206هـ/1791-1792م[9]. حيث اختار السلطان عبدالرحمن الرشيد مدينة الفاشر عاصمة جديدة للسلطنة. وتقول الرواية أن السلطان عبدالرحمن الرشيد عندما أراد اختيار عاصمة جديدة له بعث بمن يأتيه بأخبار منطقة تتوفر فيها مواصفات إنشاء مدينة، وكان توفر المياه بالطبع أهم هذه المواصفات – وقد عثر الناس أثناء بحثهم عن هذه المدينة على ثور ملطخ بالطين حتى بطنه نتيجة لخوضه في الماء، فتتبعوا أثره إلى أن وجدوا الماء فقالوا أن الماء (تندل هنا) وكان ذلك سببًا لتسمية الفاشر بتندلتي[10].

كان السلطان عبدالرحمن الرشيد من أميز سلاطين الفور، ويعتبر عهده صفحة جديدة في تاريخ دارفور السياسي، وكان محبًا للعلم والعلماء، وبنقله العاصمة إلى الفاشر شجع هجرة الدناقلة والجعليين والشايقية إليها، إضافة إلى العلماء الوافدين من غرب إفريقيا. كما أنه وطد صلاته بالعالم الخارجي، وخاطب السلطان العثماني الذي شكره بخطاب رقيق ولقبه بالرشيد[11].

بناءً على ما سبق فإن اسم الفاشر مأخوذ من مجلس السلطان، أو الساحة التي يجلس فيها للحكم أو ديوانه. وتقول الروايات المتداولة عند أهلها: أن المرأة إذا أحست بظلم وقع عليها تسلم أمرها لله وتقول إنها تجد حقها في (فاشر أبو فاطمة)، وتعني بذلك يوم الحساب عند الرسول ﷺ.

تعد الفاشر صورة مكبرة لمنزل الفور من حيث مداخل الذكور والإناث، وترتيب الأكواخ، الدواوين وأماكن الاستقبال، وتوجد سمات مشتركة بين القصر الملكي ومنازل الأثرياء على السواء. كان التمييز الجنسي أوالفصل بين الجزء الخاص والجزء العام أساسياً[12]. وينقسم الفاشر عادة – القصر السلطاني – في وضع شمال جنوب، إلى منطقة ذكور شمالية ومنطقة إناث جنوبية يتم الدخول إليهما عن طريق بابين مختلفين، إذ يؤدي أحد الأبواب إلى القسم العام الذي يضم الموظفين والخدم والرقيق، ويقود الباب الآخر إلى باب النساء الملكيات والمحظيات وبعض الخصيان[13].

تقود بوابة الرجال إلى سلسلة من الحظائر الكبيرة، تضم الأولى وهي مباشرة على يمين المدخل الجياد الملكية وسائسيها، والرسل الملكيين والمنادين، تليها الحظيرة التي تضم أكواخ الحرس الشخصي للسلطان[14].

كان الفاشر هو جوهر أو لب الدولة، وكان حلبة الصراع السياسي ومحور الإدارة، وميدان تدريب العسكريين والإداريين، ومركز إعادة توزيع البضائع والخدمات، ومحكمة العدل النهائية، ومكان الاحتفالات الوطنية والمقابلات الرسمية والاستعراضات التي تقام في الأرض الفسيحة أمام مجمع القصر الذي هو الفاشر الحقيقي. ويأتي إلى القصر مقدمو العرائض يلتمسون العدل أو الحظوة[15]. وكان بيت الجباية الذي يشرف على الواردات السلطانية مرادف للفاشر، ويقوم بدوره كدار للضرائب والجباية، وكانت كل الدخول تأتي فعليًا إلى العاصمة، ولكن سجلات جمعها وتخزينها وتوزيعها كان يسيطر عليها السلطان

عن طريق الجباة أو جامعي الضرائب، وكان هناك تمييز رسمي بين الدخول من الحبوب والقماش والحيوانات المخصصة لإمدادات القصر من جانب، وبين الدخول المخصصة لإعاشة العسكر في كل أنحاء السلطنة من الجانب الآخر[16]. وكان في كل أنحاء السلطنة مقاطعات ملكية أو إقطاعيات يخصص دخلها كلية للفاشر، كان أكبرها في جبل مرة حيث توجد حاكورة السلطان[17]. وكانت التقاليد السلطانية تقضي أن يحافظ كل ذي منصب على موضع سكنه بالنسبة لقصر السلطان خلفًا عن سلف، فكل من تولى منصبًا عليه أن يبني بيته في محل صاحب المنصب الأول أو قريبًا منه، ويحافظ هؤلاء على هذا النظام أثناء السفر كذلك[18].

عرف الذكور من أفراد الأسر المالكة بالأمراء، عليهم رئيس منهم يحمل لقب (باسي)، وهو المسؤول عن سلوك أفراد الأسرة المالكة، وترتيب زواج الأميرات، أما الأميرات فعرفن باسم (ميارم)، مفرده ميرم، كما عرفت الأميرة الأولى باسم (إيا باسي). أما العجائز منهن فكن يعرفن بالحبوبات، أما السيدة الأولى بالقصر السلطاني فإنها كانت تحمل لقب (إيا كوري) أي الملكة. وقد تكون الإيا كوري إحدى زوجات السلطان أو أمه أو أخته الكبرى، وتتمتع الإياكوري بنفوذ واسع[19].

ازدهرت مدينة الفاشر أيما ازدهار في فترة وجيزة من عمر الزمان، وبلغت شهرتها الآفاق واهتم سلاطينها بالعلم والعلماء والفقه والفقهاء، وقصدها الناس من كل حدب وصوب. وقد شجع مؤسسها وباني نهضتها السلطان عبدالرحمن الرشيد الفقهاء وأغدق عليهم، ولما ظهر عدله وحبه للعلماء وأهل الفضل والأشراف، وفد عليه الأشراف من جهات عديدة، فكان أول وافد عليه والد الرحالة محمد بن عمر التونسي الذي استقبله السلطان بكل حفاوة وأكرمه ومنحه الأعطيات[20]. ووفد على السلطان عبدالرحمن كذلك الفقيه الزاهد الناسك الشيخ التمرو الفلاني، كما وفد عليه الفقيه النبيه الشيخ حسين عماري الأزهري. ووفد عليه من أشراف مكة الشريف مساعد (يقال أنه من أولاد الشريف سرور). وكان قاضيه الفقيه عزالدين الجامعي، وهو قاضي القضاة بدارفور وأعمالها[21].

كان عبدالرحمن الرشيد مهتمًا أيما اهتمام وحريصًا على انتظام سير القوافل التجارية بين مصر ودارفور إلا أن بعض أمراء المماليك في مصر دأبوا على الإغارة على تلك القوافل التجارية وتعطيل سيرها، ولذلك فإنه لما انتصر نابليون على أمراء المماليك بادر إلى تهنئته

بهذا الانتصار حتى يضمن استمرار سير قوافله، لا سيما بعد أن أعلن نابليون احترامه للدين الإسلامي[22]. ولعله أخطأ التقدير في هذه التهنئة.

استقبلت مدينة الفاشر كذلك الرحالة محمد بن عمر التونسي كما استقبلت والده من قبل، وكان محمد بن عمر قد نشأ في مصر وتلقى تعليمه في الأزهر، وكان مولده في تونس سنة 1204هـ/1789م من أب تونسي وأم مصرية، وكانت زيارته للفاشر في عام 1803م، وعاش فيها حوالي سبعة أعوام ونصف، ألمَّ خلالها إلمامًا تامًا بأحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية، ونظمها السياسية والإدارية والحربية. وجاء كتابة تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان غنيًا بالمعلومات عن سلطنة دارفور ونظمها وتقاليدها، وهو مصدر أساسي من مصادر المعلومات عن سلطنة دارفور[23].

وكان الرحالة الإنجليزي براون أول رحالة أجنبي أوروبي تطأ قدماه مدينة الفاشر في عهد السلطان عبدالرحمن الرشيد، وقد سلك براون في رحلته إلى دارفور طريق درب الأربعين من أسيوط إلى الفاشر، وظل براون يقيم نحو ثلاث سنوات بمدينة الفاشر من يوليو 1793م إلى مارس 1796م. وقد ظل في أثناء إقامته كأنه سجين، إذ لم يسمح له بالتجول في البلاد أو جمع معلومات عنها بسبب ارتياب السلطان في نواياه، باعتباره أوربيًا مسيحيًا. لم يعثر براون على تاريخ مدون لدارفور، ولذا جاءت معلوماته التي استطاع الحصول عليها من أهلها قليلة سطحية يشوبها الاضطراب، وقلة العمق باستثناء بعض المعلومات الخاصة بأحوالها الجغرافية والاقتصادية في ذلك الوقت[24]. وكان الرحالة الألماني جوستاف ناختيقال من أشهر الرحالة الذين حطوا رحالهم في مدينة الفاشر في عام 1874م، ودون ملاحظاته عنها، وكان قد قدم إليها من وداي وقد بدأ رحلته من طرابلس الغرب في ليبيا متجهًا إلى دارفور عن طريق بحيرة تشاد، وباقرمي، ووداي[25].

مكث ناختيقال ستة أشهر في الفاشر في عهد السلطان إبراهيم محمد حسين آخر سلاطين الفور، إلا أنه لم تتح له فرصة التحرك لأسباب عديدة منها الاضطرابات التي اعترت المملكة في حدودها الجنوبية والشرقية، إثر مناوشات الزبير باشا، كما أن السكان المحليين لم يرحبوا به، وكانت الحكومة المصرية حينها وحكومة الخرطوم تعدان العدة لغزو دارفور[26]. وعلى الرغم من كل تلك الأسباب، إضافة إلى قصر المدة التي مكثها إلا أنه تمكن من جمع مادة غزيرة ثرة، وروايات شفهية ومكتوبة من تاريخ دارفور الوسيط،

خاصة وأنه كان آخر من شاهد هذه السلطنة العظيمة، ووثق تاريخها وهي في آخر حلقة من حلقات انهيارها وسقوطها عام 1874م بعد أن بقيت لأكثر من ثلاثة قرون[27].

دور مدينة الفاشر في بسط الثقافة الإسلامية في دارفور:

كانت المرحلة الأولى التي نشأت فيها سلطنة الفور، مرحلة انتقالية حفلت بالتحولات المهمة في تاريخ المنطقة، وتم فيها الانتقال من العقيدة الوثنية إلى العقيدة الإسلامية بتوابعها وتأثيراتها القومية على الثقافة واللغة، وهي أيضًا مرحلة تأسيس الدولة المتحدة وإنهاء حكم العشائر والجيوب المعزولة التي كانت تنعم بالاستقلال في التصرف والحركة، كما شهدت هذه الفترة وضع الدستور والقانون الذي تناول الجزاءات، وطريقة انتقال السلطة، وتأكدت فيها الهوية الإسلامية للدولة، واعتمدت اللامركزية نمطًا للحكم، وحرص كل سلطان على منافسة سابقيه بالمحافظة على قيم الدين[28]. وقد استمرت المؤثرات الإسلامية تأتي على الإقليم من عدة اتجاهات، وذلك بتشجيع من سلاطين الفور، فقد وفدت إليها هذه المؤثرات من بلاد النيل، وعبر كردفان، ومن مصر عبر درب الأربعين والواحات الغربية، ومن تونس والمغرب عبر دروب الصحراء الكبرى، ومن بلاد السودان الغربي[29]. وقد بالغ السلاطين في إكرام العلماء وحفظة القرآن الكريم، مما دفعهم للهجرة إلى دارفور، فهاجر علماء من الحجاز مثل محمد بن صالح الكتاني، الذي كان إمامًا للسلطان محمد دورا، وحسين الأحمر من كردفان، وعلي الفوتاوي من باقرمي في عهد السلطان أحمد بكر، وعمر التونسي وابنه محمد، وقد سبقت الإشارة إليهما[30]. وبفضل جهود العلماء من دارفور من خريجي الأزهر بمصر، فقد انتشر الوعي الديني بين طبقات العامة، وصارت دارفور وعاصمتها الفاشر قلعة حصينة ترفرف عليها رايات الإسلام، ودخل المذهب المالكي، وبعض قراءات القرآن المشهورة إلى الإقليم، وفتحت مصر صدرها لاستقبال الطلاب القادمين من دارفور للدراسة في الأزهر الشريف، وقد أفرد لهم رواق خاص بهم، أطلق عليه رواق دارفور[31].

كانت دارفور غنية برجالها، غنية بدينها، فانتشرت الخلاوي لتدريس القرآن الكريم الذي كان يحفظه أغلب الرجال، كما بنيت المساجد الضخمة، وجلس فيها علماء المغرب ومصر، وخريجو الأزهر من أهل البلاد لتدريس العلوم الدينية والعربية، ونشر الثقافة الإسلامية، وكان السلاطين يهتمون بتربية أبنائهم فيحضرون لهم علماء أجلاء لتدريسهم

وتربيتهم التربية الدينية الخالصة، وتنشئتهم على دراسة تاريخ الإسلام، وعلى العموم فإن الفاشر عاصمة السلطنة، وإن لم تتهيأ لها الظروف لأن تكون عاصمة السودان الموحد، كما كان الحال مع سنار، فإنها بحق كانت عاصمة السودان المسلم دون منازع، ومركزًا مهمًا من مراكز الثقافة الإسلامية، وأختًا صغرى من أخوات سنار العظيمة، وأن تاريخها المجيد جدير بأن يأخذ مكانه اللائق في تاريخ عواصم الإسلام[32].

لقد شاركت دولة الفور مشاركة كبرى في ترسيخ البناء الإسلامي القوي في الإقليم، ومن خلال عاصمتها الفاشر كانت تمارس نشاطها الديني الواسع في أطراف السودان الغربي، وقامت بإثراء الحركة الإسلامية التي بدأت تتخذ منها معقلًا إسلاميًا تنطلق منه الدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية في جنوب وغرب السودان، وكانت دارفور ميدانًا التقت فيه الهجرات وطرق القوافل التي كانت تلتقي في أماكن عديدة من القارة الإفريقية[33].

كان من أهم المظاهر الدينية التي تميز مدينة الفاشر خاصة، ودارفور على وجه العموم، هو استقبال شهر رمضان المعظم، حيث كانوا يستقبلونه بالبشر الشديد في زفة كبرى يشارك فيها السلاطين والقادة والعلماء وسائر المواطنين بالطبول والإنشاد على الدواب من خيول وجمال وحمير، ثم المشاة تعلو وجوههم البهجة، وتمتلئ قلوبهم بالسعادة والحبور، وكان السلطان عبدالرحمن الرشيد مؤسس مدينة الفاشر يصوم رجب وشعبان ورمضان، ويتبع ذلك بست من شوال، والأيام البيض من كل شهر، وكان يحضر بعد صلاة العصر دروس الحديث النبوي الشريف من صحيح البخاري على مدار شهر رمضان، وكذلك الرعية في دارفور[34]. وكان يدَّرس لأهل الفاشر عاصمة السلطنة كتاب (الدرة الوفية على الخصائص المحمدية) الذي ألفه الشيخ عمر التونسي والد الرحالة محمد بن عمر التونسي، كما ألف شرحًا على مختصر الشيخ خليل المالكي في الفقه في مجلدين سماه (الدر الأوفق على متن العلامة خليل بن اسحق)[35]. وفي السنوات التي تلت حكم عبدالرحمن الرشيد كان الناس يدرسون في شهر رمضان المعظم كتاب (الشفا في شمائل المصطفى) للقاضي عياض، وهو أمر لا زال مستمرًا حتى تاريخ اليوم في مدينة الفاشر، كما كانوا يدرسون كتاب (تذكرة القرطبي) لأن فيه وصف أهل النار وأهل الجنة، والكل يأمل في دخول الجنة[36]. وكان السلطان علي دينار يأتي بحفظة القرآن جميعًا من كل دارفور، ويجعلهم يختمون القرآن في شهر رمضان مع الصلوات والتراويح وقيام الليل، حتى يتم

العيد السعيد بالفطر المبارك، ثم يكرمهم ويهاديهم ويجعلهم يعودون إلى مناطقهم في حبور ووئام، وكان السلطان يريد تشريف عاصمته الفاشر بهذا الحدث العبادي الكبير الذي هو أحد أركان الإسلام الأساسية، ولذلك تجد الناس يحرصون حرصًا شديدًا على إتقان عبادة الصوم أدبًا وتهذيبًا وصونًا للجوارح من أي أمر يفسد الصوم مع الاهتمام بكتب العلم مثل ابن عاشر، والصفتي، والرسالة، ومختصر خليل[37].

لقد تسابق السلاطين في إحياء سنن الدين وإماتة البدع، وكان كل واحد منهم حريصًا على التمايز على هذا الأساس، وكانوا في غاية التوفيق عندما اختاروا (التعلم) وسيلة لإدارة عملية التحول من دولة لا تدين بدين سماوي إلى دولة إسلامية دون أن تعرف ردة أو ارتكاسًا عن الهدف الذي حدده بناة الدولة الأولون، فالإسلام دين معرفة، ومن عرف وفقه دعوته جعل أسلوبه في الدعوة قائمًا على الحكمة والموعظة الحسنة والتأثير على الآخرين بأخلاق الفضيلة وتقديم القدوة الحسنة، وهكذا حافظ الإسلام في دارفور على مزية في الخلاوي ليس فقط بتغلغله في الأخلاق، بل أيضًا بتركيزه على حفظ القرآن الكريم وكتابته[38].

مراسم تولية السلاطين بالفاشر:

كان اختيار السلطان بالفاشر قرارًا سياسيًا، ولكن بمجرد أن يتم اختياره فإنه يشغل منصبًا مقيدًا بعمق طقوس وممارسات لها جذورها في معتقدات الفور الدينية، وهنا يتجلى الخط الفاصل بين الأبعاد الفوراوية والإسلامية بشدة. وكان موت السلطان يبقى سرًا داخل الفاشر لأطول فترة ممكنة، بينما تجري المشاورات والمناورات في اختيار السلطان الجديد. وفي فترة خلو العرش كان مجمع القصر تحت إشراف الأب الشيخ. وكان يسبق احتفالات التنصيب تغير في درجة سرعة الطبول المستخدمة لنقل الأخبار لكل أنحاء القصر والمستوطنات المحيطة به. فالضربات البطيئة التي تعلن وفاة السلطان تزيد سرعتها لتعلن خلفه[39].

وكان يعلن اسم السلطان الجديد للناس بواسطة (الموجيه) منادي البلاط، وتبدأ مراسم التنصيب عندما يذهب السلطان الجديد في عزلة لمدة سبعة أيام في الأكواخ داخل أبعد فناء في القصر، ولا يمارس أثناء هذه العزلة أي عمل عام، وفي اليوم الثامن تأتي السيدات كبيرات السن والجدات تحت قيادة ملكتهن إلى السلطان، وهن خبيرات

في العادات، وكانت كل واحدة منهن تحمل حربتين تضربهما ببعضهما البعض، وتحمل إحداهن فرشاة مصنوعة من سعف النخيل بعد نظافته، وجرَة فيها سائل، ومرة بعد أخرى كانت تضع من هذا السائل على السلطان، بينما تنشد الأخريات تعابير طقوسية معينة، ثم يؤخذ السلطان بعد ذلك إلى بيت النحاس مصحوبًا بالحرس السلطاني. وكان بيت النحاس يقع في الفناء الخارجي بالقرب من بوابة الذكور[40]. وهنالك تجري احتفالات التنصيب والتتويج بقرع الطبول، وتقف النساء حول أكثر الطبول أهمية واسمها المنصورة وهن يرددن الأهازيج والأناشيد ضاربات بحرابهن ثم يصحبن السلطان بعد ذلك إلى ما يعرف بالككر حيث يتم تتويجه، وبينما هو جالس على الككر يضع أحد الزعماء طاقية على رأسه، ويقوم زعيم آخر بوضع العمامة، وثالث يضع الشال، حتى يكتمل لبس السلطان، بعد ذلك يقسم الزعماء الحاضرون يمين الولاء، ثم يعلن أن السلطان قد توج ويعاد (الككر) أخيرًا إلى بيت النحاس، وتستأنف الحياة العامة عندما يفتح السلطان الجديد ديوانه.

كانت حياة السلطان مقيدة بالمحرمات والبروتوكولات والطقوس والأعياد والمهرجانات. وكانت أهم هذه المهرجانات مهرجان تجليد النحاس، المهرجان الوطني الكبير الذي يعقد في شهر فبراير أو مارس ويستمر ما بين ثمانية إلى عشرة أيام[41].

محمل سلاطين الفور إلى الحرمين الشريفين:

أولى سلاطين الفور عناية بالغة للحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد حمل السلطان عبدالرحمن الرشيد لقب خادم الحرمين الشريفين دلالة على اهتمامه بأمر الحرمين الشريفين.

يقول نعوم شقير: إن سلطنة الفور كانت مستقلة عن دول الأرض كلها لا تدفع جزية – ضريبة – لأحد ما عدا الحرمين الشريفين، فإنها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة[42]. وكان محمل سلاطين الفور يخرج من الفاشر عاصمة السلطنة متوجهًا إلى مصر محملًا بريش النعام، وسن الفيل (العاج)، والصمغ، والسمسم، والرقيق وغير ذلك مما تنتجه البلاد من خيرات، فتباع كل هذه البضائع والسلع في أسواق القاهرة، ويستكمل بريعها مبلغ الصرة المرسلة إلى الحرمين[43].

كان المحمل يخرج من مدينة الفاشر قاصدًا مصر عبر درب الأربعين للانضمام إلى

المحمل المصري والتحرك معًا. وكان من عادة السلاطين في دارفور الخروج في موكب بهيج احتفالًا بوداع المحمل. فقد كان السلطان يركب جوادًا قبل الظهر بساعتين، وهو جواد مزركش العدة، وأمامه العساكر حاملين أسلحتهم النارية مشاة، ومن ورائه الخصيان راكبين الخيول، إضافة إلى بعض الجياد المسرجة بكامل زينتها يقودها السياس خلفهم صفًا واحدًا، وعن جانبي السلطان نفر من المشاة، يتناوبون حمل مظلة واسعة تظلل السلطان وتظلل جواده[44]. وكان أهل الفاشر يتقاطرون إلى ساحة القصر السلطاني لوداع القافلة وليشهدوا موكب المحمل الشريف الذي يتقدمه أمير الحج، وإمام الصلوات الجامعة، وجماعات الحجيج القادمة من مدن دارفور المختلفة وضواحيها والتخوم المجاورة لها، وعندما يستقيم ميسم التجمع في ساحة القصر السلطاني، ويتعالى صوت القرع على نحاسات السلطان، وترفع أصوات المزامير، يخرج ممثل السلطان إلى الجموع ويخطرهم بأوامره القاضية بتحرك المحمل الشريف. وفي ضوء الإشارة السلطانية يبدأ الموكب مستهلًا بآي من الذكر الحكيم التي يتلوها طلاب الخلاوي، وحفظة القرآن الكريم زافين بها المحمل إلى مشارف مدينة الفاشر[45]. ومن ثم يتوجه الموكب صوب الأراضي المقدسة – عبر مدينة الخرطوم – أو غيرها من الطرق المأهولة، وبعد راحة قصيرة يتجدد المسير إلى مدينة سواكن للعبور إلى بلاد الحجاز. ويقال أن الناس في جدة ومكة كانوا يخرجون زرافات ووحدانا لمشاهدة محمل دارفور وحراسه الذين درجوا على تقديم بعض العروض الفنية بحرابهم المزوقة بريش النعام، وذلك في خفة ومهارة[46]. وفي بعض الأحيان كانت قوافل دارفور تقصد مصر محملة بالغالي والنفيس من خيرات البلاد، وفيها من البضائع السمن والعسل، وسن الفيل وريش النعام، والصمغ تباع في مصر التي يوجد فيها الحاكم بالديار المصرية ممثلًا للباب العالي في تركيا، وقد كانت صرة الحرمين عبارة عن المبالغ المالية التي ترسلها دارفور سنويًا نظير بيع البضائع المحملة إلى مصر، وقد كانت مبالغ كبيرة خصص عائدًا منها للقائمين على إدارة الحجاز لتساعدهم في أداء واجبهم، وكانت ميزانية سنوية استمرت منذ عهد قديم[47]. وكانت صرة من الصرر تصحب برهط من الأغوات الذين اختيروا للعمل في خدمة الحرمين الشريفين، وصون مرافقها، وكانت أجورهم تدفع بصورة دورية وتمثل جعلًا مهمًا من صرة دارفور. وقد استمر محمل دارفور يخرج بصورة منتظمة كل عام من مدينة الفاشر إلى الأراضي المقدسة، وقد توقف لبعض الأعوام في عهد السلطان علي دينار الذي لم يكن على وفاق مع نظام الحكم الثنائي في

الخرطوم، وقد جرت بينه مكاتبات عديدة وبين الحاكم العام ونجت باشا، والمفتش العام سلاطين باشا بشأن السماح للمحمل بالعبور إلى بلاد الحجاز، وقد تمكن السلطان علي دينار من إرسال المحمل في الأعوام 1904م، 1906م وكان ذلك تحت إمرة الشيخ محمد سيماوي الركابي[48]. وفي 15 شوال 1331هـ/16 سبتمبر 1913م خاطب السلطان علي دينار سلاطين باشا أعلمه بتحرك المحمل الشريف من الفاشر إلى الخرطوم، ومنها إلى سواكن، ثم الأراضي المقدسة، وكان ذلك المحمل آخر المحامل الشريفة وصررها المباركة إلى الحرمين الشريفين، وكان آخر محمل تودعه مدينة الفاشر أبو زكريا، وبعدها أسدل الستار على إرث سلاطين دارفور وتقليدهم الإسلامي التليد[49].

ظلت مدينة الفاشر عاصمة لإقليم دارفور لمدى أكثر من قرنين من الزمان منذ أن تم تأسيسها على يد السلطان عبدالرحمن الرشيد في عام 1792م، وقد جذبت إليها كثيرًا من العناصر البشرية من مختلف بقاع الأرض، وضمت بين جنباتها معظم المكونات القبلية في دارفور، ومن الشمال النيلي ومن وسط السودان من الجزيرة، وبعض العناصر الوافدة من غرب إفريقيا، والمغاربة والسناهير وأولاد الريف وهم مصريون من أصول تركية ولهم حي كامل في المدينة عرف باسم حي أولاد الريف. وهناك الأقباط والأغاريق والشوام والفيزان وغيرهم. وقد احتضنت الفاشر جميع هذه العناصر بدفء وحنان وبادلوها العطاء، وشكلت هذه العناصر البشرية المختلفة نموذجًا متفردًا للترابط الاجتماعي، والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، ورسموا لوحة بديعة للحياة الإنسانية الراقية في أبهى صورها. فهناك حمد الشايقي بشلوخه الشايقية المميزة ولهجته الفاشرية الأصيلة، وهدوئه وطيبة نفسه، تجده حاضرًا في كل مناسبة ومحفل، وصار جزءًا لا يتجزأ من مجتمع الفاشر الكبير. وهناك التهامي وداره الفسيحة العامرة، وهو أول من أدخل البصات السفرية في الإقليم. وضمت المدينة عددًا كبيرًا من مشاهير العائلات والأسر التي استوطنت المدينة منذ أمد بعيد مثل (آل السنهوري الريح، وآل السناري، وآل محمد كوكو، وآل القاضي إدريس، وآل أبو سم، وآل إلياس جاد كريم، وآل الطاهر محمد إبراهيم، وآل أبو اليمن، وآل محمد عبدالرحيم حماماتي، وآل الحاج بابكر كرم الله، وآل التاي، وآل عبدالرازق التويم، وآل الكرف، وآل الطاهر العبادي، وآل الخليفة بابكر، وآل سهل البشير، وآل زيدان، وآل شطة، وآل الخضر، وآل الشيخ بشير مالك، وآل صالح حسن، وآل الحلو، وآل عوض بلال، وآل التنقاري، وآل أبو شيبة، وآل قنديل، وآل طاشين، وآل عوض الله دفع الله، وآل الكوارته

وغيرهم كثر)[50]. وقد تخصص أولاد الريف في زراعة الخضروات التي يمدون بها كافة أهل المدينة، ومنهم آل الشيخ العالم حسن سالم، وآل الأستاذ المؤرخ سليمان إبراهيم، وآل نورالدين، وآل خلاف، وآل أبوصبرنج، وآل سلطان، وآل محمود أبودقل، وآل عبدالمجيد، وغيرهم من الأسر العريقة[51].

تعد مدينة الفاشر من المدن الغنية بمشاهير علمائها الذين تلقوا دراساتهم في الأزهر الشريف، ودرسوا في معهدها العلمي العريق، وغنية بمساجدها ومشايخها من أهل التصوف بمختلف مشاربهم، إلا أن الطريقة التجانية هي الغالبة، وهناك حي يسمى حي التجانية، ومن زعمائهم ومشايخهم الشيخ منقه، والشيخ سيدي محمد. ومن علماء وفقهاء مدينة الفاشر البارزين الشيخ أحمد أمين عبدالحميد، والشيخ حسب النبي يوسف إمام الجامع الكبير، والشيخ محمد الأمين كرار، والشيخ محمد أحمد سوار مدير المعهد العلمي، والعالم الكبير المرحوم الشيخ إبراهيم عبدالقادر. ومن أعلام الإدارة الأهلية ورجالاتها الذين لا يشق لهم غبار الملك رحمة الله محمود الذي مثل الفاشر في الجمعية التشريعية حتى مارس 1953م، وكان عضوًا في أول برلمان سوداني، وكان من المساندين لإعلان الاستقلال من داخل البرلمان[52].ومن أعلام المدينة ومشاهير التجار الشيخ أحمد بابكر نهار، وكان من أعيان الفاشر الذين أثروا حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو من أعيان حزب الأمة وله مساهمات مقدرة في المجتمع الفاشري، ومن التجار أيضًا المرحوم عبدالقادر أبو سم وله أيادٍ بيضاء على المدينة. ومنهم محمد الصديق السنهوري وهو من مشاهير التجار بسوق الفاشر، ومنهم المرحوم أبوزيد علي محمد عثمان وهو شيخ سوق الفاشر[53]. ومن القادة العسكريين اللواء محمد إدريس عبدالله ابن (القاضي إدريس)، وكان اليد اليمنى للفريق إبراهيم عبود في حكومة 17 نوفمبر 1958م، ومنهم الفريق الركن إبراهيم سليمان رئيس هيئة الأركان الأسبق، ووالي ولاية شمال دارفور 2002 – 2003م. وهناك المرحوم فضل موسى الذي عمل بالسلك العسكري إلى حين تقاعده وهو من كبار رجالات حزب الأمة والأنصار، سياسي متمرس عاصر كثيرًا من الأحداث وله إلمام كبير بتاريخ دارفور والفاشر على وجه الخصوص[54]. ومن أعلام مدينة الفاشر المرحوم عثمان حمزة السماني والد الدكتور محمد آدم اختصاصي النساء والتوليد، والمهندس جلال، والتوأم حسن وحسين وإخوانهم، ومن رجالات الأنصار المخلصين المرحوم الفكي شريف محمود إمام جامع الأنصار، والمرحوم عبدالقادر أحمد إمام جامع تمباسي. ومن أعلام

المعلمين الأستاذ زكريا إدريس عبدالله (القاضي إدريس) وهو والد الأستاذ عبدالله زكريا قائد اللجان الثورية، ومنهم الأستاذ محمد مصطفى السناري، والأستاذ جبريل عبدالله[55].

ومن الأعلام الذين أنجبتهم مدينة الفاشر المرحوم أبَّو حمد حسب الله، وقد بلغت شهرته الآفاق، درس في الأزهر الشريف، والولايات المتحدة الأمريكية. كما أهدت مدينة الفاشر إلى السودان أعلامًا في مختلف التخصصات العلمية ومنهم على سبيل المثال لا الحصر البروفيسور سليمان صالح فضيل صاحب مستشفى فضيل التخصصي، وشقيقه الدبلوماسي التجاني صالح فضيل، والبروفيسور محمود موسى أستاذ الطب البيطري ومدير جامعة جوبا الأسبق، وكذلك عمل مديرًا لجامعة الفاشر، والعلامة البروفيسور عبدالله بريمة (اللغة العربية) تلقى دراساته في الأزهر الشريف، والبروفيسور إبراهيم آدم إسحق أستاذ اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية، والبروفيسور عبدالرحمن سراج أستاذ الحديث وعلومه بجامعة أم درمان الإسلامية، والبروفيسور صلاح الدومة أستاذ العلوم السياسية بجامعة أم درمان الإسلامية، والبروفيسور عبدالله عبدالحي أستاذ العقيدة بجامعة القرآن الكريم، وغيرهم كثر*.

حرق العلم الإنجليزي بمدينة الفاشر:

يعتبر حرق العلم الإنجليزي في مدينة الفاشر من كبريات الأحداث التي شهدتها مدينة الفاشر إبان الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، وكان وقعه على الإدارة الاستعمارية في الخرطوم أليمًا ومهينًا في نفس الوقت.

لقد تمردت مدينة الفاشر من قبل على سلطات الحكم الثنائي في عهد السلطان علي دينار ولم تخضع للحاكم العام إلا بعد استشهاد السلطان علي دينار في عام 1916م، وها هي تعود مرة أخرى لتتمرد على الإدارة الاستعمارية بحرق العلم البريطاني.

كان من الأسباب التي أدت إلى حرق العلم البريطاني أن أبناء دارفور الذين يدرسون بمصر قد سمعوا أن الإنجليز يخططون لفصل إقليم دارفور عن بقية السودان وضمه إلى جنوب السودان ليتكون من دارفور، والجنوب، وكينيا، ويوغندا كمنولث Common Wealth شرق إفريقيا مثل كمنولث غرب إفريقيا الذي يضم نيجيريا والدول الأخرى التي تتبع للسيطرة البريطانية، كما أنهم تسامعوا شائعة بأن شخصًا بعينه يريد الإنجليز تنصيبه ملكًا على دارفور، وقد رتبوا قيام معرض قبلي بمدينة زالنجي لإخراج ذلك الترتيب،

وأن الحاكم العام السير (روبرت هاو) سيكون حاضرًا لذلك الملتقى[56]. وما أن تسامع الطلاب الذين يدرسون بمصر بذلك حتى تسارعوا إلى ترتيب أنفسهم وتشكيل وفد منهم يضم أربعة أشخاص للذهاب إلى السودان والتأكد من تلك الأخبار التي سمعوها، وقد ساهم في تحريك وفد دارفور من مصر مسؤول شؤون السودانيين بمصر السيد الدرديري أحمد إسماعيل، ووزير الخارجية المصري محمد صلاح الدين، وأحد رجالات الحزب الاتحادي وهو إبراهيم جبريل[57].وصل وفد الطلاب إلى الخرطوم والتقوا بالسيد إسماعيل الأزهري، والسيد مبارك زروق، والسيد يحيى الفضلي وتفهموا أمرهم، وشجعوهم للسفر إلى الفاشر عاصمة دارفور الكبرى لمجابهة الأمر، وقد انضم إليهم خمسة آخرون لتكون اللجنة تساعية، ووصل الوفد إلى الفاشر والتقوا بكافة مكونات المجتمع وتبادلوا الآراء، وواصلوا جهودهم وكونوا لجانًا بالأحياء والأسواق والمؤسسات الحكومية لمناهضة هذا الأمر[58]. وبعد أن تم الإعداد الدقيق لهذا الأمر والتعبئة على مدى أسبوع كامل تحركت مسيرة الطلاب من معهد الفاشر العلمي من مسجد الفاشر الكبير، وسلكوا طريق سوق الفاشر الرئيس من الشرق إلى الغرب مرورًا بدكان الخواجة (مماكوس) ثم اتجهوا شمالًا إلى المدرسة الأهلية، وهتف الطلاب بسقوط الاستعمار وانضم إلى المظاهرة عدد من المواطنين، وغلت المدينة غليانًا شديدًا، وتوجه المتظاهرون نحو مركز الفاشر حيث يوجد المفتش، وقد تصدى لهم البوليس وانهالوا عليهم ضرباً، وقد سقط على الأرض الشيخ عباس محمد نور عالم والعديد من المتظاهرين وتم اعتقالهم، وواصلت المظاهرة سيرها حتى المركز واقتحمته، وانتهى اليوم الأول للمظاهرة بين السوق والمركز وسجن (الخير خنقا) وتم اعتقال أبو القاسم الحاج محمد، ويوسف محمد نور وآخرين[59]. وتجددت المظاهرات في اليوم التالي وتدافع المتظاهرون عصرًا نحو المديرية وعلت هتافاتهم بسقوط الاستعمار، وتم إنزال العلم البريطاني من سارية المديرية وتم تقطيعه وحرقه. وقد أدى ذلك إلى اعتقال عدد كبير من المتظاهرين، وأودعوا سجون البان جديد بالأبيض، وشالا بالفاشر، حلوف بالفاشر، وسجن نيالا. وقد حكم على القادة الذين حركوا المظاهرات بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وهم: أبوالقاسم الحاج محمد، وعبدالرحمن محمد حسن طويل، ويوسف محمد نور عالم. كما حكم على محمد محمود محمد (ود الريف) بالسجن لمدة سنة، وقيد جنازير في الأرجل والأشغال الشاقة و(25) جلدة لأنه المتهم بإنزال العلم البريطاني وحرقه (سجن حلوف)[61]. وحكم على عدد كبير من المواطنين بالسجن لمدد

متفاوته، وبعضهم بالجلد مع توزيعهم على السجون في الفاشر والأبيض ونيالا. وقد حضر هذه المحاكمات المستر (كوكس) مدير بوليس السودان[62]. وعند اكتمال مدة سجن هذه الكوكبة من الرجال وعند خروجهم من السجون كانوا يزفون إلى منازلهم في سيرة كبرى (بالدلوكة)، وتنشد لهم الوطنية عائشة كرب:

عجبوني الليلة جـــوا دخلوا السجن شرفوا

أولاد الفاشر ظاهروا للعـــلـم نـــزلـــوه

بالكبـريــت حرقـــوه للنـمليـــة شرطـــوا

للتلفـون قطعـــوا للحجـــر كسـروا

دخلوا شالا شرفـــوا ناس (للي) ويوسفـــو

مع ذكر اسم كل بطل بعد ذلك حتى داره[63].

تلك صورة رائعة من صور النضال والوطنية الحقة التي قدمها بعض الطلاب والمواطنين الشرفاء من أبناء مدينة الفاشر، فقد تصدوا للمستعمر وخططه بكل بسالة وشجاعة، وواجهوا أبشع صور القمع من الضرب والسجن والنفي، ولم تلن لهم قناة، وهي ملحمة جديرة بالتأمل والوقوف عندها كثيرًا، ولكنها لم تجد حظها من التدوين والتعريف مثل غيرها من المواقف الوطنية الأخرى التي شهدها الوطن على امتداد تاريخنا الطويل.

متحف السلطان علي دينار:

من المعالم الأساسية لمدينة الفاشر متحف السلطان علي دينار، وكان قصرًا للسلطان علي، وبعد سقوط مدينة الفاشر عام 1916م، أصبح القصر المقر الرئيسي للكولونيل كلي القائد الإنجليزي، وبعد استقلال السودان صار مقرًا للمحافظين حتى عام 1977م حيث أصدر المحافظ الطيب المرضي قرارًا بتحويل القصر إلى متحف قومي يضم تراث وثقافة دارفور وذلك بتوجيه من الرئيس الراحل جعفر النميري[64]. ويحتوي المتحف على بعض المقتنيات الأثرية الخاصة بالسلطان، والأخرى بالأمراء، وبعض أرباب الدولة في عصره، والأدوات الحربية الخاصة مثل السكاكين، والحراب، والبنادق، والعصي، والكرابيج،

وبعض الملابس الخاصة بالسلطان، وكذلك الطبول، وكرسي السلطنة وما حوله من أدوات الشموخ وهيبة الدولة، إضافة إلى جزء يختص ببعض العملات المعدنية الخاصة بعهده والمصنوعات الشعبية اليدوية السعفية والجلدية، أواني مطلية بالذهب، مخطوطات إسلامية[65].

خاتمة:

مما تقدم عرضه في الصفحات الماضية يتضح لنا أن مدينة الفاشر مدينة تاريخية عريقة قامت بدور مقدر في مسيرة الحياة السودانية، قاومت كافة أشكال الاستعمار والهيمنة، وحملت لواء الثقافة الإسلامية، وظلت لمدى قرون من الزمان تتواصل مع مراكز الثقافة الإسلامية في مصر والحجاز. وقد استحقت أن تكون إحدى عواصم الثقافة الإسلامية التي تختار من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة كما هو الحال مع سنار، أو تمبكتو بمالي، أو داكار بالسنغال، أو فاس بالمغرب، أو طشقند عن المنطقة الآسيوية أو غيرها من مدن الثقافة الإسلامية الأخرى.

المصادر والمراجع:

(1) إبراهيم آدم اسحق، الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية)، الخرطوم – الطبعة الأولى، 2003م.

(2) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، العلاقات الخارجية بين دارفور والعالم الخارجي 1640-1874م، الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، الطبعة الأولى، 2016م.

(3) الأمين محمود عثمان، سلطنة الفور الإسلامية – دراسة تحليلية، الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، 2013م.

(4) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، الطبعة الأولى، 2013م.

(5) جوستاف ناختيقال، تاريخ دارفور، ترجمة النور عثمان أبكر، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2011م.

(6) ر. س . أوفاهي، الدولة والمجتمع في دارفور، ترجمة عبدالحفيظ سليمان عمر، القاهرة: مركز الدراسات السودانية، ط1، 2000م.

(7) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في السودان، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1406هـ/ 1986م.

(8) عز الدين إسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عهد الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

(9) محمد إبراهيم أبوسليم، الفور والأرض، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة، 1975م.

(10) محمد أحمد بدين، صدى الذكريات، المملكة العربية السعودية - جدة: مركز الراية المعرفية، الطبعة الأولى، 2009 – 2010م.

(11) محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق دكتور خليل محمود عساكر، ودكتور مصطفى محمد مسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م.

(12) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم عباس حلمي باشا خديوي مصر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1995م.

(13) محجوب زيادة، الإسلام في السودان، سلسلة اقرأ الكتاب رقم (208)، دار المعارف بمصر، 1960م.

(14) مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، د.ت أو دار نشر.

(15) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م.

(16) الصحف والمواقع الإلكترونية:

(17) أحمد إبراهيم أبو شوك، سلاطين دارفور وصرة الحرمين الشريفين، صحيفة السوداني - الأربعاء 23 صفر 1438م/ الموافق2016/11/23م.

(18) حسين آدم الحاج، دور دارفور في الحركة الوطنية الحديثة، حرق العلم الإنجليزي بالفاشر، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية (Available at www.sudanjem.com)

الهوامش:

(1) انظر: جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، شركة مطابع السودان للعملة، ط1، 2013م، ص 13، الأمين محمود محمد عثمان، سلطنة الفور الإسلامية، دراسة تحليلية، شركة مطابع العملة السودانية المحدودة - الخرطوم، 2011م، ص 27-28.

(2)أبو البشر عبدالرحمن يوسف، العلاقات الخارجية بين دارفور والعالم الخارجي 1640 - 1874م، شركة مطابع العملة السودانية، ط1، 2016م، ص 24.

(3) جبريل عبدالله علي، المرجع السابق، ص 14.

(4) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، مرجع سابق، ص 25.

(5) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، مرجع سابق، ص 25-26.

(6)انظر: نعوم شقير، جغرافيا وتاريخ السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007م، ص 374 وما بعدها، 394-395، 401-402، مصطفى مسعد، سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، د.ت أو دار نشر ص 88 وما بعدها، عزالدين إسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عهد الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص 113 وما بعدها، جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 44-45.

(7) ر.س. أوفاهي، الدولة والمجتمع في دارفور، ترجمة عبدالحفيظ سليمان عمر، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ط1، 2000م، ص 41.

(8)إبراهيم آدم اسحق، الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية)، ط1، 2003م، الخرطوم، ص 42.

(9) أوفاهي، المرجع السابق، ص 41.

(10) الأمين محمود محمد، سلطنة الفور الإسلامية، ص 161.

(11)أبو البشر عبدالرحمن يوسف، العلاقات الخارجية بين دارفور والعالم الخارجي، ص 30.

(12)أوفاهي، الدولة والمجتمع، ص 42.

(13)المرجع نفسه والصفحة.

(14) المرجع نفسه، ص 42.

(15) أوفاهي، ص 43.

(16) أوفاهي، الدولة والمجتمع في دارفور، ص 43.

(17)المرجع نفسه، ص 44.

(18)مصطفى مسعد، سلطنة دارفور، ص 245.

(19) المرجع نفسه، ص 245.

(20) محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق د. خليل محمود عساكر، ود. مصطفى محمد مسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م، ص 116.

(21) المرجع نفسه، ص 117.

(22) مصطفى محمد سعد، مرجع سابق، ص 235-236، نعوم شقير، مصدر سابق، ص 382-383.

(23)انظر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، مقدمة المحققين خليل محمود عساكر، ومصطفى مسعد، ص 5، ص 9-10.

(24)انظر: المصدر نفسه، مقدمة التحقيق، ص 7-8.

(25)انظر: جوستاف ناختقال، تاريخ دارفور، ترجمة النور عثمان أبكر، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2011م، ص 7.

(26)المصدر نفسه، ص 7.

(27)المصدر نفسه، ص 7.

(28)الأمين محمود محمد، سلطنة الفور إسلامية، ص 99.

(29)محمد إبراهيم أبو سليم، الفور والأرض، دار جامعة الخرطوم للطباعة، 1975م، ص 16.

(30)المرجع نفسه، ص 17.

(31)محجوب زيادة، الإسلام في السودان (سلسلة اقرأ) الكتاب رقم (208)، دار المعارف بمصر، 1960م، ص 87-88.

(32) محجوب زيادة، الإسلام في السودان، ص 88.

(33)عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في السودان، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1406هـ/1986م، ص 327-328.

(34) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 78.

(35)جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 78.

(36)المرجع نفسه، ص 78.

(37)جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 78.

(38) الأمين محمود محمد، سلطنة الفور الإسلامية، ص 295.

(39) انظر: أوفاهي، ص 36.

(40) أوفاهي، الدولة والمجتمع، ص 36.

(41)المرجع نفسه، ص 37.

(42) جغرافية وتاريخ السودان، مصدر سبق ذكره، ص 406.

(43) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص 406.

(44) انظر: محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم عباس حلمي باشا خديوي مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م، ص 267.

(45) انظر: جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 33. أحمد إبراهيم أبوشوك، سلاطين دارفور وصرة الحرمين الشريفين، صحيفة السوداني، الأربعاء 23 نوفمبر 2016م، الموافق 23 صفر 1438هـ، ص 6.

(46) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 33. أحمد إبراهيم أبوشوك، سلاطين دارفور وصرة الحرمين الشريفين، ص6.

(47)أحمد إبراهيم أبوشوك، المرجع السابق، ص 6.

(48)جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، مرجع سابق، ص 36.

(49) المرجع نفسه، ص 36-37.

(50) محمد أحمد بدين، صدى الذكريات، مركز الراية المعرفية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009-2010م، ص 146.

(51)المرجع نفسه، ص 146.

(52) انظر: جبريل عبدالله علي، مرجع سبق ذكره، ص 127، 149، 150، 151، 167، 172، 176، 178.

(53) المرجع نفسه، ص 102، 103، 125، 129، 130.

(54) المرجع نفسه، ص 126، 233، 334.

(55)انظر: جبريل عبدالله علي، ص 127، 268.

(56) لا يتسع المجال لسرد كافة الأعلام الذين أنجبتهم مدينة الفاشر، وقد أوردت إشارات مقتضية لبعض هؤلاء الاعلام ممن أسعفتني الذاكرة بالإشارة إليهم، بالإضافة إلى ما جاء في الموسوعة القيمة التي ألفها الأستاذ جبريل عبدالله علي

عـن تاريـخ مدينـة الفـاشر، وقـد وثـق لكافـة أعلامهـا توثيقًـا أمينًـا، فهـو أحـد أبنـاء الفـاشر الذيـن عـاصروا كثـيرًا مـن أحداثهـا، واسـتمعوا إلى كثيرمـن الـرواة، فجـاء توثيقـه أكـثر شـمولًا ومعرفـة ودقـة.

(57)جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، مرجع سابق، ص 372.

(58) المرجع نفسه، ص 373.

(59) المرجع نفسه، ص 373، 374، 375.

(60)جبريـل عبداللـه عـلي، ص 377، انظـر: حسـين آدم الحـاج، دور دارفـور في الحركـة الوطنيـة الحديثـة (حـرق العلـم الإنجليـزي بالفـاشر)، مقـال منشـور عـلى الشـبكة العنكبوتيـة، sudanjem.com/s

(61)جبريل عبدالله علي، ص 377، 378، 379.

(62)انظر: حسين آدم الحاج، دور دارفور في الحركة الوطنية الحديثة، sudanjem.com/s

(63) جبريل عبدالله علي، ص 380.

(64)المرجع نفسه، ص 86، 87.

(65). r.m.wikipedia.org

الفصل الخامس

إقليم مدينة شمبات
دراسة في جغرافية العمران (1963 - 2019)

إقليم مدينة شمبات
دراسة في جغرافية العمران (1963 - 2019)

د. أحمد مبارك بابكر المبارك

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية التربية - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مقدمة:

إقليم المدينة هو منطقة نفوذها وهو الذي يقوم على أساس العلاقات الوظيفية المتبادلة بين المدينة وإقليمها وهي السكانية والاقتصادية والإدارية والادارية والثقافية والذي يمكن تحديده عن طريق خطوط النقل والخدمات والصناعة والتجارة والإدارة وقد قمت بتطبيق ذلك في هذا البحث على إقليم مدينة شمبات من خلال الفصول الآتية: المقدمة المنهجية للبحث وإقليم المدينة وجغرافية منطقة الدراسة وإقليم مدينة شمبات والخاتمة.

تناول هذا البحث بالدراسة إقليم مدينة شمبات والعلاقات المتبادلة بين المدينة وإقليمها.وأهميته هي إبراز نفوذ إقليم مدينة شمبات.

أولاً : أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعرف:

إقليم مدينة شمبات.

طرق تحديد إقليم شمبات.

العلاقات المتبادلة بين مدينة شمبات وإقليمها.

ثانيًا: الحدود الزمانية:

من 1963حتى 2019م.

الحدود المكانية مدينة شمبات بحدودها حتى 2019م انظر خريطة رقم (1) وخريطة(2).

ثالثًا: مشكلة البحث:

لكل مدينة إقليم أو نفوذ وله طرق تحدده كما توجد علاقة بين المدينة وإقليمها تبرز مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل لمدينة شمبات إقليم أو نفوذ ؟

ماهي طرق تحديد إقليم مدينة شمبات؟

ماهي العلاقات المتبادلة بين مدينة شمبات وإقليمها؟

رابعًا: فروض البحث:

1. لمدينة شمبات إقليم وهو عبارة عن نفوذها والذي يحدد عن طريق امتداد خطوط النقل وعن طريق خدمات التعليم والصحة والثقافة والصناعة.
2. ينتج عن تفاعل المدينة مع إقليمها، والعلاقات المتبادلة تتمثل في العلاقات الاقتصادية والتجارية والزراعية والصناعية والثقافية.

خامسًا: منهج وأسلوب الدراسة:-

استخدم الباحث عدة مناهج، وهي:

المنهج المسحي التحليلي والذي استخدم في إقليم المدينة ثم تحليله.

المنهج العلمي المعاصر «الاستقرائي والاستنباطي» والذي استخدم في استخراج النتائج.

سادسًا: طرق جمع المعلومات:

المصادر الثانوية خاصة بموضوع الدراسة تشمل المراجع جغرافية العمران.

المصادر الأولية هي العمل الميداني والذي تم على ثلاث مراحل:

1/ مرحلة الاستكشاف. 2/ مرحلة الدراسة الميدانية. 3/ مرحلة التحليل.

1/ مرحلة الاستكشاف:

قام الباحث برحلات استطلاعية شملت المدينة والريف الشمالي لمشاهدة وملاحظة طرق تحديد العلاقة بين المدينة وإقليمها، وقد تم ذلك عن طريق الملاحظة.

2/ مرحلة الدراسة الميدانية:

وقد تمت عن طريق أ/ المقابلات الشخصية. ب/ طريق المعاينة.

أ / المقابلات الشخصية:

قام الباحث بزيارات ميدانية للمصالح والمؤسسات ذات الاختصاص بموضوع الدراسة ومقابلة مسؤولين فيها وهي:

1/ مكتب إدارة النقل بحري – رئاسة شرطة الجمارك بحري قسم رسوم الإنتاج محلية بحري – إدارة الأسواق بحري – لجنة السوق المركزي للفاكهة ببحري – مكتب إدارة التعليم غير الحكومي للمرحلة الثانوية ببحري – مكتب القبول لوزارة التعليم العالي – سجلات الإحصاء بمستشفى الصافية والبراحة – تجار الماشية بمحلية بحري – مصلحة المساحة.

2/ المعايشة الميدانية:

نظرًا لأن الباحث عاش في هذه المدينة فإنه يعتبر مصدرًا للمعلومات، فقد عايش العلاقات المتبادلة بين المدينة وإقليمها.

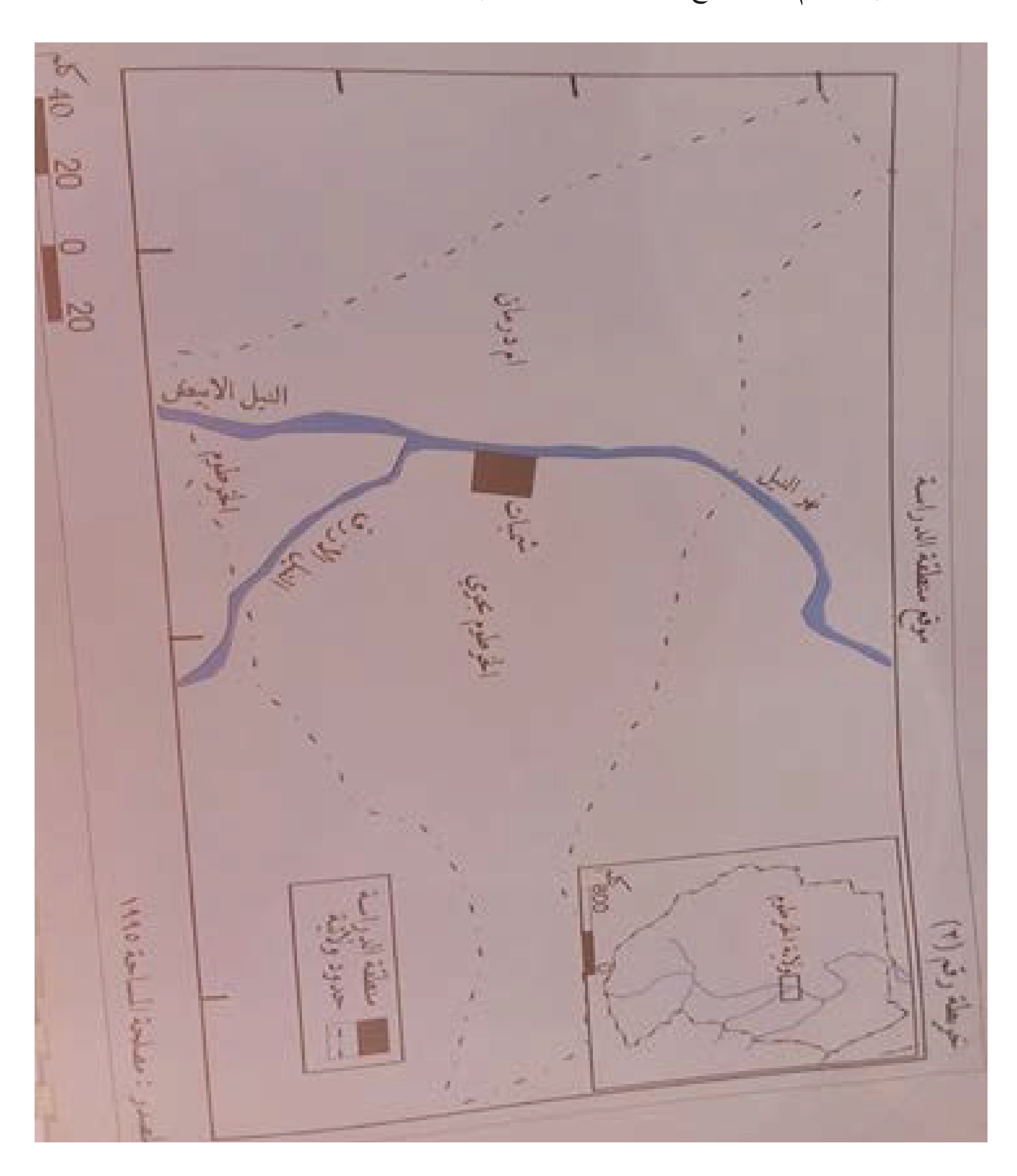
3/ مرحلة التحليل:

قام الباحث بتحليل المعلومات التي قام بجمعها.

أدوات البحث:

استخدم الباحث 1/ الملاحظ 2/ المقابلات الشخصية.

خريطة رقم (1) موقع منطقة الدراسة شمبات



خريطة رقم (2) خريطة شمبات 1996م



إقليم المدينة:

هو منطقة نفوذ المدينة، وهو الذي يقوم على أساس العلاقات المتبادلة بين المدينة وما حولها من ريف ومدن أصغر[1] على أساس العلاقات الاقتصادية والسكانية والإدارية والثقافية المتبادلة بين المدينة وريفها [2] تحديد إقليم المدينة [3] له أهمية في إعداد التصاميم الأساسية لها ولإقليمها مما يحقق أهداف التنمية الشاملة [4]، يحدد إقليم المدينة عن طريق:

1. المواصلات «طرق النقل»: هي العامل الحاسم في تحديد مدى اتساع نفوذ المدينة والتي لديها جانبان بالنسبة للوقت والتكاليف الأول لهما في حركة الأشخاص، الثاني في حركة البضائع الثقيلة خاصة الموارد الأولية ونصر الوقت أهم لأنه يضبط الحركة اليومية بين المدينة وريفها، فالمنطقة التي تخرج إليها خطوط المواصلات والنقل تحدد نفوذ المدينة.
2. الصناعة تحدد نفوذ المدينة، عن طريق الصناعة بالمناطق التي تسوق فيها الصناعة.
3. الإدارة، نفوذ المدينة الإداري يحدد عن طريق المناطق التي تقع تحت سيطرة السلطة الادارية التي توجد بها.
4. الخدمات التعليمية والصحية والثقافية، فإقليم المدينة التعليمي هو المنطقة التي تؤثر فيها المدينة بخدماتها التعليمية والصحية أيضًا هو المنطقة التي تمتد إليها الخدمات الصحية للمدينة والإقليم الثقافي هو المنطقة التي تمتد إليها المدينة بخدماتها الثقافية.
5. التجاري: إقليم المدينة التجاري هو منطقة نفوذ المدينة بخدماتها التجارية حيث يأتي السكان إليها للتسوق منها.

العلاقة بين المدينة وإقليمها:

هي العلاقة بين المدينة وريفها المجاور ويمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام رئيسية، وهي العلاقات الإدارية والثقافية والسكانية والاقتصادية[5]:

1/ العلاقات الإدارية والثقافية:

يعد الدور الإداري من أقدم أدوار المدينة وتعد المدينة قاعدة لوحدة إدارية وربما كانت حدود الإقليم المدني من ناحية الدور الإداري للمدينة هي الوحدة المحددة بخططها محدودة [6].

أما عن العلاقات الثقافية فإن الخدمات الثقافية نجد أنها تشمل مسرح ودار السينما ومدينة الملاهي والنادي. لا توجد في القرية وإنما توجد في المدينة ويأتي إليها سكان القرية. العلاقة السكانية [7].

تتميز العلاقة بين المدينة وريفها المجاور بظاهرتين هجرة دائمة من الريف إلى المدينة وحركة يومية بين العمل والسكن (الرحلة إلى العمل، 49) [8].

والظاهرة الأولى وهي الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة[9] نتيجة لتوفر فرص العمل في المدينة ولوجود الصناعة وهي عامل اقتصادي عمل على جذب السكان إليها وتوفر الخدمات والمرافق العامة ومناطق الترفية [10].

الظاهرة الثانية رحلة العمل اليومية وهي من السكن إلى العمل نظرًا لأن كثيرًا ممن يعمل في المدينة يسكن خارجها في الإقليم الريفي لذلك فإن هنالك رحلةً يومية إلى العمل تجعل من إقليم المدينة ما يسمى بمنطقة الرحلة اليومية [11].

العلاقات الاقتصادية وهي الزراعية والتجارية والصناعية:

1/ الزراعية:

تعد من أهم العلاقات وأوضحها بين المدينة وإقليمها والذي يعد بالنسبة لها إقليم تغذية، فالمدينة سوق استهلاكي للريف « منتجات حيوانية وزراعية « وهو من ثم يفرض نفوذه في توجيه الإنتاج الزراعي في الريف المحيط.

والمدينة تؤثر على زراعة الإقليم بعاملين:

1/ الطلب فيها كسوق2/ أثر نمو المدينة على سعر الأرض.

الطلب فيها كسوق، توجه المدينة الريف بزراعة الخضر والفاكهة والتي تحتاج إليها في غذائها وكمواد خام للصناعة، زراعة الزهور التي تحتاج إليها في تجميل الحدائق.

أثر زحف المدينة يمثل تعديًا على الأرض، فنمو المدينة يكون على حساب إصلاح الأراضي الزراعية الملاصقة المباشرة لها [12].

2/ العلاقة الصناعية، هنالك علاقة قوية بين المدينة وإقليمها من الناحية الصناعية لأن الصناعة في المدن تحتاج إلى مواد أولية بعضها في الإقليم كالمواد الزراعية الغذائية والقطن والجوت ومنتجات الألبان واللحوم والجلود والأصواف وغيرها، كذلك يوفر الإقليم الأيدي العاملة الرخيصة للعمل في النشاط الصناعي، إضافة إلى ذلك أن المدينة سوق مستهلك للمنتجات الصناعية. كما تعمل بعض الدول على إنشاء الصناعات في المناطق الريفية لرخص سعر الأرض ولاتساع المساحة [13].

3/ العلاقة التجارية، تعتبر من أهم أوجه العلاقات الوظيفية بين المدينة والإقليم، وذلك بكون المدينة في الوسط في الاتصال بين أجزاء الإقليم بعضها مع بعض وبين الإقليم والمدينة بما يحويه هذا الإقليم من قرى ومدن صغيرة، وهذه العلاقة تتم إما عن طريق حاجة سكان الريف إلى بضائع فتقوم محلات البيع بالمفرد في المدينة بتلبيتها لهم[14].

جغرافية منطقة الدراسة:

تتمثل في الخصائص الطبيعية والبشرية الخصائص الآتية:

أولًا: الخصائص الطبيعية:

تتمثل في الموقع والموضع والتركيب الجيولوجي والمناخ ومصادر المياه والغطاء النباتي.

الموقع، ندرس الموقع من الناحية الفلكية والجغرافية.

الموقع الفلكي: تقع مدينة شمبات عند تقاطع 32 22 شرقًا مع دائرة العرض 39-15 شمالًا [15].

الموقع الجغرافي: تقع على الضفة اليمني للنيل ويحدها من الغرب نهر النيل ومن جهة الشرق شارع الإنقاذ والمنطقة الصناعية ومن جهة الجنوب حي الشعبية ومن جهة الشمال مدينة الحلفايا، انظر خريطة رقم (1) ورقم (3).

الموقع، يقصد به البقعة التي تقوم فيها المدينة وتتضمن عناصر الموضع دراسة السطح من حيث المناسيب وما يتعلق بالانحدارات أو الميول التي قد توجد به[16].

سطح مدينة شمبات هو جزء من سطح محلية بحري والذي يتميز بأنه عبارة عن منطقة شديدة التسطح [17] فطبيعة المنطقة سهلية هي التي تميزها.

التركيب الجيولوجي: مدينة شمبات هي جزء من محلية بحري والتي نشأت على طبقة فيضية سمكها 100 قدم، وتربتها هي تربة فيضية صلصالية، وهي تربة زراعية خصبة المناخ، تقع مدينة شمبات في المنطقة الشبه صحراوية[18]

المناخ، تقع مدينة شمبات في المنطقة الصحراوية [19]

الغطاء النباتي: هو نبات شبه الصحراء والتي أزيلت وحلت محلها المساكن رقم مصادر المياه.

تستمد هذه المنطقة مياهها من محطة مياه بحري والتي تستمد مياهها من النيل الأزرق [20].

الخصائص البشرية:

السكان: أخذ عدد السكان ينمو ويزداد منذ 1973م إلى 1993م حيث بلغ في هذا العام 891و39 [21]

التركيب القبلي:

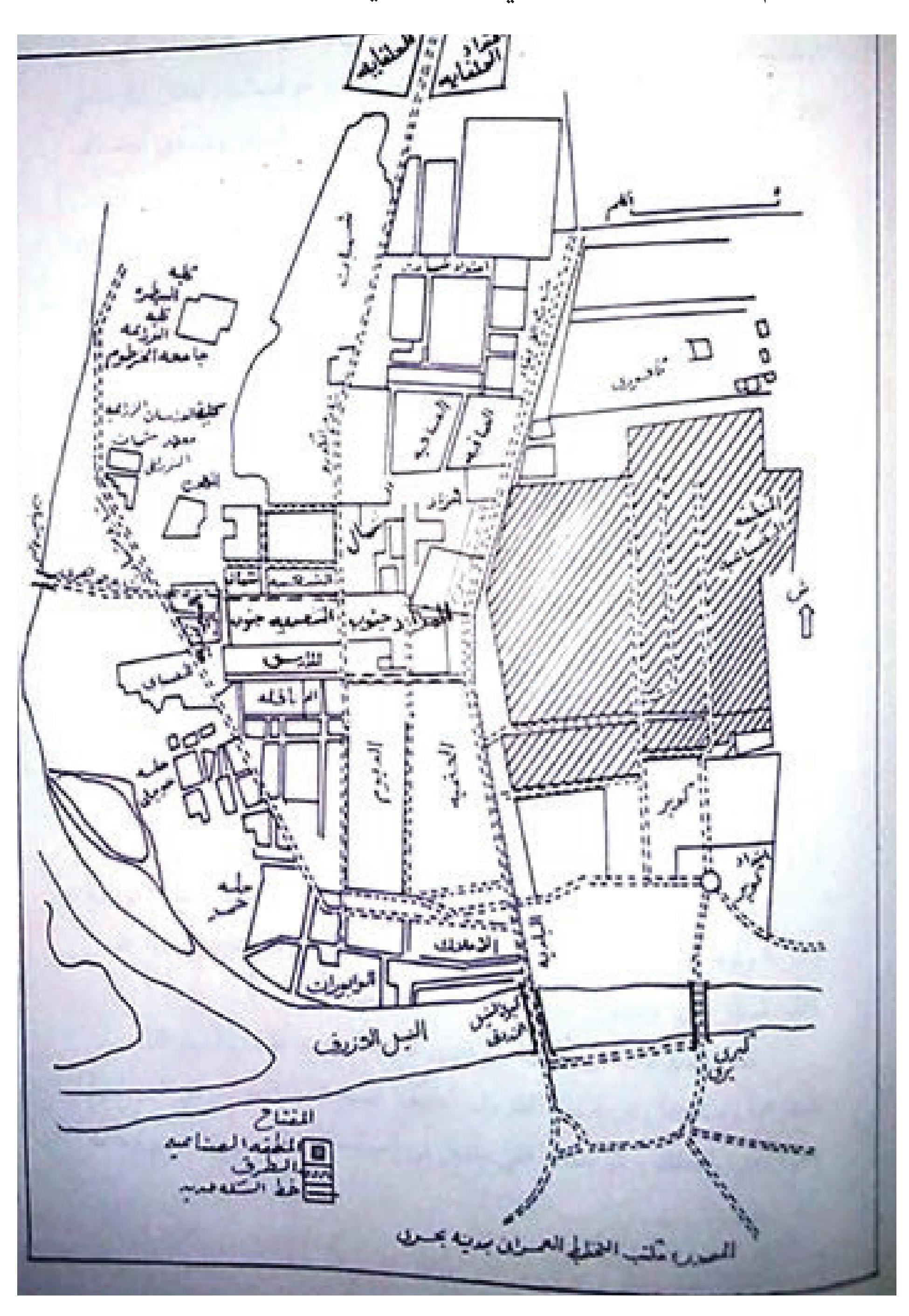
يتكون السكان من عدد من القبائل المحس والعبدلاب والشايقية والجعليين وقد انصهرت هذه القبائل مع بعضها عن طريق التزاوج والعلاقات الاجتماعية الأخرى بحكم التواصل اليومي [22].

النشاط الاقتصادي:

قام النشاط الاقتصادي على حرفة الزراعة حيث كان السكان يزرعون على التربة الفيضية الخصبة التي تقع على ضفاف نهر النيل، حيث يزرعون الخضروات والفاكهة، كما توجد مزارع للأعلاف وتربية الأبقار والماشية للألبان.

كما يعمل بعض السكان في المؤسسات الخدمية التعليم والصحة الهيئة القومية للمياه والكهرباء وموظفين في المكاتب الحكومية كما يعمل بعض السكان في المصانع[23].

خريطة رقم (3) الأحياء السكنية في مدينة بحري



إقليم مدينة شمبات

هو منطقة نفوذ المدينة وهو الذي يقوم على أساس العلاقات السكانية والاقتصادية والإدارية والثقافية والتعليمية المتبادلة بين مدينة شمبات وما حولها من ريف محلية بحري ومدن السودان.

تحديد إقليم المدينة:

هنالك العديد من طرق تحديد إقليم المدينة وهي:

1/ طرق النقل «خطوط النقل» :

والتي تتحرك من موقف شندي الذي يوجد في شمال شمبات[24]

إقليم المدينة التجاري:

هو منطقة نفوذها التجاري والذي يمتد إلى الريف الشمالي لمحلية بحري ومدن محلية بحري ومحلية شرق النيل حيث يوجد فيها السوق المركزي للخضر والفاكهة والذي يأتي إليه السكان ليتسوقوا فيه من تلك المناطق المذكورة[25].

إقليم المدينة الصناعي هو منطقة نفوذها الصناعي، يقع جزء من المنطقة الصناعية لبحري في شرق شمبات. فمدينة بحري يوجد بها أكبر مجمع صناعي في القطر، وفيه تتركز غالبية الإنتاج الصناعي في الدولة. نظرًا لأن الصناعة تسوق منتجاتها في ريف المحلية الشمالي وشرق النيل وفي ولاية الخرطوم ومدن السودان الأخرى فلذا فإن المحلية يمتد نفوذها الصناعي لكل مدن السودان[26].

إقليم المدينة التعليمي:

هو المنطقة التي تؤثر منها المدينة بخدماتها التعليمية، نجد أن مدينة شمبات تقدم خدمات تعليمية جيدة للريف الشمالي لمحلية بحري وخصوصًا بالنسبة للمدارس الثانوية الخاصة، والتي تقل في الريف الشمالي ويتركز جزء منها في شمبات[27].

أما بالنسبة لخدمات التعليم العالي فيمتد نفوذها إلى ولايات السودان الأخرى حيث توجد بشمبات جامعة الخرطوم «كلية الزراعة والبيطرة والإنتاج الحيواني والغابات» وجامعة السودان كلية الدراسات الزراعية وكلية هندسة الصناعة وخاصة المشرق وكلية

شرق النيل وكلية الصفوة ومدارس الطيران الرونق للطيران ومركز البحوث الزراعية شمبات وجامعة الزعيم الأزهري. والتي يأتي إليها الطلاب من جميع أنحاء السودان[28].

إقليم المدينة الصحي: وهو المنطقة التي تؤثر فيها المدينة بخدماتها الصحية، يوجد مستشفى الصافية الحكومي والذي يأتي إليه المرضى من أحياء بحري وريف محلية بحري وشرق النيل وولاية نهر النيل. فإن إقليم شمبات الصحي يمتد إلى خارج شمبات إلى ريف المحلية الشمالي وأحياء بحري ومحلية شرق النيل وإلى ولاية نهر النيل[29].

إقليم المدينة الثقافي هو المنطقة التي تؤثر فيها المدينة بخدماتها الثقافية نظرًا لتركز بعض المراكز الثقافية فيها «مسرح خضر بشير وبعض صالات الأفراح التي يأتي إليها السكان من أحياء مدينة بحري والريف الشمالي لمحلية بحري ومحلية شرق النيل فإن نفوذها الثقافي يمتد إلى تلك المناطق.

علاقة مدينة شمبات بريف محلية بحري الشمالي:

توجد ثلاثة أنواع من العلاقات هي:

1/ الاقتصادية2/ السكانية3/ الثقافية والخدمية.

أولًا: الاقتصادية:

تتمثل في العلاقات الصناعية والثقافية والزراعية:

أ/ الزراعية: يعتمد سكان المدينة في غذائهم على الإنتاج الزراعي من ريف محلية بحري الشمالي[30].

فنجد أن الريف الشمالي لمحلية بحري يمد المدينة بالمواد الغذائية من الخضر والفاكهة حيث يأتي من واوسي دبك ودرملي الجيلي، قري كما تأتي من أطراف العاصمة والجزيرة[31].

فنجد أن مدينة شمبات تؤثر على الإنتاج الزراعي من الريف بالطلب منها كسوق المنتجات الزراعية، كما تقوم بتوجيه الإنتاج الزراعي للحصول على المواد الخام الزراعية اللازمة للصناعة « صناعة المواد الغذائية وينطبق ذلك على مدينة شمبات وهذا يعني أن هنالك علاقة اقتصادية متبادلة بين المدينة والريف الشمالي لمحلية بحري.

ب/ الصناعية : نجد أن الريف الشمالي لمحلية بحري يمد مدينة شمبات بالمواد

الخام الزراعية اللازمة للصناعة كما ذكرت، كما نجد أن ريف المحلية الشمالي يمد مدينة شمبات بحاجتها من العمال ، كما أن المدينة تؤثر على الريف، يأتون إليها ليتسوقوا من المنتجات الصناعية الموجودة في المدينة وهذا يعني أن هنالك علاقة اقتصادية متبادلة بين المدينة وريف محلية بحري الشمالي.

ج/ التجارة، نسبة لأن المدينة تتركز فيها السلع التجارية بمختلف أنواعها يأتي إليها سكان الريف لشراء حاجياتهم فيها كما نلاحظ أيضًا تجار الماشية يأتون إلى الريف الشمالي للمحلية لجلب المحاصيل الزراعية والحيوانات وبينها في مدينة شمبات[32].

ثانيًا: العلاقات السكانية:

تتمثل هذه العلاقة في ظاهرتين:

ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة: هاجرت أعداد كبيرة من السكان من ريف محلية بحري الشمالي إلى مدينة شمبات لتوفر الخدمات وفرص العمل في المدينة «الصناعة – الزراعة – التجارة – التعليم « وقربها من قلب المدينة.

أما الظاهرة الثانية فهي رحلة العمل اليومية من السكان وبين مناطق سكنهم في الريف الشمالي للمحلية ومناطق عملهم في داخل مدينة شمبات سواء كانت مناطق عملهم في الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو خدمية في الصحة أو التعليم أو الكهرباء أو المياه[33].

ثالثًا: علاقات ثقافية:

نسبة لتركز بعض الخدمات الثقافية في مدينة شمبات وانعدامها في الريف الشمالي كما سبق ذكرها نجد أن سكان الريف الشمالي لمحلية بحري يأتون إليها وبالتالي تكون هنالك علاقة ثقافية بين مدينة شمبات والريف الشمالي لمحلية بحري.

الخاتمة:

اتضح من الدراسة أن نفوذ مدينة شمبات أو إقليمها قام على أساس العلاقات (السكانية والاقتصادية والإدارية والثقافية والتعليمية) المتبادلة بينها وبين المناطق المجاورة ومدن السودان الأخرى. وقد تم تحديد إقليمها عن طريق خطوط النقل والخدمات الصحية والتعليمية والثقافية والتجارة والصناعة،

المراجع والمصادر :

1. أحمد علي إسماعيل 1982م ، دراسة في جغرافية المدن ط الثانية القاهرة.
2. جمال حمدان 1977م ، جغرافية المدن ، ط الثانية ، الناشر عالم الكتب القاهرة.
3. حسن عبدالله المنقوري 2005م ، أسس الجغرافية البشرية منشورات جامعة السودان المفتوحة.
4. عبدالله حامد العبادى 1974م ، تخطيط المدن في السودان بين الحاضر والمستقبل الخرطوم ، أكاديمية العلوم الادارية والمهنية.
5. عبدالفتاح محمد وهيبه ، جغرافية العمران ، منشاة المعارف الإسكندرية.ب ت
6. عبدالحليم ناصر 2008م ، جغرافية المدن جامعة تعز اليمن.
7. فتحي محمد ابوعيانه 2011، جغرافية العمران ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

ثانيًا : الرسائل الجامعية العربية :

1. احمد مبارك بابكر 1999م ، نمو وتخطيط مدينة الخرطوم بحري ، رسالة ماجستير الجفرافيا، كليه الاداب، جامعة أم درمان الإسلامية.

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1. Doxiadis 1959 , Khartoum North along termprogram and master plan for development of the town project of Dox iadis associ ates –consul tinee rs,engeer London

رابعًا : المقابلات الشخصية مع المؤسسات الآتية :

- مكتب إدارة النقل والبترول ببحري.
- لجنة السوق المركزي للخضر والفاكهة بشمبات.
- رئاسة شرطة الجمارك ببحري ، قسم رسوم الإنتاج .
- إدارة التعليم الغير حكومي للمرحلة الثانوية.
- مكتب القبول وزارة التعليم العالي.

- مصلحة المساحة .
- إدارة الأعلاف ببحري.
- سجلات الإحصاء بمستشفي الصافية والبراحة.
- تجار الماشية بمحلية بحري.

خامسًا : المعايشة الميدانية.

الهوامش:

(1)أحمد علي إسماعيل ، دراسة في جغرافية المدن ط الثانية القاهرة1982م ص 218.

(2)فتحي محمد أبوعيانه ، جغرافية العمران ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2011مص 201.

(3)مصدر سابق ص 366-375.

(4)عبدالحليم ناصر ، جغرافية المدن جامعة تعز اليمن2008م ص 142.

(5) فتحي محمد أبو عيانه ، مرجع سابق ص 251.

(6)مرجع سابق ص 408-559.

(7)عبدالفتاح محمد وهيبة ، جغرافية العمران ، منشأة المعارف الإسكندرية بدون تاريخ ص232.

(8)المرجع سابق ، ص 252.

(9)حسن عبدالله المنقوري ، أسس الجغرافية البشرية منشورات جامعة السودان المفتوحة2005 مص 207.

(10) عبدالفتاح محمد وهيبه ، امرجع سابق ص238

(11)فتحي محمود أبو عيانه ، جغرافية العمران ، مرجع سابق ، ص 203..

(12)مرجع سابق ص 255.

(13)عبدالحكيم ناصر العشاوي 2008م ، مرجع سابق ، ص 151-150.

(14)مرجع سابق ،ص 150.

(15) مصلحة المساحة الخرطوم مقابلة 2019.

(16)أحمد علي إسماعيل ، دراسات في جغرافية المدن ، ط الثانية القاهرة1982 ص 215.

(17)عبدالله حامد العبادي ، تخطيط المدن في السودان بين الحاضر والمستقبل الخرطوم ، أكاديمية العلوم الإدارية والمهنية1974ص43.

(18) Doxiadis 1959 , Khartoum North along termprogram and master plan for development of the town project of Dox iadis associates –consul tin eersengineer , Londonp30.

(19) احمد مبارك بابكر ، نمو وتخطيط مدينة الخرطوم بحري ، رسالة ماجستيرالجغرافيا ، كليه الاداب، جامعة أم درمان الإسلامية ص 44.

(20) نفس المصدر ، ص 45.

(21)مصلحة الإحصاء.الخرطوم

(22) المعايشة الميدانية.

(23) المعايشة الميدانية.

(24) وزارة النقل والبترول محلية بحري مقابلة 2019.مع هدير المكتب

(25)مجلس محلية بحري - إدارة الأسواق ببحري مقابلة 2019 زمع ضابط المجلس

(26) رئاسة شرطة الجمارك ببحري - قسم رسوم الإنتاج مقابلة 2019

(27)إدارة التعليم غير الحكومي مقابلة2019.مع مدير المكتب

(28)مكتب القبول ، وزارة التعليم العالي مقابلة 2019.مع مدير المكتب

(29)سجلات الإحصاء ، مستشفى الصافية والبراحة

(30)عبد الفتاح محمد وهيبه ، مرجع سابق ، ص 229.

(31) لجنة السوق المركزي للخضر والفاكهة بشمبات مقابلة.مع ضابط السوق2019

(32) تجار الماشية بمحلية بحري مقابلة. 2019(

(33)المعايشة الميزانية.

الفصل السادس

مدينة ودمدني

(دراسة تاريخية في التطور السياسى والاقتصادي والاجتماعي)

(1504 - 1989م)

مدينة ودمدني
(دراسة تاريخية في التطور السياسى والاقتصادي والاجتماعي)
(1504 - 1989م)

د. مهند فاروق محمد أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د.عبدالعزيز حسن فضل البصير

أستاذ علم الاجتماع المساعد - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

المقدمة:

ربما تكون الكتابة والتوثيق للمدن بشكل عام وللمدن التاريخية على وجه الخصوص من أهم شواهد التاريخ الحي التي تقف نابضة بالحياة على التاريخ الإنساني، فهذه المدن والأماكن ظلت على الدوام مركز استقطاب للبشر لما تمثله من أهمية فى جميع مجالات الحياة الإنسانية التاريخية والجغرافية والدينية والثقافية والمعمارية، ومن هذا المنطلق جاء التوثيق والكتابة لهذه المدينة المهمة فى تاريخ السودان والتي أسهمت ولازالت تسهم في هذا التاريخ.

الموقع الجغرافي والتضاريس :

تقع مدينة ودمدني عاصمة ولاية الجزيرة بين خطي عرض وطول 14. 19 درجة شمالاً، و33 .31 شرقاً. وتتميز بموقعها الجغرافي في وسط السودان حيث تقع على الضفة اليسرى من النيل الأزرق قبل التقائه بنهر الرهد شمالاً. وتقع على مسافة 186 كلم جنوب الخرطوم، وتبلغ المساحة الكلية لمدينة ودمدني حوالي 50 كلم مربعًا [1] وترتفع عن سطح البحر حوالي 405 أمتار وتنحدر الأرض من جهة الغرب نحو الشرق مما يجعل المجاري تتجه بسرعة شديدة وباتجاه النيل الأزرق مسببة عمليات نحت مما أثر في طبيعة المنطقة.[2] وتعتبر مدينة ودمدني نقطة التقاء مهمة للطرق القومية حيث تربط مدن السودان والعاصمة الخرطوم بميناء السودان الأول ببورتسودان. وفي بداية القرن العشرين

من عام 1900م أقيمت محطة السكة الحديد، وتم اكتمال الخط الحديدي الخرطوم - مدني، وفي عام 1912م تم اكتمال خط ودمدني – كوستي – الأبيض. وإلى شرق السودان في عام 1928م، مما أدى إلى ارتفاع في عدد السكان وارتفاع معدلات الهجرة من مختلف أقاليم السودان.[3]

علماء الجغرافيا يؤكدون أن العوامل الجغرافية التي تشكل معالم السطح والمناخ لها تأثير كبير على حياة المواطن، وتساهم في رسم الخريطة السكانية والاقتصادية. وإن طبيعة المنطقة التي تقع فيها مدينة ودمدني على الضفة اليسرى من النيل الأزرق التي تسمى بالجزيرة، فإنها أخذت هذا الاسم مجازًا ولكن جغرافيًا أو طبيعيًا فإنها لا تمثل الجزيرة بالمصطلح الجغرافي[4] وقد كتب عنها المؤرخ ريتشارد هيل:)أن مدينة ودمدني تقع في شبه جزيرة سنار، على مسيرة يومين بالحمير من مدينة سنار على الضفة الغربية للنيل الأزرق. والضفة عند ودمدني منخفضة ومتآكلة يتعذر رؤيتها على القادم إليها بسبب الغابات الكثيفة.[5]

تأريخ نشأة مدينة ودمدني:

تعتبر مدينة ودمدني من أقدم أربع مدن في السودان. فقد كانت قبل دولة السلطنة الزرقاء عبارة عن قرية صغيرة أطلق عليها اسم (نسيم)، والمباني عبارة عن رواكيب مبنية من القش وكانت تسكن في المنطقة قبيلة الكواهلة، واستهوت المنطقة بعض القبائل العربية الأخرى منها الدباسين والعوامرة والشكرية.[6] وتقول بعض المصادر: يرجع تاريخ مدينة ودمدني الحديث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي. في عهد مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء 1508-1820م)، وذلك باتفاق معظم الباحثين، إلا أن تحديد التاريخ بالسنة موضع خلاف بين المؤرخين المعاصرين للرعيل الأول الذين شهدوا بداية التأسيس؛ فمثلًا ورد في كتاب أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان: ترجع تسمية المدينة إلى مؤسسها الشيخ محمد مدني السني، واستقر فيما يسمى حاليًا حي المدنيين، النواة الأولى للمدينة في تاريخ غير محدد.[7] وتشير بعض الدراسات إلى بداية تأسيس المدينة على يد الشيخ محمد مدني السني في عام 1489م.[8] وكذلك ورد فى كتاب ودمدني الروح: يرجع تأسيس المدينة إلى العارف بالله الشيخ محمد مدني السني، وبناء خلوة للقرآن الكريم عام 988هـ قبل السلطنة الزرقاء بسبعة وعشرين عامًا[9] ويرجح

د. سالم أن تاريخ نشأة المدينة بين الأعوام (1508-1820م). وقد وضح أن مكان مدينة ودمدني الحالي كان مأهولًا بالسكان، وقد يرجع إلى مملكة سوبا أو ماقبلها بكثير، وذلك لاكتشافه بعض الآثار في وسط منزل أسرته في الجزء الجنوبي لحي المدنيين (نمرة 31. مربع 12) بما يعرف بحفرة السكسك (الخرز) الملون بالأحمر والأزرق، ويؤكد أنه نفس النوع الموجود في متحف السودان، ويقول البعض إنها من عهد العنج، كما يوجد في نفس الحي مقبرة وهياكل بشرية ترجع إلى فترة بعيدة. وتقول بعض المصادر إن المغاربة أول من هاجر إلى ودمدني ونسبوها إلى الشيخ مدني السني والكلمة ليست (ود) ولكنها (واد) في لهجة أهل المغرب العربي [10].

التطور العمراني والتقسيمات الإدارية للمدينة:

لقد كانت بداية حالة المدينة تمثل حياة سيئة، ولم يكن بها عمران سوى قرية المدنيين (حي المدنيين حاليًا) التى كانت تتكون من القطاطي المبنية من القش والطين، وتحاط بأسوار من الشوك. وقد كانت الصورة التاريخية لخريطة مدينة ودمدني الجغرافية عند بداية نشأتها عبارة عن غابات كثيفة وشجيرات متشابكة وأشواك على مساحات واسعة من المدينة تتمدد فيها مدينة ودمدني شمالًا يحدها شاطئ النيل الأزرق من غابة أم بارونة شرقًا حتى موردة الحطب بالدباغة غربًا، وجنوبًا يحدها شريط السكة الحديد. وشرقًا تحدها جزيرة الفيل. وغربًا يحدها كذلك شريط الحديد الذي يشكل شبه قوس في الاتجاه من الجنوب إلى الغرب متجهًا شمالًا إلى الخرطوم وكانت هذه المساحة من الأرض تغطيها الأشجار والأعشاب الكثيفة وتسكنها الثعابين والمرافعين والنمور والحيوانات المتوحشة [11].

بدأت نشأة العمران في فترة الحكم التركي حيث شيدت المباني دون تخطيط، ولا تكاد تعثر على مبنى يسترعي الانتباه عدا ثكنات الجيش، وهي عبارة عن صرح ضخم مربع الشكل تحيط به الأحياء السكنية، ويقع على بعد أربعين خطوة من النيل على الواجهة المطلة على النهر للثكنات، ألحق مبنى آخر أحسن شكلًا وارتفع عن بقية المباني، وهو منزل الضابط المسؤول. ويقع على بعد مائة خطوة من هذا المربوع المستشفى العسكري[12]، الذي تتوسطه مساحة واسعة تغطيها أشجار السنط، وحول الساحة حجرات بعضها مخازن وبعضها الآخر مساكن الممرضين، وحجرات أخرى للأطباء والموظفين

والصيدلية بمعملها والمطبخ، ومكان لغسل الموتى والتكفين، وغرفة كبيرة بها نوافذ من جميع الجهات ليعبر منها تيار الهواء من الساحة لتبريد الماء في الأزيار على طول الغرفة وعرضها.[13] وعلى بعد نحو أربعمائة خطوة شمال الثكنات يطل على النهر منزل أمين بك قائد الفرقة الثامنة التي تمثل العمود الفقري للحامية، هذا المنزل كان يتكون من طابقين بجدران صلبة ويعتبر من أجمل المنازل في مدينة ودمدني في تلك الفترة، له بلكونة تطل على النيل لتكشف المنطقة الممتدة أمامها بما فيها النهر والغابات على الضفتين.[14]

وفي منتصف المدينة توجد قبة الشيخ مدني السني وقد بنيت من الطوب الأحمر على خلاف سائر المنشآت والمنازل التي شيدت بالطوب الأخضر ماعدا الثكنات التي بناها إسماعيل باشا بالحجر الخشن المغطى بالطين. وبالقرب من هذه القبة يوجد مسجد يغطي أرضيته الطوب الأحمر، وقد بني في عهد خالد باشا خسرو حاكم عام السودان (1845-1850م). أما السوق فقد كان عبارة عن مجموعة من الأكواخ أخذت مكانها على خطين متوازيين. فالمدينة عامة كانت غير منظمة وقذرة حيث تقع في منطقة منخفضة تمتلئ بالحفر التي تطفح بالمياه في فصل الخريف، وتبقى المياه حتى فترة الجفاف حيث لا يوجد نظام للمجاري، فتتعفن المياه تحت أشعة الشمس مسببة أنواعًا مهلكة من الحمى والأمراض الوبائية.[15]

وفي فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898 – 1956م)، أخذت المدينة شكلها الأساسي بعد دخول القوات الإنجليزية المستعمرة إلى السودان؛ حيث أعيد تنظيمها بعد تشييد أحد الأحياء؛ وهو: حي القسم الأول: يقع هذا القسم غرب السوق الكبير مباشرة، ويمتد في شكل شريط مستطيل غربًا حتى شارع الحرية، ويحده شمالًا النيل الأزرق، وجنوبًا شريط السكة الحديد، وكانت من أوائل العوائل السودانية عائلة البوشي؛ ذلكم الرجل الذي أسهم بفكره وتعامله في دعم التنمية الاجتماعية بمدينة ودمدني، وقد تم على يده تشييد أول مسجد لأداء صلاة الجماعة بالحي في عام 1894م، وقد انطلقت فكرة التعليم الديني، والثقافة الإسلامية من هذا المسجد.

كان يسكنت هذا القسم شريحة من التجار الأجانب؛ من الهنود والشوام والإغريق والمغاربة. ويعرف بحي التجار، وتتكون معظم مبانيه من الطوب، والأسمنت، مع قلة من المباني الطينية وتمتاز شوارعه بالتخطيط والاتساع، كما يمتاز بوجود المساجد، والحدائق،

والمنتزهات العامة والأندية الرياضية. ودور السينما والأحزاب السياسية، والكنائس المسيحية، والفنادق، والمدارس (البندر)، وأهم الأحياء البصيلية والبحيرية.[16]

القسم الثاني: يقع غرب القسم الأول في شكل مستطيل ممتد من النيل الأزرق شمالًا حتى شريط السكة الحديد، ويعتبر في الزمان القديم حدود ودمدني غربًا. ويسكن في هذا القسم أحفاد وأبناء الشيخ محمد بن مدني، وخليط من أبناء القبائل السودانية المختلفة، وهو يشكل مركز الثقل السكاني آنذاك، كما يعكس التنوع المهني لمختلف الصناعات والمهن والحرف اليدوية ذات القيم الجمالية الرائعة التي ساهمت في إحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادي. كما كان يسكن في هذا الحي فئة من المزارعين الذين امتهنوا الزراعة على ضفاف النيل، ومشروع الجزيرة.[17]

العمران في هذا القسم كان أقل جودة من القسم الأول فمعظم المنازل كانت من الطين والقليل من الطوب. أما أهم المرافق التي شيدت في هذا القسم: الجامع الكبير (جامع الحكومة)، مسجد بانت، مسجد الأحمدية، مسجد ومسيد الشيخ شاطوط. ثم المدرسة الأميرية الوسطى، المدرسة الأهلية، المعهد العلمي في مباني الجامع الكبير، خلوة الشيخ محمد مدني السني، وغير ذلك. ويلاحظ داخل هذا القسم مسميات الأحياء والفرق المرتبطة بأسماء العوائل أو القبائل؛ التي انحدرت منها الأسر ولعل من أشهر هذه الأسماء: ودأزرق، فريق السناهير، النضيراب، أم سويقو، فريق القبة، فريق المدنيين، فريق الحلبة، ودقيحا، مربع الهوارة، مربع 11، فريق البصيلية، فريق ودعيسى ..... إلخ[18]

أخذت ودمدني شكل المدن الاستعمارية، خصوصًا عند مكان القبة (قبة الشيخ محمد مدني السني) حيث أخذ تقاطع الشوارع شكل العلم الإنجليزى. وما زال هذا الطابع مسيطرًا على هيكلها العام كما هو في أغلب مدن السودان الكبيرة. وبعد اكتمال مباني الحكام بدأ العمل في تشييد المصالح الحكومية مثل مباني المديرية 1902م.[19] وقد تم بناء الدوائر الرسمية على امتداد شارع النيل منها البريد والمحكمة والكلوب الإنجليزي (نادى الجزيرة حاليًا) والحدائق العامة؛ كعكاتي- البلدية سابقًا –حديقة سليمان وقيع الله، وميدان الملك سابقًا (ميدان الحرية حاليًا). هذا إلى جانب ميادين التنس. وتحتل مساكن الإنجليز الناحية الشمالية الشرقية للمدينة حيث تسمى آنذاك الحي البريطاني الآن الحي السوداني، ويقع جنوب الدوائر الرسمية السوق الكبير، حيث يلاحظ وجود

جنسيات أجنبية مثل الشوام، والأغاريق، واليهود يعملون في السوق الأفرنجي، ويشكل أولاد البلد المنطقة المتاخمة لهم حيث تعرف بالسوق العربي[20]. ونجد أن حي الموظفين الذي يسكنه الموظفون حسب درجاتهم الوظيفية، فكلما اتجهنا جنوبًا تقل رتبة الموظف، وكذلك مستوى السكن، حتى تصل الأورطة وهي سكن أفراد البوليس، وبعدها سكن عمال الدولة، التي تحد جنوبًا بمقابر الأجانب غير المسلمين، وجنوب السوق يوجد المستشفى الملكي، ومحطة السكة الحديد.

وفي بداية الخمسينيات ظهرت أحياء إضافية مثل: بانت، شندي فوق، جبرونا، حي الثورة (الصقور سابقًا)، دردق، حي المزاد، وفي الستينيات ظهرت الأحياء السكنية الجديدة مثل الدرجة الأولى، والدرجة الثانية مع تطور في المباني عمرانًا، كما ظهر حي المطار (درجة أولى) على شكل طوابق، وفلل وحدائق داخلية. ولاحقًا في عام 1967م أضيفت بعض المناطق التي كانت حول المدينة مثل: المكي، جزيرة الفيل، مارنجان عووضة، وعترة، الكريبة. وخلال فترة السبعينيات خططت أحياء مايو، أركويت. وفي عام 1984م ظهرت أحياء الزمالك.

وفي التسعينيات ظهرت أحياء المنيرة، الأندلس، كما شهدت الامتدادات الجديدة شرق النيل. وقد شهدت مدينة ودمدني ثلاث خطط إسكانية في الأعوام 1976م/ 1982م/1987م الممتدة حتى تاريخه. ويلاحظ أن هنالك سكنًا عشوائيًا منظم حول المدينة يتمثل في القرى التي قامت بصورة تلقائية منها حبيب الله، عووضة، مارنجان. وهناك سكن عشوائي غير منظم مثل حلة رضوان، السنيط، كمبو حليمة، كمبو هيئة البحوث الزراعية.[21] وقد أدى السكن العشوائي بمدينة ودمدني لمشاكل اجتماعية وأمنية.

خريطة مدينة ودمدني



السكان والتغيرات الديموغرافية:

تعد التغيرات السكانية أهم مظاهر الحراك الاجتماعي التي عرفتها البشرية منذ زمن بعيد، حيث كان الناس في الماضي يرتحلون من مكان إلى آخر بحثًا عن الطعام والماء والأمن والإيواء في أماكن وجودها فالهجرة والارتحال والانتقال هي واحدة من سنن الحياة، وقد أورد القرآن الكريم أهم دوافع وأهداف الهجرة وهو البحث عن سعة الرزق في الأرض، والبحث عن أماكن الأمن خوفًا من ظلم الطغاة، حبث يقول الله تعالى مبينًا حالة قريش في رحلة الشتاء والصيف بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: 4). ويقول تعالى: ﴿ ... قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ★قَالُوا أَلَمْ

تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَافَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ★وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾النساء: 97 [22]
وعلماء الدراسات السكانية دائمًا ما يؤكدون أن الهجرة تتجه إلى حيث تكون الظروف الاقتصادية مؤاتية للكسب ورفع مستوى المعيشة.[23] وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي ﷺ، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية[24]

ولقد شكلت مدينة ودمدني من ناحية تاريخية شبكة علاقات اجتماعية تتكون من المجموعات الإثنية، وهذه ضرورة حتمتها الظروف التي عاشتها المدينة منذ تأسيسها، وقد ازداد نزوح القبائل العربية في فترة السلطنة الزرقاء (1504-1821م)وبمرور الزمن صار المكان آهلًا بالسكان بعد تأسيس الخلاوي وحلقات العلم على يد الشيخ مدني السني من مختلف أنحاء السودان وبعض دول الجوار الإفريقي فتوج ذلك عنصر التلاقي والتعايش الثقافي، ونجد أن المجتمع تأثر كثيرًا بغرس قيم الدولة السنارية، والتى تعتبر أول كيان سياسي إسلامي قام في السودان كنتاج لدخول الثقافة العربية الإسلامية في السودان.

ومع تطور المدينة السكاني والمتغيرات المحلية ونهاية السلطنة الزرقاء (دولة سنار) ثم الغزو التركي للسودان عام 1821م، تأثرت مدينة ودمدني كغيرها من المدن الأخرى بتدفقات سكانية عالية بعد أن أصبحت العاصمة الجديدة للسودان في ذلك الوقت لموقعها المتوسط وأحاطتها بأراضٍ زراعية غنية تعرف بمنطقة الجزيرة وسكنوا في الأحياء التي تعرف بالسكة الحديد والسوق والدرنية. ولقد استوعب جيش محمد علي باشا الغازي للسودان عام 1821م مجموعات من الأرمن والشراكسة والألبان والأرنؤوط. ووفدت إلى ودمدني أجناس متعددة الهوية من خارج السودان كالمصريين والأقباط والمغاربة والشوام والمجر والإيطاليين والأغاريق (اليونانيين) والهنود والنقادة واليهود وأتخذوا القسم الأول سكنًا لهم.[25]

ومن داخل السودان هاجرت إلى ودمدني بعض القبائل والجماعات الهاربة من ويلات الحروب، وقهر السلاطين، أثناء فترة الحكم التركي فكان أشهر تلك القبائل نزوحًا قبيلتي الشلك والعنج، وهجرات من شمال السودان بعد الحملات الانتقامية للسلطة التركية بعد حرق إسماعيل باشا. وبعد نهاية الحكم التركي للسودان سرح الأتراك الجنود الذين كانوا بالجيش التركي فقصد معظمهم مدينة ودمدني حيث الأمن والرخاء، واستقروا

في الفراغ الذي يقع بين جزيرة الفيل وحي دردق، وتجمعوا في شكل قبائل أو جماعة وعوائل وحطوا الرحال في مكان وجعلوه سكنًا سمى ذلك المكان بالرديف ويعني الجنود المتقاعدين 26).The Retired Troops)

أما قبل وخلال فترة الثورة المهدية 1985م 1898-م شهدت مدينة ودمدني بصفة خاصة والجزيرة بصفة عامة أكبر التحركات السكانية وهي الهجرات ذات الصبغة المهدوية والتي اتجهت من غرب إفريقيا نحو الشرق إما لأداء فريضة الحج وانتظار ظهور المهدي المنتظر أو الاقتراب من الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي وتهيئة الطريق لمواصلة الرحلة لمبايعته عند ظهوره. وارتبطت هجرات مسلمي إفريقيا إلى السودان واستقرارهم بمفهومهم للشرق (بالهوسا Cabas) مأخوذة من القبس (الذي يصاحب شروق الشمس) باعتبارها اتجاهًا لمهبط الوحي والكعبة المشرفة، كما أنه الاتجاه الذي توجد فيه بقية الأماكن المقدسة مثل المدينة المنورة حيث قبر الرسول ﷺ وبيت المقدس الشريف بدولة فلسطين، وزيادة على ذلك هناك في الشرق يوجد الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي عليه السلام.[27]

ويرى الباحثان لقد كانت لهذه الهجرات أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية بالجزيرة، وكان لحسن المعاملة التي وجدها هؤلاء المهاجرون ما أغرى البعض منهم إلى الاستقرار نهائيًا بالسودان بحثًا عن العمل ولأن السكان من أصل رعوي فقد اشتدت الحاجة بهم إلى الأيدي العاملة لنجاح مشروع الجزيرة بعد قيامه. وبعد ظهور المهدي شهدت مدينة ودمدني تدهورًا سكانيًا واقتصاديًا، حيث هاجر معظم سكانها الذين استدعتهم قيادة الثورة للدفاع عن الدولة الإسلامية، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري ونهاية الثورة المهدية عاد السكان مرة أخرى إلى مدينة ودمدني.بعد دخول جيوش الاحتلال الإنجليزي (-1898 1956م) تم اختيار ودمدني عاصمة لمديرية سنار في عام 1903م، وفي أول يناير 1906م صارت عاصمة لمديرية النيل الأزرق. وقد شهدت هجرات أخرى من مصر ومن قارة أوربا وقارة آسيا ومن غرب إفريقيا، وقد ازدادت الهجرات أكثر بعد قيام مشروع الجزيرة، ومؤسسة الحفريات والري والأشغال والبحوث الزراعية والسكة الحديد، وحاجة المشروع إلى العمالة في الغيط والمحالج فنشأت أحياء عمالية في منطقة بركات ومارنجان، وحلة حسن وحي 114. وكانت اللغة العربية تمثل لغة التفاهم المشتركة بين هذه القبائل في كل المعاملات.[28]

أما في مرحلة ما بعد استقلال السودان (1956م) فقد تميزت مدينة ودمدني بنمو كبير للسكان بسبب التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والتعليمي والخدمي، وقد أدى ذلك إلى هجرات عدد كبير من أقاليم السودان ومن الريف إلى ودمدني بعد أن اتسع النشاط الاقتصادي وازداد دخل الفرد بعد ذهاب المستعمر، وتضاعفت حركة النشاط العمراني والتعليمي والثقافي.

التطورات السياسية:

قبل نشأة مدينة ودمدني في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي كانت هي عبارة عن أرض ولم يكن بها أي معلم لحياة الإنسان، وقد كانت الحياة بدائية ولا يوجد أي نظام سياسي للحكم سوى الأطماع السلطوية لبني الإنسان آنذاك، تسيطر عليه مملكة علوة وعاصمتها (سوبا) جنوب الخرطوم، وقد كانت المملكة مفتوحة الأبواب للعرب والمسلمين وغيرهم من رجالات الدين المسيحي. وقد أسهمت الدولة السنارية - السلطنة الزرقاء- (1504-1821م) خلال عقود حكمها التي كانت نتاج غرس للثقافة العربية الإسلامية في إحداث نقلة نوعية على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية لأهل السودان، وقد انتقل المجتمع السوداني من سيادة المسيحية والوثنية والعادات الجاهلية النوبية إلى سيادة الإسلام وشيوع اللسان العربي وتمدن وتحضر الإنسان السوداني بمقياس ذلك الزمان.[29]

وقد استمرت الأحوال في ودمدني بعد نشأتها دون أي تنظيم إداري وسياسي مفتعل حيث كانت تعتمد على النظام الأهلي حتى بدأ الزحف التركي – المصري للاستيلاء على السلطنة الزرقاء في عام 1821م، وتضافرت عوامل الضعف والتفكك وحلقات التآمر الخارجي ضد الدولة السنارية، فإن المعنى ليس انقلابًا موجهًا ضد سلطات الدولة السنارية وإنما الهدف هو اجتثاث للقيم الاجتماعية والأفكار التي مكنتها وتمثلتها الدولة السنارية، فأخذت المدينة تتغير وتتأثر كغيرها بمتغيرات الغزو الجديد وقوامه من عناصر الأتراك والشراكسة والأرمن وغيرهم.[30]

وبعد دخول الحملات التركية في عهد محمد علي باشا حاكم مصر عام 1821م اتخذ إسماعيل باشا ابن إبراهيم ابن محمد علي باشا خديوي مصر والسودان مدينة ودمدني مركزًا وحامية تركية لجنوده تمهيدًا لغزو سنار عاصمة السلطنة الزرقاء التي كانت تخضع

لها معظم ممالك السودان وأقاليمه الأخرى آنذاك بما فيها مدينة ودمدني.[31] ويقول شقير أما إسماعيل باشا فإنه زحف بجيشه حتى وصل إلى ودمدني فقابله رجب ودعدلان والأرباب دفع الله أحمد بالطاعة فأمنهما وأخذهما معه، ولما قرب من سنار خرج إليه ملكها الملك بادي طائعًا، ودخل إسماعيل باشا بالأبهة العسكرية في 12 يونيو سنة 1821م فأطلق 21 مدفعًا احتفالًا بذلك. وكان ذلك قبل قتله حرقًا على يد المك نمر في شندي في ديسمبر عام 1823م. وبعد مقتل إسماعيل باشا شهدت مدينة ودمدني بعض الأحداث بعد أن انتشر الخبر فنشطت الرؤوس للثورة ضد الأتراك والمصريين وفر الأرباب دفع الله من ودمدني ونزل في قرية عبود فتجمعت عليه الجموع فشُغل به محمد سعيد أفندي، وأرسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من ودمدني ليلًا وأصبحوا في عبود فوجدوا الأرباب دفع الله فقد فر بمجموعة فقتلوا الفقيه عبدالعليم خليفة ولد عبود وخربوا القرية ونهبوا أموالها وعادوا إلى ودمدني. أما الأرباب دفع الله فر إلى أبي شوكة واجتمع على حسن ودرجب فأرسل إليهما محمد سعيد أفندي سرية من العساكر برئاسة مصطفى كاشف فقاتلتهما قتالًا شديدًا، وقتل حسن ودرجب وعمه الشيخ حسين وابنه محمد وجماعة من رجاله وغنم منهما غنائم ثمينة ورجع إلى ودمدني. ولما بلغ الدفتردار في كردفان خبر حرق إسماعيل باشا نزل إلى ودمدني بعد حرق شندي والحلفايا وجزيرة توتي والعيلفون، وقد بلغه هنالك أن أهالي النيل الأبيض قد شقوا العصا فأرسل حسين أغا إليهم وقام بمحاربتهم. وقد أقام الدفتردار في قرية أم عروق جنوب ودمدني يتعقب الثوار في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الأمر فنزل إلى مصر ومعه السيد أحمد السلاوي الحنفي وتتابع بعده الولاة على السودان إلى أن كانت الثورة المهدية.[32]

وشهدت فترة الحكم التركي-المصري بزوغ أول وحدة سياسية للسودان الحديث بالرغم أن الهدف الأسمى من ضمه للدولة العثمانية كان استعماريًا-اقتصاديًا. بيد أن قيام حكومة مركزية في ذلك العهد بسطت سلطاتها على أغلب المناطق التي كانت تحت حكم المشيخات والسلطنات السودانية كان إيذانًا ببداية مرحلة جديدة من تاريخ السودان الحديث.[33]

وقد كان أبرز حدث سياسي هو اتخاذ مدينة ودمدني عاصمة للسودان في تلك الفترة في سنة 1825 بدلًا عن سنار في عهد عثمان بك عندما تم تعيينه واليًا على السودان فذهب إليه ومعه بعض الجنود المنظمين الذين عرفوا بالجهادية ونزلوا في الخرطوم فأتاه

الشيخ شنبول من ودمدني فأكرمه وكساه وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل إلى جبال النوبة. وأتاه الشيخ عبدالله عمر فقتله بقنبلة مدفع. ثم أقام عثمان أغا الخربطولي وكيلًا عنه في الخرطوم وأمره بقتل الفقيه الأرباب ودالكامل بقنبلة مدفع وتوجه هو إلى ودمدني فقتل عدة رجال بقنابل المدافع فعظم ذلك على الأهليين ونفرت قلوبهم من الحكومة وأخذوا يهاجرون من الأوطان. وكان السيد أحمد البقلي المفتي الشافعي لا يزال في ودمدني فارجعه إلى مصر لعدم وجود شافعية في السودان.[34]

وقد اتسمت ملامح هذه الفترة بالقسوة والإدارة العسكرية الحازمة لإخضاع المواطنين للسلطة السياسية الجديدة، وترسيخ فكرة الدولة العلمانية، وبذر روح الاستعلاء والظلم وتفشي الفساد وسط المجتمع الذي بدأ ينشأ على الفضيلة والإخاء فقد أحدث هذا الغزو تحولًا في المفاهيم الاجتماعية الإسلامية التي كانت سائدة في مدينة ودمدني آنذاك.[34] وقد أفرزت الجماعات الوافدة سلوكًا وعادات وطقوسًا غير مألوفة أومقبولة، فقد انتشر الفساد السياسي والإداري وتفشت الرشوة والمحسوبية وظلم الأهالي وانهارت الأخلاق والقيم السودانية، وقد حاولت الدولة التركية إشراك السودانيين في الإدارة فأدخلوا نظام الحكومات المحلية، ومع هذا التطور النوعي في نظام الحكم إلا أن آفة الحكم كان مصدرها المديريين المصريين والأتراك ومن عاونهم من الأهالي. ثم انتقل عثمان بك إلى الخرطوم ونقل إليها أقلام الحكومة ومستودع الفرسان والمخازن والأشوان وجعلها مركزًا للولاة وعاصمة للسودان، وانتهت أهمية ودمدني كقاعدة عسكرية لجيوش الأتراك. وقد كان لا بد من ضوابط دينية وسياسية وقانونية تحكم هذه المتغيرات وتحفظ المجتمع وقوامه وخصائصه فكان نتيجة ذلك قيام الثورة المهدية، وأخيرًا فشلت الدولة التركية في حكم البلاد بسبب طبيعتها الاستغلالية وقهرها للشعب السوداني.[36]

خلال فترة الدولة المهدية (1985 1898-م) لم يكن لمدينة ودمدني دور سياسي كبير بالمعنى المفهوم وذلك نسبة لتمركز السلطة في مدينة أم درمان، وقد كان اهتمام خليفة المهدي بالشؤون السياسية الخارجية، ومجابهة الدول الاستعمارية، وقد كان أول دور سياسي لمدينة ودمدني أن اختارت المهدية ودالصوفي واليًا على المنطقة التي تقع بين الرميلة غرب الخرطوم حتى سنار، واتخذ ودمدني عاصمة لولايته (سالم: 1996: 18). وقد اهتمت الدولة المهدية بتأمين الغذاء من الجزيرة حيث تم تشييد مجمع للغلال جنوب قبة الشيخ محمد مدني السُني وأصبح بها أهم سوق للغلال إضافة إلى أسواقها الأخرى.[37]

تعتبر فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898-1955م) من أهم فترات التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني .. حيث كانت ودمدني محل أنظار الإنجليز لموقعها الجغرافي وسط السودان كملتقى للطرق البرية والبحرية، ولهذا الموقع أهمية اقتصادية واجتماعية وأمنية، فقد اتخذ الإنجليز أن تكون ودمدني عاصمة ثانية بعد الخرطوم بعد أن كانت مرشحة لأن تكون العاصمة الأم. وقد جعلت مدينة الكاملين عاصمة لمديرية النيل الجزيرة في يوم 8 مارس 1903م، وكانت ودمدني مركزًا تابعًا لمديرية سنار، وكانت العاصمة مدينة سنجة. تم نقل مركز الإدارة العمومية من مدينة سنار لمدينة ودمدني في 20 إبريل عام 1903م حيث صارت عاصمة لمديرية سنار، وفي أول يناير 1906م صارت ودمدنى عاصمة لمديرية النيل الأزرق وأضيفت لها مديرية الجزيرة.[(38)]

في هذه الفترة بدأت المدينة تزداد من ناحية السكان ازدحامًا بالوافدين فنتج عن ذلك انتعاش لحركة التجارة والزراعة والصناعات المحلية، وتم إرساء نظام الحكم والإدارة حيث كان الحكم برئاسة مدير المديرية ونائبه ثم مفتش المركز وثلاثتهم من الإنجليز، أما المأمور ونائبه فكانا من المصريين يعاونهما العمد والمشايخ المشهود لهم بالذكاء والحكمة، ويلاحظ عدم إعطاء السودانيين المثقفين أي فرصة لتولي مناصب قيادية في إدارة الحكم إلا في أواخر أيام الحكم الثنائي حيث كانت أعلى وظيفة هى وظيفة مأمور[(39)]

وقد شهدت مدينة ودمدني في ذلك القرن الأحداث السياسية الضخمة التي وقعت حوله، فهناك استعمار وثورات وطنية ومؤتمرات وجمعيات وحركات ثورية في السودان وحرب عسكرية وحرب باردة في جميع أنحاء العالم، كانت هنالك إرهاصات الحرب العالمية الثانية (1939–1945م).وكانت السنوات الأخيرة من تاريخ الاحتلال الثنائي (الإنجليزي المصري) للسودان، وفترة التحول السياسي وتكوين الأحزاب السودانية وهي نقطة تحول مهم في تاريخ السودان المعاصر. فقد شهد مؤتمر الخريجين الذي تم تكوينه بمدينة ودمدني عام 1937م وثبة كبرى في أنشطته نقلته من دائرة العمل في مجال التعليم والإصلاح الاجتماعي وتشييد المدارس ودعم خلاوي القرآن ورعاية النشاط الأدبي والثقافي (المهرجانات الأدبية) إلى ساحة العمل السياسي، وتقديم مذكرته الشهيرة بتاريخ 3 إبريل سنة 1942م إلى "صاحب معالي حاكم عام السودان".[(40)]

وكانت أهم فقرات المذكرة المطالبة بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير المصير بعد نهاية الحرب العالمية مباشرة ... جاء فيها "إن السودانيين قد تمكنوا من

إدراك حقوقهم كشعب يجب أن يكون له كيان خاص، وأنهم بناء على هذا الإدراك يطلبون تعديل بعض الإجراءات التي كانت قائمة آنئذٍ، كما طالبوا بإصدار تصريح مشترك يمنح السودان بحدوده المعلومة حق تقرير المصير".[41] وعلى الرغم من أن الإدارة البريطانية في السودان رفضت المذكرة وردتها ردًا غير كريم بدعوى تجاوز المؤتمر دائرة اختصاصه. فقد ظلت المذكرة معلمًا مهمًا في تاريخ الحركة الوطنية، وخطوة أولى في طريق المجاهدة والمصابرة التي انتهت بتحقيق استقلال السودان السياسي. وأخذت وقتها الحركة الوطنية تتجه نحو الاستقلال، وكانت تعقد المساجلات والندوات والمناقشات في الأندية والجمعيات الأدبية.[42]

وقد شهدت مدينة ودمدني تكوين الأحزاب السياسية وانتشار الحركة الشيوعية وتصاعدها، وكانت الشيوعية تبث تعاليمها بين طلاب المدارس ونقابات العمال وتنشئ خلاياها لدراسة الفكر الماركسي وتبني دعائم تنظيمها السياسي من منطلق الفلسفة "الماركسية اللينينية في مدينة ودمدني بالإضافة إلى مدن الخرطوم وعطبرة. كما شهد السودان بدايات انبعاث الحركة الإسلامية في السودان وجيل الإخوان المسلمين الأول وبداية حركته السرية والعلنية في تكوين التنظيم بقيادة الداعية الأستاذ بابكر كرار، وكيف أن الإخوان المسلمين أسهموا في تبيلغ رسالتهم والسودان في قبضة العلمانية وخلايا الفكر الشيوعي، وشهد عملية تطور الحركة الإسلامية من العمل الدعوي والتنظيمي إلى اكتمال بنائها الإداري في مجال العمل السياسي، والعمل الوطني، وتبني مسألة الدستور. وتأسيس منهج الحركة التربوي ونشاطها الفكري والثقافي والاجتماعي، وهو المنهج الذي يفصح عن فلسفة الحركة ورؤيتها لبناء المجتمع الإسلامي وإعداد جيل يتطلع بجد وإخلاص لقيام وترسيخ الدعوة الإسلامية وقيام دولة الإسلام والشريعة.

وقد شاركت مدينة ودمدني في العديد من الأحداث السياسية وكيف كان تأثيرها على نظام الحكم في السودان، بالإضافة إلى استقلال السودان فقد كانت شاهدًا على الأسباب التي أدت إلى انقلاب ثورة 17 نوفمبر 1958م بقيادة الفريق إبراهيم عبود، ثم الانقلاب عليها بقيام ثورة جماهيرية في 21 أكتوبر عام 1964، ثم قيام الديمقراطية الثانية، والأسباب السياسية التي أدت إلى انهيارها بعد مجيء انقلاب ثورة مايو بقيادة حركة الضباط الأحرار، وعلى رأسها كوادر الحزب الشيوعي السوداني، وكذلك شهدت مجاهدات الحركة الإسلامية ضد حكومة مايو اليسارية والانقلاب عليهم بواسطة الرئيس جعفر محمد

نميري ومحاكمتهم وإعدامهم بعد قيامهم بانقلاب عسكري ضد الحكومة. وكيف استفادت الحركة الإسلامية من انقلاب هاشم العطا وتحول ثورة مايو من اليسار إلى اليمين واستمر ذلك حتى قيام المصالحة الوطنية في عام 1978م، وترسيخ مؤسسات العمل الإسلامي وتحول الاقتصاد إلى الاقتصاد الإسلامي. ثم جاء انقلاب الرئيس "نميري" على الإسلاميين وإيداعهم السجون مما أدى إلى قيام انتفاضة إبريل/رجب سنة 1985م والإطاحة بحكومة مايو، وقيام الديمقراطية الثالثة ومشاكلها وانهيارها بعد قيام الحكم الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية بمساندة كوادر الجبهة الإسلامية (ثورة الإنقاذ الوطني) بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير.

وفي ظل هذه المعطيات السياسية شهدت مدينة ودمدني العديد من الحكومات المحلية، وقد ظلت مدينة ودمدني عاصمة مديرية النيل الأزرق، ثم عاصمة للإقليم الأوسط، ثم عاصمة لولاية الجزيرة، وفي عهد نظام مايو تم تكوين مجلس تشريعي يتم انتخابه عن طريق التصويت المباشر، ومن مهامه الرقابة على السلطة التنفيذية، وإصدار القوانين المحلية. وفي عهد ثورة الإنقاذ الوطني اتخذت مدينة ودمدني عاصمة لولاية الجزيرة ومقرًا للحكومة، وكون بها عدد من المحليات والمجالس التشريعية بالانتخاب المباشر.

التطور الاقتصادي:

عند بداية نشأة مدينة ودمدني لم يكن يوجد أي نشاط اقتصادي، إذ لم تكن الزراعة أو الصناعة معروفة لدى السكان الأوائل لمدينة ودمدني، وقد كان اعتماد السكان على سبل كسب العيش البدائية وهي التقاط الثمار وجمعها وأكلها مثل النبق واللالوب، وربما أثرت طبيعة النشاط التعليمي الصوفي على الزهد والاكتفاء بالموجود وما تهبه الأرض من زرع وقد شهدت المدينة نشاطًا تجاريًا في عهد دولة السلطنة الزرقاء، فقد كانت تمر عبرها قوافل كردفان التجارية الذاهبة إلى سواكن بطريق القضارف النيل الأزرق بعد مرورها بقرية (ود شلعي) على النيل الأبيض وقرية (عبود) بالجزيرة، وبعد قيام الخرطوم ورثت ودمدني المركز التجاري الذي كانت تحتله سنار في حوض النيل الأزرق. وقد كانت عامرة بأسواقها كقرية كبرى لفتت انتباه الرحالة الأوروبيين واستقر بها عدد من جنود الفونج وأسسوا بها عددًا من المقاهي والمطاعم.[43]

وكان نظام التجارة والأسواق في عهد السلطنة الزرقاء لكل مشيخة سوقًا تجاريًا عامًا يفتح في يوم معين من أيام الأسبوع فيتجمع إليه التجار لبيع ما لديهم من السلع الحبوب والمواشي، وقد تميزت هذه الأسواق بوجود الأصناف المختلفة من لحوم البقر والإبل والأغنام، كما يوجد اللبن ومشتقاته إلى جانب البقول والخضروات والفواكه والتوابل إضافة إلى الروائح العطرية والعطرون والحنة.[44]. كما كانت تأتيه منتجات المشيخات من سن الفيل والذهب والمنسوجات.[45]

لم تكن للسلطنة عملة خاصة.[46] فكان تبادل المنتجات المحلية بين الأهالي يتم عن طريق المقايضة في القرى والمدن الصغرى[47] وذلك عن طريق مبادلة سلعة بسلعة أخرى(48) هذا إلى جانب بعض العملات المحلية التي يصنعها الحدادون وتعرف باسم مثل أبومنجل والحشاش.[49] كما كانت تستخدم العملات الأجنبية المجلوبة من الخارج بواسطة التجار الأجانب وهي لا تواجه أي صعوبة في التعامل والتداول ولهذا كان لها قيمتها وسط التجار الأثرياء.[50] وأهم النقود الرائجة التي كانت متداولة في مدينة ودمدني ومدن السودان الأخرى في فترة في السلطنة الزرقاء هي ريال أبو طيرة.[51] كما استعمل في بربر وشندي الدولار الأسباني.[52] لم تكن المكوس باهظة فقد كانت أول ضريبة فرضتها سلطنة الفونج على القبائل هي تورات* العسكر وهي عبارة عن عمار*لبن وفطير ويكون مناصفة بين الأهالي.[53] وقد أطلق الفونج كلمة الخراج على كل ما يدفع للحاكم. (54) وتفرض ضريبة الخراج على أرض الدولة أو الأرض التي جرى تمليكها ولم ينص على إسقاط خراجها.[55]

وفي عهد الحكم التركي كانت السوق في مدينة ودمدني عبارة عن أكواخ صغيرة، تحتوي على بعض الأقمشة ذات الألوان الباهتة (الشيت) كما تسمى، والأحذية والخرز والسكر والبن والبهارات، وقد كان أفضل "دكان" هو ذلك المقهى الذي يحتل ركنًا من مربوع عند نهاية الأكواخ. في هذا المربوع تباع الذرة والذرة الشامية والقمح وغيرها مما يجلب السكان من المناطق المجاورة.[56] وقد شهدت مدينة ودمدني خلال فترة الاحتلال التركي المصري للسودان تطورًا في النشاط الزراعي نتيجة لوجود مجندي الجيش التركي الذين اتخذوا من الأراضى الواقعة بين حي جزيرة الفيل وحي دردق مقرًا لهم وانتعشت زراعة الذرة الرفيعة والذرة الشامي والبطيخ والبامية والملوخية والعجور والطماطم. وقد عمل بعض الشوام والإغريق والهنود بعد استقرارهم بحى القسم الأول بودمدني العمل

في النشاط التجاري وبدأوا يعملون في تجارة الأقمشة والسكر والشاي والخزف وغير ذلك من السلع المستوردة من الخارج، كما عمل بعض الأهالي في تجارة المحاصيل المختلفة عن طريق البحر كالسمسم والدخن والذرة.[57]

أما في فترة المهدية 1885-1898م فقد كانت الجزيرة إقليمًا له أهميته بوصفه مصدرًا لمد الجيوش بالغذاء والتموين. فقد شهدت تلك الفترة فترة ركود اقتصادي في السودان عامة، لأنها كانت فترة تأسيس للحكم بعد ثورة غيرت من نظام الحكم الأجنبي المستعمر للبلاد (التركي - المصري)، وأيضًا فإن الهجرة إلى أم درمان عاصمة الدولة المهدية بطلب من الإمام المهدي كان لها أثر كبير، وبالتالي كسدت الأحوال الاقتصادية ولم تذق مدينة ودمدني انتعاشًا اقتصاديًا في تلك الفترة. ونسبة لصعوبة إمكانية الحياة والعيش في أم درمان سمح الخليفة عبدالله التعايشي لسكان الجزيرة بالعودة إلى ديارهم في عام 1888م وهي ماتعرف بسنة المجاعة المعروفة في السودان بـ (سنة 6)، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري وبنهاية الثورة المهدية عاد بقية السكان الذين تخلفوا بمدينة أم درمان.[58]

وفي فترة الحكم الثنائي الإنجليزى المصري (1898-1955م) شهدت مدينة ودمدني انتعاشًا اقتصاديًا عم كافة القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات نتيجة للازدحام السكاني والهجرات التي توافدت إلى المدينة من مختلف القبائل من داخل السودان ومن مختلف الأجناس من خارج السودان من تجار وحرفيين وموظفين. وقد شهدت مدينة ودمدني منذ العهد التركي وحتى فترة الحكم الإنجليزي للسودان العديد من هجرات التجار اليهود للسودان، وهم الذين كانوا يعملون في الاستيراد والتصدير، وقد كان من أبرزهم يوسف داود وهو من مواليد مصر عام 1902م وقد تجنس بالجنسية السودانية بوثيقة رقم 1142 بتاريخ 12 يونيو 1959م، عمل في مجال التجارة بسوق ودمدني، وهو ابن خال هنري داود العيني الذي كان يعمل مع صالح باروخ بودمدني. وجهته التي هاجر إليها غير معلومة الجهة. وأيضًا السيدة فكتورين يعقوب ملكة من مواليد مدينة ودمدني في يوم 28 نوفمبر 1948م، تجنست بالوثيقة رقم 845 بتاريخ 30 إبريل 1950م وهي متزوجة، هاجرت إلى أمريكا. وأيضًا يعقوب يوسف عبودي من مواليد مدينة ودمدني 1917 وقد منح الجنسية السودانية بالميلاد تحت الرقم 191 بتاريخ 30 أكتوبر 1949م، عمل في تجارة الخردوات، هاجر إلى أمريكا في إبريل عام 1967م

قبل حرب النكسة 1967 بشهور !. ومن أشقائه موسى، وموريس وجوزيف وإبراهيم، د. شلومو، وجميعهم استقروا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ومن الذين أيضا لهم دور في التجارة بودمدني البرت ساmoيل أشكازي من مواليد مدينة ودمدني عام 1932م تم منحه الجنسية السودانية بالوثيقة رقم 1734 بتاريخ 29 نوفمبر 1953. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1964م. ومن التجار أيضًا إلياس البنو (يطلق عليه أهل ودمدني إلياس البُني) هاجر إلى دولة نيجيريا بعد حرب النكسة يونيو عام 1967م وقد تعرضت أعمال شقيقه إدوارد للمصادرة.

وقد أدى هذا التمازج العرقي إلى بروز تباين ثقافي وسط هذه المجموعات فاستفاد مجتمع ودمدني من هذا التباين في دفع الحركة الاقتصادية، إذ كثر الطلب على الإنتاج والسلع والخدمات، وكان لكل قبيلة أو جالية أجنبية مستلزمات تود الحصول عليها، فعمرت الأسواق بمختلف الأصناف وتطورت وسائل الزراعة فتأثر الإنتاج إيجابًا كمًا ونوعًا .[59]

ومن أهم الفترات التي برزت فيها أهمية ودمدني بوصفها مدينة تجارية كانت بعد قيام مشروع الجزيرة في عام 1924م الذي أنشئ لاستغلال موارد السودان الطبيعية والزراعية وكان من أهم طموحاتهم العمل على زراعة القطن طويل التيلة، وقد أصبح القطن الذي يزرع في الجزيرة الغرض منه التصدير إلى الخارج لجلب العملة الصعبة، وقد كان الإنجليز قبل سودنة مشروع الجزيرة يعتمدون عليه في الارتقاء بصناعة النسيج في لانكشير ببريطانيا، ولا يستهلك من محصوله محليًا إلا قدر ضئيل للغاية لعدم اهتمام الحكومات السودانية المتعاقبة بتطوير صناعة النسيج في السودان.[60]

وقد كان لا بد من الضروري بناء خط حديدي لربط مناطق الإنتاج بميناء السودان الوحيد آنذاك سواكن، وفي عام 1912م تم ربط مدينة ودمدني ببقية مدن السودان المهمة، حيث كان ذلك الحدث مؤشرًا لمرحلة اقتصادية وتغيرًا اجتماعيًا كبيرًا بالمدينة، وقد كانت تستقبل يوميًا عشرات القبائل والقوافل المحملة بحاصدات السودان، ودخلت المدينة أعداد كبيرة من العاملين والحرفيين الذين أثروا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبذلك أصبحت مدينة ودمدني وقتها أهم دعامات اقتصاد السودان.

وقد كان النشاط الصناعي آنذاك بدائيًا للغاية وهو عبارة عن الآلات الزراعية التقليدية من الحديد والخشب مثل (الملود) وهي عبارة عن ألة لتنظيف الحشائش الأرضية، وأيضًا

اشتهرت صناعة الكوريق والطورية والسلوكة (آلة للزراعة) والواسوق (آلة لتسوية الأرض) وغير ذلك من الصناعات البدائية مثل صناعة العناقريب والأحذية البلدية (المركوب) وصناعة الأسلحة البيضاء مثل السيوف والحراب والسكاكين والبنادق الخفيفة، وقد تخصصت بعض العائلات في هذه المهن وانحصرت في أغلب سكان حي القسم الأول.[61] أما بقية السكان فهم في الأغلب مزارعون، مارسوا الزراعة سواء في مشروع الجزيرة، أو الزراعة المطرية، أو زراعة الجروف، وعمل البعض جزارين وخضرجية وفي تجارة القطاعي وصيد السمك.[62] وقد كان النشاط التجاري ينصب حول المنتجات الزراعية والبضائع المستوردة والمحلية التي كانت تزدحم بها الأسواق المشهورة مثل (سوق أم سويقو)، و(سوق الأشراف) جوار خور ودقيحة.أما العملة المتداولة آنذاك فقد كانت من فئة الريال أبوعشرين قرشًا حيث يساوي القرش الواحد عشرة مليمات وهي عملة نمساوية كانت متداولة في مصر والسودان والحبشة، كما كانت هنالك العملة المصرية فئة (الشلن) الذي يساوي خمسة قروش.[63]

وقد جلب مشروع الجزيرة الغنى للسودان بعد قيامه، كما ضرب في نفس الوقت مثلًا باهرًا لما يمكن أن يتحقق في دولة إفريقية، إذ ما تضاربت عوامل التجارب المتأنية، مع البحث العلمي والكفاية الإدارية الحكومية، والتجارية، والشراكة التعاونية بين الدول والمؤسسات التجارية. وقبل الحرب العالمية الأولى كانت ثروات السودان ضئيلة للغاية.[64] وبصرف النظر عن التطور الاقتصادي والاجتماعي العام للبلاد فإن مشروع الجزيرة تسبب في تغيير حياة وتوجه سكان المنطقة بشكل جذري ففي خلال عقدين فقط من الزمان تم تطوير مجموعة من البشر الفقراء والمتخلفين، والذين يعيشون حياة غير مستقرة في جزء من البلاد بأمطار غير مضمونة لا تتعدى بوصات في العام، إلى مجتمع غني واقتصاد متوازن يعيش فيه مزارعون متعلمون ويمارسون المسؤولية الاجتماعية. قام الدكتور محمد أفضال مدير الأبحاث للجنة القطن المركزية الباكستانية بجولة في مشروع الجزيرة وهيئة البحوث الزراعية بودمدني وكتب: "إن الجزيرة تمثل أعظم تجربة رائعة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في هذا القرن، وأن نجاحها لعظيم بدرجة تؤهلها لدخول التاريخ كأسطورة رومانسية في الإنجاز الإبداعي".[65]

وبعد الحرب العالمية الثانية وما بعد الاستقلال ظلت مدينة ودمدني من أكثر المدن جذبًا للسكان حيث لعب القطاع الصناعي دورًا مهمًا في التنمية الاقتصادية المهمة التي

أدت إلى إحداث التنمية البشرية وزيادة دخل الفرد بتوفير فرص العمل وتحقيق القيمة المضافة للمنتجات الزراعية والحيوانية خاصة بعد قيام المنطقة الصناعية مع ازدياد النشاط التجاري للمدينة وظهور مناطق سكنية جديدة وتوسعت حركة الأداء الحكومي نسبة للتطور الإنمائي والاجتماعي. أقيمت بعض المؤسسات الاقتصادية، وأقيمت فروع لبعض الشركات الضخمة مثل جرتلي هانكي، سودان ماكنتاير، وكاتربيلر، وشركات الجرارات الخفيفة والثقيلة، وأقيمت مصانع للنسيج، والمشروبات الغازية والحلويات، ومطاحن الدقيق، وصناعة الزيوت والجلود، والإنتاج الحيواني. وقد أدى هذا التطور الاقتصادي إلى التغير في نمط الإنتاج فتحول سكان ودمدني من النمط التقليدي البدائي مثل الزراعة والأعمال الشاقة إلى الاعتماد على الآلة والتكنولوجيا.[66](اقتصاديات ولاية الجزيرة: 2005.199)

التطور الاجتماعي والثقافي:

لما انتشر الإسلام في القرن التاسع الميلادي شهد السودان ثقافة جديدة في الشمال تلك هي الثقافة الإسلامية. وكانت البداية في شكل مجموعات صغيرة من التجار والرعاة البدو، ومنذ القرن السابع الميلادي أخذت مجموعات كبيرة من القبائل العربية تهاجر من الجزيرة للسودان.(67) وكان من جراء انتشار الإسلام واستقرار القبائل العربية قيام ممالك إسلامية في السودان، ولذلك كان على الآباء أن يهيئوا كل الفرص والسبل لأبنائهم لحفظ القرآن الكريم، كما كان هناك حافز آخر للعرب المهاجرين، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك لأن يحققوا لأنفسهم ولأبنائهم وأحفادهم السيطرة الثقافية، ومن ثمة السيطرة السياسية على أهالى البلاد الأصليين.[68]

شكل المسجد الركيزة الأساسية لبداية التعليم بمدينة ودمدني، حيث تقام الصلوات وتقام فيه الدروس التي تُعْنَى بتحفيظ القرآن الكريم ونشر فقه العبادات والمعاملات وتدريس الحديث النبوي الشريف. وقد تم تشييد أول مسجد بودمدني من القش والأخشاب بالقرب من خلوة القرآن التي أسسها الشيخ محمد بن مدني السني التي كانت لها قوة عظيمة في محاربة الرذيلة والعمل على خلق مجتمع روحي فاضل[69] تم إنشاء المسجد الكبير بديلًا للمسجد الأول في عام 1898م، ومسجد البوشي في عام 1893م. ولما ازداد عدد المتعلمين على مر الزمن، وعظم الإقبال على التعليم تحول مسجد البوشي نواة لمعهد

ودمدني العلمي الذي أسس في عام 1927م، وقد قام هذا المعهد بتدريس العلوم الشرعية، وبعض علوم اللغة العربية مثل النحو والصرف، وقد كان لهذا المعهد دور عظيم في التغيير حيث كان منارة في الإشعاع الديني والعلمي. وقد كانت سنوات الدراسة بالمعهد ثماني سنوات تمثل في مجموعها مرحلتي الدراسة المتوسطة والثانوية، يلتحق الطالب بعد إكمالها بنجاح بمعهد أم درمان العلمي لينال الشهادة العالمية في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. وفي عام 1959م تم فصل الصفوف الأربعة الأخيرة وهي تمثل المرحلة الثانوية إلى جامع بانت، وأدخلت مقررات العلوم الحديثة مثل اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم الاجتماعية ضمن مقررات المرحلة المتوسطة بينما حافظت المرحلة الثانوية على مقررات العلوم الشرعية ريثما تتم تغذية المرحلة الثانوية بالطلاب الناجحين من المرحلة المتوسطة. وفي نقلة عمرانية نوعية أنتقلت الدراسة من مسجد بانت عام 1960م إلى المباني الجديدة جوار منازل 114. وقد أدى المسجد والمشايخ دورًا كبيرًا في نشر الثقافة الإسلامية والترابط الاجتماعي بين السكان بالرغم من اختلافهم العرقي.(70) وفي عام 1970م تم اتخاذ قرار غير موفق بعد سيطرة الحزب الشيوعي على نظام مايو بتصفية نظام الدراسة بالمعاهد العلمية (العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية) وتم إلحاقها كمدارس بوزارة التربية والتعليم وأصبح المعهد العلمي العريق يسمى مدرسة السني الثانوية. وهكذا تم التخلص من أحد منابع التعليم القرآني الديني الذي كان يحمل مشاعل هذه العلوم.

بداية التعليم النظامي:

شهد السودان التعليم النظامي الحديث لأول مرة إبان الحكم الثنائي في عام 1898م حيث قامت بعض جمعيات بعض التبشير المسيحي بفتح مدارس نظامية على النهج الغربي في بعض المدن الكبرى في السودان الشمالي، وفي قليل من المدن في الجنوب(71) وقد سعى الإنجليز للاستلاب الفكري وكان منهجهم خروج السودانيين من تعليمهم وقيمهم الدينية، وقد سلب المستعمر في بداية دخوله ثقافة وحضارة ودمدني التي قامت على هدى الثقافة الإسلامية، ونهج بنوها وساكنوها طريق المعرفة القرآنية والمدرسة الربانية.(72)

وقد بدأ البريطانيون في مدينة ودمدني يشجعون التعليم النظامي بغرض توفير الأعداد اللازمة من الموظفين الذين يمكن الاعتماد عليهم في إدارة مكاتب الحكومة. وفي

عام 1903م أنشئت أول مدرسة أولية (مدرسة كتاب النهر الأولية) على النظام التعليمي المصري، وكان المعلمون من الجنسية المصرية، ثم تبعتها مدرسة البندر الأولية عام 1906م على نفس الأسس التعليمية، ثم أنشئت مدرسة مدني الأميرية الحكومية في نفس العام 1906م، وتعتبر هذه المدرسة أعلى درجة من الكتاب وتأخذ تلاميذها من مدارس الكتاب (الأولية) وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتماثل هذه المدرسة ما يعرف في مصر بالمدرسة الابتدائية، وقد أنشئت مدرسة السكة الحديد التي كانت تستعمل عربات السكة الحديد فصولًا لها. وفي فترة الأربعينيات من القرن الماضي حضرت بعثة للتعليم المصري للسودان وضمت إليها مدرسة الاتحاد القبطية وأصبح اسمها المدرسة المصرية ثم عدل الاسم ليكون المدرسة العربية، وتطورت لتضم قسمًا للمرحلة الثانوية مع استمرار الدراسة المختلفة.[73]

شهدت مدينة ودمدني منذ مطلع القرن العشرين تغيرات اقتصادية عميقة نتيجة قيام مشروع الجزيرة 1925م، مما ساهم في إحداث تغيرات اجتماعية شاملة في مجال التعليم والانبعاث الثقافي الغربي. وتوالى تأسيس المدارس، ففي عام 1956م بعد خروج المستعمر تم تأسيس مدرسة ودمدني الثانوية للبنين حيث استوعبت هده المدارس عددًا من أبناء ودمدني مما أحدث ذلك تحولًا في مجال التعليم بعد أن تأهل عدد من الطلاب لجامعة الخرطوم.[74] وفي تلك السنة ظهرت لدى المسؤولين فكرة نظام التعليم الشعبي المعان. وكان الغرض منه تشجيع المواطنين للإسهام في تطوير التعليم بمختلف مراحله، وتقوم الدولة ممثلة في وزارة التربية والتعليم بدعم تلك المجهودات بالكتب والأثاثات المدرسية أو المعلمين أحيانًا وبالإعانات المادية أو العينية، مثل: الأراضي. وتحت هذا المفهوم قامت مدارس أبوزيد أحمد، ومدارس الجيلي صلاح، ومدارس يونس للبنين ومدرسة شدو المتوسطة، ومدارس فريني المتوسطة والثانوية للبنين، وقد أسهمت هذه المدارس في دعم العملية التربوية والتعليمية في مدينة ودمدني مما كان له الأثر الواضح في دعم الوعي والتماسك الاجتماعي لسكان المدينة والوافدين إليها، وتنمية القدرات والمهارات وكان ذلك يشكل رافدًا في مجالات التنمية البشرية.

ومن السمات البارزة في تاريخ التعليم في ودمدني نشأة الدور الوطني الذي قام به التعليم الأهلي في تعليم البنات، فإن أول مدرسة كتاب للبنات كانت هي مدرسة الحضري التي قام بإنشائها عام 1938م الشيخ أحمد الحضري. أما أول مدرسة ابتدائية (متوسطة)

فقد كانت المدرسة الإرسالية الابتدائية الإنجليزية للبنات وكانت تتبع للكنيسة الإنجليزية (البروتستانت)، وعندما أنشئت المدرسة الغربية للبنات في عام 1953م سحب المواطنون المسلمون بناتهم من هذه المدرسة الإرسالية. وفي عام 1960م تم تأسيس مدرسة مدني الثانوية للبنات. ومدارس الليثي للبنات، ومدارس أبوبكر المتوسطة والثانوية للنبات، ومدارس عبدالستار الثانوية للنبات. وقد أسهمت أيضًا بيوت الخياطة وهي مراكز للتعليم النسوي لتعليم البنات خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي (العشرين)، وكانت بعض النساء والمرشدات من الإنجليز والسودانيات يعلمن النساء الخياطة وغزل القطن والتطريز وفن الطبيخ.[75] أما في مجال التخصص في التعليم الديني للنساء؛ فقد تصدى الشيخ محمد عبدالرحمن شاطوط لتعليم البنات وقام بتأسيس معهد علمي بحي ودأزرق على نفقته الخاصة عام 1976م واقتصر نشاط المعهد على الوعظ والإرشاد والفقه والتدريب المنزلي والأشغال اليدوية ومحو الأمية. وقد ظل هذا المعهد يقدم دورًا تنمويًا إيجابيًا في إرشاد العنصر النسائي والبناء الأسري.

وفي مجال التعليم المهني قامت مدرسة ودمدني الصناعية في بداية الخمسينيات من القرن العشرين وهي مدرسة أكاديمية صناعية يقبل لها التلاميذ الذين يجلسون لامتحان دخول المدارس المتوسطة ممن لهم الرغبة في تعليم مختلف أنواع الحرف. يتلقى التلاميذ في هذه المدرسة إلى جانب مواد المتوسطة مبادئ الحدادة والرسم الهندسي. وفي عام 1969م صدر قرار من وزارة التربية والتعليم بتحويل هذه المدرسة إلى مدرسة متوسطة كاملة. وأنشئ بدلًا عنها معهد الحرفيين الذي تم التركيز فيه على الحرف المذكورة آنفًا. وفي عام 1970م تم إنشاء معهد التدريب المهني، وهو معهد يعني بالتدريب على مهن النجارة والحدادة والبناء والكهرباء وميكانيكا السيارات ومهن أخرى. ويعتبر هذا المعهد الذي تم إنشاؤه بالتعاون مع اليونسكو وحكومة السودان أكثر تقدمًا من معهد الحرفيين.

وفي فترة السبعينيات تم إنشاء أول جامعة بودمدني وهي جامعة الجزيرة، وفي التسعينيات تم إنشاء كلية ودمدني الأهلية، وكلية أبوبكر عثمان الجامعية، وكلية ودمدني التقنية، وجامعة السودان المفتوحة وجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بالإضافة إلى بعض المعاهد المتخصصة والمدارس الخاصة والتأهيلية، وقبل ذلك ألتحق عدد كبير من أبناء ودمدني بالجامعات السودانية المختلفة وخارج السودان.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة التطورات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني، وقد تعرضت الدراسة لنشأة المدينة والتطورات والتحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالإضافة إلى التطورات العمرانية التي مرت بها المدينة منذ حقب بعيدة تمتد إلى تاريخ نشأتها. ومن خلال الدراسة نخلص إلى أن المدينة توسعت وتطورت بصورة كبيرة عما كانت عليه منذ نشأتها.

الهوامش

(1) عبدالعزيز حسن البصير: ودمدني كرة القدم خلال مائة عام، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2004م، ص 17.

(2) محمد التجاني الجعلي:ودمدني النشأة والتطور، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة 2005م، 2004م، ص 53.

(3) عبدالعزيز حسن البصير،مرجع سابق، ص 103.

(4) محمد محمودالصياد، ومحمد عبدالغني: السودان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص 128.

(5) ريتشارد هيل: على تخوم العالم الإسلامي – حقبة من تاريخ السودان (1822-1841م) ج1 (د، ت)، ص 69.

(6) عبدالعزيز حسن البصير ، مرجع سابق ، ص 104.

(7) عبدالله علي حامد العبادي: أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1975م، ص 71 .

(8) أحمد، صلاح الدين الطاهر: التخطيط العمراني بمدينة ودمدني، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس– كلية التربية – جامعة الجزيرة - د.ت. ص 13.

(9) مبارك عبدالرحمن شاطوط:ودمدني الروح، ودمدني، 1995م، ص 11.

(10) عبدالرحيم سالم:ودمدني – بعيني طفل وذاكرة رجل ، الأردن، 1996م، ص 13.

(11) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 10.

لا أثر الآن للثكنات ولا المستشفى في موقعهما بالقرب من الجامع الحكومي، في المنطقة الواقعة بين حي المدنيين والمدينة الحديثة، ولا يزال منخفض على الشاطئ كان يعرف بحمام الجيش.

(12) ريتشارد هيل: مرجع سابق، ص 70.

(13) نفس المرجع

(14) المرجع نفسه، ص 71.

(15) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق ص 162.

(16) نفس المرجع

(17) المرجع نفسه، ص 161.

(18) عبدالرحيم سالم : مرجع سابق ، ص 17.

(19) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق ص 161.

(20) نفس المرجع، ص 163.

(21) ياسر ابو الحسن : مجلة آفاق الهجرة، مجلة بحثية يصدرها مركز السودان لدراسات الهجرة والتنمية والسكان بجهاز تنظيم شؤون السودانيين العاملين بالخارج، العدد السادس، نوفمبر 2011م، ص 93.

(22) حسن عبدالحميد أحمد رشوان: المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، ط5 ، 1989م، ص 107.

(23) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع –شيكة العلاقات الاجتماعية – ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، القاهرة، 1962م، ص 25.

(24) صلاح الباشا : اريخ آلة الكمان بالسودان,طرق استخدامها وأساليب عزفها (من منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام 1940م) –ودمدني أنموذجا-رسالة ماجستير (غير منشورة) -أكاديمية الفنون – جمهورية مصر العربية، 1992م، ص 22.

(25) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 13.

(26) الأمين أبومنقة: رحلات الحاج وآثارها الاجتماعية والاقتصادية على سودان وادي النيل، مجلة الدراسات السودانية، العدد 14، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية – جامعة الخرطوم، أكتوبر 2008م، ص 14.

(27) عبدالعزيز حسن البصير ، مرجع سابق ، ص 18.

(28) عبد الرحيم محمد خير: "السودان القديم: بداية صناعة الحديد في إفريقيا"، أدوماتو(المملكة العربية السعودية)، العدد الأول، يناير 2000م ، ص 35.

(29) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 78.

(30) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق، ص 17.

(31) نعوم شقير: تاريخ السودان، تحقيق وتقديم محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة، 1981م، ص 208.

(32) عبد الرحيم محمد خير: مرجع سابق ، ص 29.

(33) نعوم شقير: تاريخ السودان ،مرجع سابق ، ص 201.

(34) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 79.

(35) نفس المرجع، ص 104.

(36) المرجع نفسه ، ص 80.

(37) عبدالعزيز حسن البصير،مرجع سابق، ص 18.

(38) مبارك عبدالرحمن شاطوط:مرجع سابق ، ص 20.

(39) أحمد خير المحامي: كفاح جيل، الدار السودانية للكتب، 1948، ص 78.

(40) نفس المرجع ، ص 78.

(41) دوقلاس نيوبولد :مذكرة السكرتير الإداري – 29 ابريل 1942م – ردًا على مذكرة المؤتمر، ص 149.

(42) محمد بشير الخليفة : المجتمع السوداني في العهد التركي، (1302هـ - 1885م)، رسالة دكتوراه في التاريخ (غير منشورة) ـ جامعة إفريقيا العالمية ـ كلية الآداب، 2008م، ص 209. (43) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ج 1، ، لبنان ، بيروت ، مطبعة دار الثقافة 1972م، ص 1078 .

(44) مكي شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية ، ط2، معهد الدراسات العربية، 1963م، ص 17.

(45) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، الخرطوم، ط1، 1966م، ص 18.

(46) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، مصر، القاهرة، النهضة العامة للكتاب، 1972م، ص 271.

(47) محمد زكي المسير: اقتصاديات النقود، القاهرة، دار النهضة المصرية ، 1985م، ص12.

(48) الشاطر بصيلي: مرجع سابق ، ص 217.

(49) محمد سعيد القدال: السياسة الإقتصادية للدولة المهدية، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1986، ص 24.

(50) الشاطر بصيلي: مرجع سابق ، ص 180.

(51) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان،ص 1180.

(52) محمد النور ودضيف الله : كتاب الطبقات، خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق د.يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط4 1992م، ص 82.

(53)محمد إبراهيم أبو سليم :الساقية ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ـ جامعة الخرطوم 1980م ، ص 203.

(*) تورات : ضريبة من وجبات الطعام أو تعيينات العسكر الذين ينزلون في بلادهم حتى يرحلوا عنها

(*) عمار : إناء معين لحفظ اللبن.

(54) بابكر فضل المولى: مظاهر الحضارة في دولة الفونج الاسلامية، دار السداد ، 2004م،ص 154.(55) ريتشارد هيل : مرجع سابق ، ص 71

(56) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 152.

(57) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 13.

(58) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 153.

(59) يوسف عبدالله الكارب: تجربة حياة في مشروع الجزيرة، (-1948 1980م)، سينان العالمية للطباعة، الخرطوم، 2012م، ص 25.

(60) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 152.

(61) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق ، ص 33.

(62) محمد التجاني الجعلي:مرجع سابق، ص 152.

(63) سير هارولد ماكمايكل :(G.C.M.G-D.S.O.): السودان، ترجمة محمود عثمان صالح، ط2 . مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، يناير 2009م، ص 222.

(64) نفس المرجع ، ص 204.

(65) إقتصاديات ولاية الجزيرة: للعام 2005م: ولاية الجزيرة، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، الإدارة العامة للتخطيط والتنمية واالبحوث، ص 199.

(66) عبدالعزيز حسن البصير: ألق الزاهدين وبرد اليقين، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، 2011م، ص 3

(67) محمد عمر بشير: تطور التعليم في السودان (1898-1956م)، دار الجيل، بيروت – مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1983م، ص 25.

(68) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 33.

(69) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 63.

(70) محمد عمر بشير: مرجع سابق ، ص 21.

(71) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 82.

(72) نفس المرجع، ص 129.

(73) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق ، ص 45.

(74) محمد التجاني الجعلي:مرجع سابق، ص 124.

الفصل السابع

نشأة مدينة مروي
(دراسة في العوامل الجغرافية والاجتماعية)

نشأة مدينة مروي
(دراسة في العوامل الجغرافية والاجتماعية)

د. نجلاء عبدالرحمن وقيع الله بلاص
جامعة الجزيرة

مقدمة:

تعتبر المدينة مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية عالية، ولها أهمية خاصه تميزها عمَّا عداها من المدن. رغم ذلك قامت بعض الدول بوضع مميزات وشروط معينة لتحديد المدينة عن القرية.

ارتبطت بداية نشأة المدن وظهورها ارتباطًا وثيقًا ببداية تكون المجتمعات البشرية الأولى، والمدن هي تجمعات إنسانية لذا تقوم بالعديد من عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية المختلفة الجوانب.

وتشير الدراسات الإحصائية إلى أنّ المكان الذي يسكن فيه أكثر من 20 ألف نسمة يصنف بأنه مدينة، طالما أن المساحة الجغرافية القائمة تحتوي على كافة المظاهر المدنية، من منازل، ومدارس، ومراكز صحية، ومجلس بلدي، وغيرهم. ذلك بالإضافة إلى تميز المدينة بمجموعة من المميزات التي تساعد في التمييز بينها وبين المناطق السكانيّة الأخرى، ولاسيما القرى، والريف.

وتعتبر المدن الحديثة أحد الأشكال المتقدمة من أشكال التجمّعات الإنسانية عمومًا، حيث تستنطق المدينة أساليب حياتية تتلاءم مع بُنيتها العُمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأيديولوجية، وتُناسب الطابع الاجتماعي الخاص بها، لذا بلغت الحياة في المدينة ذروة التعقيد، مما أدى إلى تغير أنماطها المعيشية حتى تتماشى مع مكوّنات سرعة إيقاع الحضارة المُعاصرة، وبالتالي أصبح على السكّان التكيُّف والتوافق مع أوضاع وظروف المدينة المعاصرة.

تُعتبر المُدن مراكز للسَّكن دائمة نسبيًّا، فهي تظلُّ قائمةً لفتراتٍ طويلة من الزمن ولا

يهجرُها السكان بسُهولة، وعادةً ما تكونُ ذات عاداتٍ اجتماعية وثقافية مُميّزة تميزها عن غيرها من المدن، ولها دورٌ ثقافيّ وحضاري مهم بالنّسبة لسكان الدولة التي توجد فيها.

ومن هذه المدن المميزة مدينة مروي، والتي تقع في الولاية الشمالية التي تعتبر إحدى ولايات السودان، والولاية الشمالية هي معبر الرسالات ومنفذ وملتقى الحضارات وبوتقة الثقافات.

مروي هي مدينة أثرية في شمال السودان تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، تبعد حوالي 6 كيلومترات إلى اتجاه الشمال الشرقي من محطة كبوشية بالقرب من مدينة شندي، كما تبعد حوالي 200 كيلو متر من العاصمة السودانية الخرطوم. ويوجد بالقرب من الموقع مجموعة من القرى تسمى البجراوية. كانت هذه المدينة عاصمة للمملكة الكوشية لعدة قرون، وقد أطلق الكوشيون هذا الاسم على كل الجزيرة أو شبه الجزيرة الواقعة بين نهر عطبرة في الشمال والنيل الأزرق في الجنوب ونهر النيل في الشرق ويطلق على هذه المنطقة جغرافيًا اسم إقليم البطانة.

العوامل الاجتماعية لنشأة المدن:-

تشير العوامل الاجتماعية إلى مجموعة من العناصر التي لها جذورها في المجتمع.

وتعرف العوامل الاجتماعية: بأنها العوامل التي تحدد نمط الحياة الكاملة لمجتمع معين بسبب علاقتها مع جميع العوامل الأخرى التي تحدد مجتمعه نمط الحياة والبناء الاجتماعي للمجتمعات [1].

العوامل الاجتماعية:Social Factorsهي العوامل التي تحتوي كل أنواع الأنظمة والعوامل الأخرى وتقوم على علاقات التبادل والتفاعل بين مختلف أنواع العوامل من خلال إقرار المجتمع الذين هم العنصر المحرك لكل الأنظمة، كما تشكل العوامل الاجتماعية من الثقافات والعادات والتقاليد المتوارثة [2].

المدينة (الجمع: مُدُن ومَدَائِن) هي مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية كبيرة، ولها أهمية معينة تميزها عن المستوطنات الأخرى [3].

تعريف المدينة: اشتُقّ مصطلح المدينة من الكلمة اللاتينية (civitatem)، والتي تعني المواطنة أو مجتمع المواطنين، وتُعرّف على أنّها منطقة سكنية تحتوي على عدد كبير من الناس بالنسبة لمساحة الأرض التي يعيشون عليها، ويسكنون بقرب بعضهم

البعض في شقق منفصلة أو مساكن متعددة الشقق، وتُدار المدينة من قِبل الحكومة من خلال وضع أنظمة خاصة لتوفير المرافق وطرق للنقل وعمليات للصيانة لتسهيل حياة المواطنين [4].

لم يتّفق اللغويّون أوعلماء اللغة والمتخصّصون على تعريفٍ واحدٍ لمفهوم المدينة، ويمكن القول - من مُنطلقٍ عام - إنّ المدن هي تَجمّعاتٍ مستقرّةٍ ومُنظّمة بدرجةٍ عاليةٍ للبشر، يُقيمون فيها بصورةٍ دائمة، وعادةً ما تكونُ أكبر حجمًا وأكثر سُكّانًا وأهميّةً من البلدات والقرى[5].

لايوجد تعريف متفق عليه للمدينة، لكن هناك مميزات لا بد من وجود بعضها أو كلها في المدينة، مثلًا للمدينة حكومة أو نظام إداري للحكم، هذه الميزه شرط من شروط وجود المدينة ولا تخلو منها أي مدينة. والنظام الإداري فيها يعتمد على أجهزة حكم على عكس القرى والبلدات الصغيرة التي يعتمد النظام الإداري فيها على أنظمة اجتماعية مثل النظام العشائري أو الاتفاق بين سكان القرية، والعادات والعرف.

عرّف ابن خلدون المدينة بأنّها أمصار تمتلك أبنية كبيرة، وأجرام وهياكل عظيمة، وهي عامّة حيث تحتاج إلى التعاون واجتماع الأيدي، من أجل اختطاط المُدن وتمصيرها[6].

وعرّف ماكيفر المدينة كمجتمع محلي؛ بأنّها وحدة اجتماعية تضم مجموعة من الأفراد تسود بينهم مصالح مشتركة، ويتعاملون مع بعضهم البعض بقيم عامة؛ فيشعرون بالانتماء ويتشاركون ظروفًا أساسية تمكنهم من العيش بحياة مشتركة، كما أشار علم الاجتماع إلى أنّ المدينة عبارة عن تنظيم اجتماعي يتضمن أنماطًا اجتماعية داخل نظام إيكولوجي محدد، كما ارتبط مفهوم المدينة بتنوع نمط الحياة المتبع، إذ يختلف أسلوب حياة المجتمع الحضري اختلافًا كبيرًا عن أسلوب حياة المجتمع الريفي، وهذا ما يميز المدن عن الأرياف والقرى[7].

ويقترح ماكس فيبر تعريفًا نموذجيًا للمدينة مقرًا بوجود عدة تعاريف بخصوص المدينة مدشنًا النقاش المستمر إلى الآن بين دعاة التعاريف الكمية (عدد السكان) ودعاة التعاريف الكيفية (معيار الثقافة) إذ يقول: يمكن تعريف المدينة بعدة طرق لكن هناك نقطة واحدة مشتركة بين كل التعاريف، كون أن المدينة لا تكمن في سكن واحد أو سكنات متعددة منتشرة بشكل مبعثر، فالمدينة تتشكل من السكن المجتمع

(نسبيًا) أي محلة (localité). وفي المدن تبنى الدور بالقرب من بعضها البعض، فالقاعدة العامة تقول هي أن تبني حائط لحائط. فالتصور الشائع في الوقت الحاضر يربط المدينة بخصائص كمية محضة [8].

مراحل نشأة المدن:-

أهم العوامل الرئيسية لنشوء المدن هي:

- العامل الطبيعي: والذي يتمثل في الموقع (الاستراتيجي) من حيث دوره وكفاءته في تحقيق الكفاية أو الوفرة الإنتاجية للغذاء وتوافر مصادر المياه لذلك نشأت المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو عند مصباتها.
- العامل الديني: يلعب دورًا مهمًا في نشوء بعض المدن وتطورها، إذ إنه كان العامل المميز لبعض المدن القديمة، حيث يحتل المعبد الرئيسي مركز المدينة في بعض الأحيان، رغم أن السمة الدينية لا تغلب على معظم هذه المدن لأنها تقوم بوظائف حيوية قد تتساوى في بعض الأحيان مع أهمية الوظيفة الدينية.
- العامل الاجتماعي: تلعب الهجرة الداخلية أو الخارجية الدور الأساس في نشاة المدن وتطورها واستمرارها، لأن المدينة تشكل عامل جذب للسكان نسبه لوجود الخدمات المختلفة وتعدد فرص العمل، وتتركز أهمية العامل الاجتماعي في قدرة المدينة على استيعاب الوافدين الجدد من المهاجرين، وقدرتها على تهيئتهم للحياة الحضرية ومن ثم قدرتها على الحفاظ على الهوية الثقافية للمدينة من خلال تطبيعهم على الحياة المدنية أو الحضرية لاسيما إن كان هؤلاء المهاجرون من الريف، تم تدريبهم بالقدرة على تقبل القيم الحضرية بدلا من القيم الأصلية التي أتوا بها من الريف مما يتيح لهم ذلك التعايش السلمي والتفاعل الاجتماعي داخل المدينة.
- العامل العسكري :من ناحية الدفاع عن المدينة فغالبًا ما يتم اختيار مواقع المدن قرب الموانع الطبيعية مثل البحار أو الأنهار أو الجبال، وذلك لتسهيل عملية الدفاع عنها وعدم احتلالها، ومن ثم استمرار المدينة في البقاء والازدهار.
- العامل الإداري والسياسي: له أهمية بالغة في نشوء المدن، ويعتمد هذا العامل مع أهميته أو كبر حجمه أو مركزيته بين المدن المحيطة أو الأمصار، فتمثل بذلك عاصمة لدولة المدينة وينطبق ذلك في المدن القديمة.

- العامل الاقتصادي: يعتبر من العوامل المهمة أيضًا في نشوء المدن، لذا يطغى عليه النشاط التجاري، بالإضافة لتعدد النشاطات الإنتاجية الأخرى التي تعتمد على التجارة في استمراريتها حتى في حالة الاقتصاد الزراعي للمدينة، وذلك عبر المتاجرة بالمنتجات الزراعية.

إن نشوء وقيام المدن القديمة على ضفاف الأنهار أوعند مصباتها يكاد يكون سمة مشتركة بين معظم المدن القديمة التي نشأت فيها الحضارات القديمة إلا أن العامل المميز لهذه المدن بعضها عن البعض الآخر هو الارتباط المباشر بين الحياة فيها وبين التغيرات الطبيعية التى تحدث لهذه الأنهار. بل إن استمرارية الحضارة ذاتها جاء من هذا المنطلق الذي خلق نمطاً من التحدي الطبيعي لحياة الإنسان في صراعه مع الطبيعة من أجل البقاء، فكانت الحياة المدنية لسكان المدن القديمة هي العامل الأساس في خلق الاستجابة المناسبة في التوقيت المناسب لتحد من التأثير السلبي للطبيعة المفرطة القوة لمعظم هذه الأنهار.

وبالتالي فإنها العامل الأساس في استمرار الحضارة في البقاء وتطورها من خلال التراكم المعرفي والتكامل الحضاري الذي يستند إلى التنوع الهائل الذي تتضمنه المدينة ممثلا في تعقد نمطية التقسيم الاجتماعي للعمل بين المكونات الديموغرافية للمدينة والتي ارتبطت بعضها مع البعض الآخر من خلال الحياة المدنية.

وتعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني، والتجمعات الإنسانية المختلفة، واختلف نمط المدينة باختلاف المراحل التاريخية والاقتصادية التي مرت بها الإنسانية لذا كانت محل اهتمام الفلاسفة والباحثين عبر كل العصور.

يساعد التعريف السوسيولوجي للمدينة في اختيار الأبعاد الاجتماعية التي تحدد العناصر الحضرية في مختلف المجتمعات المحلية والتنظيمات الاجتماعية، وقد أكّدت عدد من الأدبيات الحضرية وجود مقاربة سيسيولوجية لهذا المفهوم، يدل على أنّ المدينة هي تنظيم اجتماعي مكوّن من عدد من الأنساق، والنظم الاجتماعية الموجودة داخل تنظيم أيديولوجي، وقد عرّف السيد مصطفى الخشّاب المدينة سيسيولوجيًا بأنّها مجرّد فكرة، إلا أنّ عناصرها من إقامة، ووسائل تنقل، وأبنية داخلية، هي موجودات ذات طابع مختلف، مما يجعل المدينة من الأمور المحددة، التي تمتلك تكاملًا وظيفيًا في كافة

عناصرها المختلفة بحيث تكوّن وحدة كلّية، وقد عرّفها السيد عبد العاطي السيد على أنّها نظام اجتماعي ذو حالة حركية وديناميكية مستمرة، كما أنّ العلاقة بين مكوّنات المدينة وعناصرها، والعلاقة بين الأنظمة متغيرة بشكل دائم[9].

المدينة ظاهرة حضارية حضرية (مدنية) ميزت المجتمعات البشرية الأولى فقد كانت العامل المميز لانتقال الإنسان من طور البربرية والوحشية إلى التمدن والحضارة.

يعتمد سكان المدن على نشاطات مختلفة في معاشهم وتكثر فيها التجارة والخدمات. بعض المدن قد تعتمد على مصدر وحيد أو أساسي للاقتصاد كالنفط مثلًا، إلا أن السكان غالبًا ما يمارسون مختلف النشاطات الاقتصادية كالتجارة والصناعة والحرف والبناء والمهن المتخصصة [10].

يُعرف مركز المدينة بأنّه بؤرة الحياة الخاصة بها، حيث يمتلك هذا الموقع أهمية خاصة في المجتمعات، فهو المركز الرئيسي من أجل التسلية، والثقافة، وإدارة الأعمال في المدينة، حيث يضُم المحلات التجارية، والبنوك، والنوادي، والفنادق، والمتاحف، والمسارح، ويتميز مركز المدينة بأنّه مركزي، حيث تلتقي به طُرق المواصلات، ويأتي إليه عدد كبير من السكان كل يوم من أجل العمل أو الزيارة، وهناك عدّة أنواع من المراكز منها: الحكومي، أو المكتبي، أو المركز التجاري، أو الديني، أو الاجتماعي، أو السياحي، وقد تكون بعض المراكز مٌختلطة، حيث تتراوح نسبة الاختلاط على حسب الخلفية الاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية، والسياسية [11].

للمدينة على الأقل مركز واضح واحد يسمى حي الأعمال المركزي أو مركز المدينة أو وسط البلد أو غيرها من التعبيرات حسب الدولة مع اتساع وكبر المركز مثل مدينة دمشق ؛ بعض المدن لها أكثر من مركز مثل بغداد التي لها أربعة مراكز تاريخية. غالبًا ما يكون مركز المدينة في وسطها، إلا أنه في بعض الأحيان يكون المركز في أحد الأطراف أو الجوانب وغالبًا ما يكون ذلك في المدن التي تقع على أرض لها ميزات جغرافية محددة كأن تكون ميناءً فيقع المركز قرب الميناء أو أن تكون على حافة جبل فيمنع الجبل توسعها من إحدى الجهات.

تتميز المدينة عن القرية والبادية في أنها أعلى منهما في الكثافة السكانية، وأنها تحتوي على أغلب ضرويات الحياة والمرافق الخدمية [12].

يؤثر الموضع في التركيب الداخلي للمدينة وتوزيع استعمالات الأرض فيها، فإذا كان الموضع بين منطقة مائية ويابسة فإن ذلك سوف يؤثر في البنية الداخلية للمدينة والتي تتوزع ما بين اليابسة والمياه، أما بالنسبة إلى الموضع الجبلي فإنه كثيرًا ما يتطلب عمليات التعديل وتسوية الأرض وتأتي هذه العمليات استجابة للحاجة إلى تخطيط المدينة على أساس التدرج في الارتفاع بحيث تأخذ شكلًا كنتورياً. والموضع الجبلي على العموم لا يشجع على التوسع المساحي وذلك للكلفة العالية التي تتطلبها عملية تسوية الأرض لمد الطرق فيها.[13].

وهناك قوى أخرى محفزة للنمو الحضري للمدينة تتمثل بما يحتويه الإقليم من الموارد الطبيعية والبشرية، التي لها دور فعّال في نمو وتطور فعاليات المدينة المختلفة، عندما تقوم المدينة باستثمار تلك الموارد تنشأ بفعل ذلك علاقات تفاعل مكانية بينهما فعندما يحتوي الإقليم على عناصر التنمية فإن الروابط الإقليمية بين المدينة وظهيرها يشتد أوارها. أما فيما يتعلق بالموارد البشرية فيعتبر سكان الإقليم عاملًا مهمًا ورئيسيًا في النشاط الاقتصادي من خلال مساهمتهم الفعالة كقوة عمل في النشاطات الاقتصادية وعلى الأخص في مجال الصناعة التي تتطلب الخبرة في العمل.

كما أن لشبكة النقل أثرها البارز في تحفيز النمو الحضري وزيادة الاتساع المكاني لتأثير المدينة، فبعد أن كانت المدن ذات مساحة محدودة وحجم صغير لا يتعدى نصف كيلومتر مربع، إلا أنها تضاعفت بعد استخدام وسائل النقل الحديثة التي ساهمت بشكل كبير في التوسع المساحي للمدن وتطورها. فلا يمكن للمدن أن تنمو وتتوسع بدون طرق النقل ووسائله فهي العامل الأساس في ربط أجزاء المدينة مع بعضها البعض، ثم ربطها بالمناطق المجاورة لها، كما أن الفعاليات الوظيفية في المدينة لا تستطيع أن تتفاعل مع بعضها من دون وجود عامل النقل.[14].

وظائف المدينة:

أُنشئت المدن لوظائف عديدة مهمة تتفاوت أهميتها من مدينة لأخرى، وهذه الوظائف تُحدد أهمية المدينة وسبب وجودها، ومن أبرزها:

- الوظائف العسكرية: إذ تعد مركزًا أمنيًا يوفر حماية عسكرية لسكانها.
- الوظائف التجارية: إذ إنها تربط بين الأسواق ومعابر الحدود.

- الوظائف الصناعية: فيتوفر فيها مصانع للمواد الخام وفقًا لتوافرها في الطبيعة.
- الوظائف السياحية: حيث الآثار والمناطق السياحية.
- الوظائف الثقافية: فتتوفر فيها المدارس والجامعات والمعاهد.

الوظائف الدينية: إذ تتوفر فيها الأماكن الدينية. [15].

وعلى الرغم من تعدد الوظائف في المدينة إلّا أنّ هناك دائمًا وظيفة أكثر أهمية من غيرها تقوم كعامل جذب رئيسي لها، وتُعد الوظيفة الأساسية التي تتركز عليها المدينة، ولها الأولوية في خدمتها وتوفير الموارد التي تحتاجها [16].

أنواع المدن: تنقسم المدن إلى تقسيمات شتى سواء إذا كان أساس التصنيف هو الموقع الجغرافي أو الوظيفة التي تؤديها المدن، ومن هذه التصنيفات:

- المدن الدينية: هي المدن التي يغلب عليها وجود مكان مقدس وثقافة دينية محددة ترتبط بهذه المدينة، وعادة ما تكون محدودة التنوع الثقافي، وتقتصر على اتباع ثقافة أو دين محدد، وتسمى أيضًا المدن الطقوسية.
- المدن الإدارية: المدن التي توجد بها مراكز صنع القرار وبيوت السياسة المختلفة، وأروقة الحكم والسياسيين، أيضًا تحتوي هذه المدن على تنوع ديموغرافي واجتماعي، وتحتوي على أعداد كبيرة من السكان وغالبًا ما كانوا متنوعين عرقيًا، وبها وظائف متنوعة.
- المدن التجارية: ظهر هذا النوع من المدن على الخريطة الجغرافية على إثر تفكك الإقطاع الزراعي في المجتمعات الحضرية، وتعد روابط المدينة التجارية مع الثقافية الأوسع نطاقًا، كما هو الحال مع المدن الإدارية، بحيث تعد هذه المدن مراكز تجارية لتصريف بضائع المدن الصناعية.
- المدن الصناعية: ظهرت المدن الصناعية بعد تطور النظام الرأسمالي الصناعي في أواخر القرن الثامن عشر، ويتناسب دور هذه المدن مع النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي سيطر على المؤسسات الاجتماعية الأخرى آنذك، بحيث اعتمدت الرأسمالية على إنتاج السلع من خلال العمل المأجور، وبذلك أصبحت المدينة مركزًا لعمليات الإنتاج وموقع المصانع، وأيضًا أماكن المواد الخام اللازمة للإنتاجية، وبذلك أيضًا نشأت الوظائف الحضرية الإضافية مثل الأعمال المصرفية

وتجارة الجملة والتجزئة والعقود الخاصة بالنقل والاتصالات بهدف تسريع إنتاج المصانع أو توفير القوى العاملة [17].

- المدينة الصغيرة : هي المدينة التي تظهر حديثاً، بمعنى يتمّ تصنيفها على أنها مدينة بعد أن كانت قرية، أو لواء يتبع لمدينة أخرى، وتتميّز هذه المدن بظهور العديد من البنايات، والمصانع المتطورة، مع ازدياد ملحوظٍ في عدد السكان فيها، كما أنها تهتمّ بزيادة عدد المدارس بكافة أنواعها، من أجل استقطاب الطلاب والطالبات للحصول على التعليم المناسب لهم.

المدينة الكبيرة:

هي المدينة التي تعتمد على تاريخ حضاري قديم، أي إنّها وجدت منذ العصور البشرية القديمة، ومازالت قائمةً حتى هذا الوقت، واستمرّت في التطور مع ازدياد النهوض البشري العمرانية فيها، وتعاقب الحضارات الإنسانية عليها.[18].

أهم خصائص المدن:

-الكثافة السكانية؛ إذ يعد عدد السكان هو المقياس الرئيسي في العديد من دول العالم لتحديد المدن بشكل صحيح، فإذا سكن في الميل المربع الواحد أكثر من عشرة آلاف نسمة، توصف هذه المساحة الجغرافية بأنها مدينة. -

المهن العامة: تختلف المهن التي يعمل بها سكان المدينة عن سكان المناطق الأخرى؛ فيعمل أغلب السكان في المهن الصناعية، والإنتاجية، والتجارية، ويعمل القسم الآخر منهم في الوظائف العامة، والخاصّة في الشركات والمؤسسات. ففي المدينة تتعدد المهن، ويكون هناك العديد من الوظائف الاجتماعية المتمثلة في الدين، والثقافة، والإدارة، وهناك الوظائف الاقتصادية المتمثلة في التجارة، والصناعة، والخدمات، وقد يؤدي تعدد المهن إلى تقسيم المدينة إلى عدة أقسام، وتتعدد فيها الطبقات، وتتكون الطبقة الفقيرة، والطبقة المتوسطة، والطبقة الغنية [19].

الحياة الثقافية: تتميّز المدينة بانتشار العديد من الأماكن التي تدلّ على المظاهر الثقافية فيها، مثل: المسارح، والمكتبات، والمتاحف الأثرية، والتي تعدّ مصدرًا من المصادر الرئيسية لتطور الفكر الثقافي عند المهتمين بالقراءة، ومتابعة إصدارات الكتب الجديدة. انتشار المواصلات الحديثة، والتي تعد جزءًا من أجزاء المدن، فتساهم في الربط بين أطرافها [20].

تهتم بتطبيق الأحكام القانونية؛ إذ إنّها توجد في أغلب المدن مراكز للشرطة، ومحاكم تشريعية، وقانونية من أجل فرض القانون، وتطبيق نصوصه بشكل صحيح، ففي المدينة تظهر التشريعات القانونية لتحلّ مكان التقاليد، ويكون من شأنها أن تضبط المجتمع، يبدأ الفرد بالابتعاد عن التقاليد الضابطة له شيئًا فشيئاً، وتعمل هذه التشريعات القانونية على تنظيم علاقات السكان بعضهم ببعض.

مظهرها الخارجي: حيث يمكن التعرف على المدينة من خلال النظر إلى المباني والشوارع، وتتعدد فيها المدارس، والمعاهد، والدوائر الحكومية، والبنوك والفنادق، ومما يميزها عن القرية بشكل أساسي هو الضوضاء وكثرة حركة المشاة، وفي المدينة يمكن ملاحظة التطور الكبير في وسائل النقل والمواصلات، الأمر الذي أدى بدوره إلى اتساع المدينة وسهولة التنقل فيها، وأن المباني في المدينة ترتفع إلى طوابق متعددة، وتختلف في وظائفها والمواد التي تبنى منها أيضًا، حيث إن الحديد، والحجر والأسمنت هي المواد الأساسية في بناء المباني المدنية، بالإضافة إلى وجود المباني الخرسانية الفخمة، ولا يخلو أن تكون هناك أحياء فقيرة في المدينة مبنية من الطين [21].

تحضر الأفراد: حيث إنه عندما تكبر المدينة وينمو حجمها تقل معرفة الأفراد بعضهم ببعض كمعرفة شخصية، وبالتالي فإن العلاقات الاجتماعية تصبح سطحية إلى حد كبير، كما أنّ إنسان المدينة لا يتنقّل كثيرًا، ويصبح مرنًا وغير جامدٍ اتجاه العادات والتقاليد[22].

العوامل الجغرافية لنشاة المدن:-

تعرف المدن بأنها رقعة جغرافية يقطن بها عدد كبير من السكان وعادة ما يكون للمدن حكومات وقطاعات إدارية خاصة لتطويرها وصيانة مرافقها، وتعرف أيضًا بأنها مركز سكاني دائم نسبيًا وعالي التنظيم، وهو أكبر من البلدات والقرى، وترتبط المدن بالمجتمعات الحضرية والتمدن[23].

تعد جغرافية المدن فرعًا من فروع الجغرافية البشرية، وإن كانت حديثة النشأة بالمقارنة مع بقية فروع الجغرافيا البشرية.ويمكن القول أن بعض البدايات الأولى لجغرافية المدن قد ظهرت عند قدامى الجغرافيين مثل المؤرخ الإغريقي" اسطرابون"، ومن بعده الجغرافيون العرب والمسلمون وخاصة الاصطخري وابن حوقل وابن خلدون وغيرهم.

وإذا كانت جغرافية العمران تنقسم إلى شقين: أحدهما يدرس جغرافية الريف والآخر يدرس جغرافية المدن، فإن الاهتمام بدراسة المدن أكثر وضوحًا، لأن اتجاه سكان العالم يتزايد إلى سكنى المدن في كافة الأقطار، بحيث تتناقص نسبة سكان الريف إلى سكان المدن في معظم دول العالم، مما يوحي بأن سكان العالم جميعًا سيتحولون إلى سكان مدن، ويحدث ذلك بمعدلات سريعة في دول العالم النامي الذي يشهد طوفان من الهجرة من الريف إلى المدن، فقد يؤدي ذلك إلى تفاقم مشكلات الريف والمدن على حد سواء.

ويضع الباحثون الجغرافيون مراحل عدة لقيام ونشوء المدن تبدأ بمرحلة الظهور على شكل مستوطنة، ومن ثم تتوسع نتيجة زيادة استعمالات الأرض للأغراض غير الزراعية (الدينية أو الصناعية أو التجارية)، بالإضافة إلى إقامة وحدة معمارية تؤدي دور النواة المركزية للمدينة.

وعطفًا على ما سبق ذكره يمكن القول إن المدينة تبدأ على شكل بلدة أو مستوطنة حضرية ثم مرحلة النمو الذي يكون في أغلب الأحيان عن طريق نمو السكان بسبب الهجرة، بالإضافه إلى النمو الطبيعي فيهاعن طريق زيادة المواليد.

مما يتطلب ذلك التوسع في التقسيم الاجتماعي للعمل من خلال المؤسسات الإدارية بالمدينة وذلك لتنظيم الحياة الاجتماعية للسكان الذين يفتقدون التجانس والانسجام نتيجة تعدد أصولهم الاثنولوجية الذي خلقته هجرتهم من مناطق واثنيات مختلفة، لتصل بذلك الى مرحلة النضج التيت تمثل في الاتساع الأفقي (الجغرافي للمدينة) ومن ثم الاتساع العمودي الذي يظهر جليا في التعقد في تقسيم العمل والتنظيم الاجتماعي بسبب تعقد هيكلية بناء المدينة وزيادة الحاجة إلى الخدمات الاساسية المختلفة، وزيادةالكفاءة الوظيفية للعاملين في هذه النشاطات المتعددة.

الاستيطان أو العمران البشري، فرع حديث في الدراسات الجغرافية يرتقي به العهد إلى مطلع القرن العشرين، ولعل أبرز أهدافه هو الربط بين مظاهر السطح والخصائص الطبيعية للمكان من جهة وبين اختيار مواضع للمستوطنات لأغراض معينة من جهة أخرى.

وقد اتسع منهج البحث في الآونة الأخيرة ليشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للمستوطنات فكما تهتم الجغرافية بدراسة الإنسان من حيث توزيعه وانتشاره،

كذلك باستخدام الأرض في مجالات مختلفة في مقدمتها اختيار الإنسان مواقع لاستقراره دون غيرها متخذًا إياها موطنًا للعمران.

ومن هنا فقد أكد (فلبريك) في تعريفه للجغرافية تحليل وتفسير أنماط السكن، على أن الدراسات التي تناولت العمران لم يعد التركيز فيها على أنماط المساكن ومواد البناء المستخدمة بل على موضوعات تتعلق بتوزيع وتصنيف المساكن والتنظيم المكاني للمساكن والمستوطنات [24].

ولا ريب في أن اهتمام الجغرافية بالمسكن إنما هو من قبيل العناية بظاهرة من صميم حياة الإنسان ومن شأن الجغرافي في تعميق النظرة الموضوعية وتوسيع دائرة البحث الميداني، وصولاً إلى تقويم عملية السكن، وأنماط المستوطنات ومتابعة العوامل المؤثرة بها.

وتمثل القرية (نواة المدينة الأولى) أقدم مراكز الاستيطان البشري وأكثرها انتشارًا على سطح الأرض فلقد اضطر الإنسان إلى الاستقرار عقب حقب طويلة متنقلًا بحثًا عن الماء والكلأ والراحة والأمان ومن المرجح أن استقرار الإنسان هذا ارتبط أول الأمر بالملاجئ والكهوف التي اتخذت فيما بعد شكل المنازل الصغيرة وكانت أول التجمعات السكنية.

ويعود ظهور النويات الأولى إلى العصر الحجري الحديث خلال الفترة 10000 - 7000 ق. م حيث انتقل الإنسان من مرحلة الجمع والالتقاط والصيد إلى مرحلة الرعي والزراعة، وتقترن الحضارات الزراعية بظهور هذه التجمعات، فهي أول مظهر من مظاهر التعاون بين السكان في العمل والنشاط الاجتماعي.

ولا شك فإن لطول فترة التعمير البشري أثرًا واضحًا في حجوم مراكز الاستيطان فغالبًا ما تتسم مناطق التعمير القديمة بكثافة في سكانها وتتقارب بين مستوطناتها بينما تكون الأقاليم حديثة التعمير صغيرة الحجم ومتباعدة ويبدو أن معظم المدن القديمة كانت عبارة عن قرى اندثرت إما بسبب تغيير مجاريها أو بسبب تغير الظروف المناخية أو الحروب والأمراض والأوبئة أو الأحداث السياسية ولم يبق منها سوى الأطلال (25).

ولكي يصنف الجغرافيون المدن اتبعوا في ذلك الكثير من الأسس والمعايير نذكر منها:

-1 التصنيف التاريخيHistorical Classification أي تصنيف المدن حسب أصولها

التاريخية أو المراحل التاريخية التي مرت بها وأبرز سماتها المعمارية، ولعل أبسط تقسيم في هذا المجال ما يقسم المدن حسب الفئات الآتية :أ- مدن ما قبل التاريخ ب- المدن الإغريقية والرومانية ت- مدن العصور الوسطى ث- مدن النهضة والباروك ج- المدن الصناعية الحديثة.

2 -التصنيف المكاني : Spatial Classification يقوم هذا التصنيف على أساس اختلاف الخصائص الطبيعية لمواضع المدن، وبموجبه تصنف المدن كالآتي:

أ - مدن الأنهار Cities Rivers : وللمدن هنا ثلاثة مواضع فمنها ما يقع عند مصبات الأنهار مثل مدينة لندن عند مصب نهر التايمز..إلخ، ومنها ما يقع عند ملاقي الأنهار مثل مدينة المقرن في السودان، ونوع ثالث يقع عند مخاضة النهر حينما يضيق ويسهل عبوره مثل مدينة الجيزة في مصر.

ب-مدن الجبال Cities mountains : تأخذ المدن الجبلية أربعة مواضع لها، عند التقاء الجهات الجبلية كما في خط المرتفعات في اسكتلندا، وإقدام الجبال كما هو الحال على طول إقدام الكتل القديمة في جنوب ألمانيا من الراين حتى سيليزيا العليا. ومواضع في مقدمات الجبال كما في الجهات الشمالية لجبال الألب مثل مدن ليون وبرن وميونخ. وهناك مدن تهيئ لها مواضع داخل الجبال كمدينة شقلاوه على سطح جبل سفين وكويسنجق عند جبال هيبة سلطان شمال العراق (26).

ج-مدن السواحل Coast cities : وهذه المدن أما إن تقع على ساحل بحر أو ساحل نهر، وغالبًا ما يهيئ لها الساحل على أساس طبوغرافيته لأن تصبح مدن موانئ بحرية أو نهرية، وقسم آخر يقع على بحيرة أو خليج، والأمثلة على ذلك كثيرة منها البصرة وشيكاغو وجنيف وطرابلس ودرنة في ليبيا.

د-مدن السهول The cities of the plains : تختار أغلب مدن العالم السهول الفيضية أو الساحلية موضعًا لها، كونها أفضل البيئات لقيام ونمو وتطور المدن، بفضل ما توفره من أراض منبسطة لاستعمالات الأرض ومد طرق النقل عليها، فضلًا عن توفيرها الأراضي الصالحة للزراعة لإقليم المدينة الذي يمدها بالمواد الغذائية، فمدن بغداد وباريس والقاهرة ولندن مثال لهذه المدن.

3 -التصنيف البنيويStructural Classification يعتمد هذا التصنيف على شكل

المدينة أو بنيتها وتختلف المدن في ذلك حسب الخطة التي رسمت لها.وبذلك تبرز لنا الأنواع الآتية :

أ-المدن الشبكية ب- المدن الشعاعية ج- المدن المحتشدة د- المدن الطولية.

4 -التصنيف المرتبيHierarchical classification تصنف المدن هنا وفق عدة معايير منها على أساس الحجم (عدد السكان)أو على أساس مركزها الإداري أو على أساس وظائفها التي تقدمها.إلا إن الجغرافيين درجوا على تصنيف مدنهم على أساس الحجم باعتباره أنسب المعايير وأوضحها. وعلى أساسه تأخذ المدن المراتب الآتية:

المرتبة الأولى: 5000 نسمة فأقل.

المرتبة الثانية: -5001 10000 نسمة.

المرتبة الثالثة: -10001 25000نسمة.

المرتبة الرابعة: 25001-100000 نسمة.

المرتبة الخامسة:-100001 مليون نسمة.

المرتبة السادسة: أكثر من مليون نسمة.

-5التصنيف الوظيفي Functional classification يعد تصنيف المدن وظيفيًا بحق تحديًا كبيرًا للجغرافيين والمهتمين بشأن المراكز الحضرية، لأنه لا توجد مدينة تختص بوظيفة محددة بل إن جميع مدن العالم هي متعددة الوظائف.ولكن بالإمكان تحديد الوظيفة الرئيسة أو الغالبة في المدينة.إلا أن الوظيفة الرئيسة هي الأخرى ليست ثابتة طالما أن المدن عرضة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية.فكثير من مدن الصيد البريطانية في القرن التاسع عشر تحولت في الوقت الحاضر إلى مدن سياحية كما تحولت كثير من مدن الأسواق القديمة إلى مدن صناعية.والمدن القديمة ذات الصفة الدفاعية (الحربية)أو الدينية قد تغيرت بمرور الزمن بل وتدهورت بعد ذلك، في الوقت الذي تعاظمت فيه وظائف أخرى كانعكاس للتطور الاقتصادي الذي شهدته الحضارة البشرية.

وعلى الرغم مما سبق فإنه يمكن وضع تصنيف عام لكثير من المدن على أساس الوظائف الرئيسة التي تمارسها معتمدين في ذلك على الطرق الإحصائية والرياضية في التصنيف وكالآتي:

مدن التعدين والمحاجرCities mining and quarrying: مثل مدن استخراج الفحم وتعدين النحاس والذهب.

المدن الصناعية Industrial Cities: كالمدن المتخصصة بصناعة الحديد والصلب والصناعات الهندسية.

مراكز النقلTransportation Centers: وهي متخصصة في الصناعات المرتبطة بالنقل مثل صناعة السفن والسيارات والطائرات والقطارات.

المدن التجارية Commercial cities: وتشمل الآتي:

مدن الأسواق الزراعية مثل وينبيج وكنساس سيتي.

مدن البنوك والمال مثل فرانكفورت وأمستردام.

مدن داخلية كبرى ذات تركيب تجاري متنوع مثل مانشستر وسانت لويس.

الموانئ التجارية الكبرى.

ج-المدن الإدارية Administrative cities وتشمل:

العواصم القومية القديمة The old national capitals مثل باريس ولندن والقاهرة والعواصم الحديثة مثل برازيليا وكنبره.

العواصم الإقليمية Regional capitals في إطار اتحاد فيدرالي كواشنطن وموسكو سابقًا ومثلها عواصم المحافظات.

المدن الاستراتيجية Strategic cities وتشمل:

مدن القلاع القديمة مثل أدنبره ودلهي وبكين.

قواعد بحرية للأسطول مثل برست وبورتسموث.

مدن الحاميات العسكرية Cities and military garrisons.

المدن الثقافية Cultural cities وتشمل :

مدن الحج مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف والنجف الأشرف وروما.

المراكز التعليمية غالبًا ما تكون فيها جامعة مثل كمبردج ولوفان وأوسبالا.

مراكز المؤتمرات مثل برايتون وشيكاغو.

مدن الاستشفاء والترويح cities hospitalization and recreation وتشمل :مدن المياه المعدنية مثل سبا وفيشي وحلوان وحمام العليل في الموصل.المجمعات البحرية. المنتجعات الجبلية.منتجعات داخلية أخرى.

مدن سكنية Residential cities ومنها :مدن المنامات وغالبًا ما تكون في ضواحي المدن الكبرى.الضواحي مثل بيغرلي هلز قرب لوس انجلوس[27].

إن الطبيعة الصناعية للبيئة الحضرية هي سبب زوال كثير من المدن القديمة التي لم تدمرها الحروب فدمرها أهلها أو أزالها هجران سكانها، إذ هُجرت كل المراكز الحضرية الكبيرة التي أقامتها حضارة المايا قبل 900 م وسبقتها في الزوال معظم مدن العراق القديم؛ كأوروك وإريدو. كان سبب انهيار كثير من المدن القديمة هو زيادة السكان واستنزاف الموارد، ويرى (ممفورد) أن ذلك يحصل مع المراكز الحضرية «حين تفقد المدينة تعايشها مع الأرض المحيطة بها؛ بالنمو السكاني الذي يُرهق الموارد المحلية -كالماء- فيعرضها للخطر. وحين تحتاج المدينة إلى دعم نموها المستمر، يجب عليها الوصول إلى موارد الماء والوقود والمواد الإنشائية خارج منطقتها المباشرة [28].

إن أهم عامل في تكوين المدن هو العامل الطبيعي الذي يمثله الموقع (الاستراتيجي) فيما يتعلق بدورها وكفاءتها في تحقيق إنتاج غذاء كاف أو وفير وتوافر مصادر المياه، لذلك ظهرت المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو في مصبات الأنهار.

أظهرت الدراسات الأثرية والتاريخية أن المدن القديمة ارتبط وجودها بوجود المناخ الجيد والموقع الجغرافي المناسب من أجل تجمع السكان وتربية الحيوانات والتربة الجيدة من أجل الزراعة وتوفر المياه.

كما أنها بحاجة إلى توفر طرق المواصلات البحرية والبرية وذلك من أجل نقل المواد الغذائية والتبادل التجاري عن طريق المبادلة أوالمقايضة، حيث إن سكان المدن القديمة استخدموا العربات والمراكب الشراعية [29].

مدينة مروي:-

الولاية الشمالية هي ولاية سودانية تقع في شمال البلاد.كانت تعرف سابقًا باسم المديرية الشمالية أو المحافظة الشمالية حتى سميت الولاية الشمالية عام 1994م بموجب قرار من رئيس الجمهورية.

تقع الولاية الشمالية على خطيّ طول (10-32-50-25) شرقًا وخطيّ عرض 32-61 شمالًا تحدها من الشمال جمهورية مصر العربية وإلى عمق الصحراء عن الحدود الليبية ومن الشرق ولاية نهر النيل ومن الجنوب ولايتا الخرطوم وشمال كردفان ومن الجنوب الغربي ولاية شمال دارفور[30].يجري في الولاية الشمالية النيل من الجنوب إلى الشمال بطول 650 كلم، تبلغ مساحتها حوالي 348.76 كم مربع.

مدينة مروي تقع في شمال السودان في الولاية الشمالية، وتبعد من الخرطوم مسافة 350 كيلو مترًا. يسودها المناخ الصحراوي الحار في فصل الصيف الذي يبدأ في شهر مايو ويستمر حتى أواخر سبتمبر، ويتميز الشتاء بالبرودة حيث تنخفض درجة الحرارة إلى 20 درجة مئوية ومعدل الرطوبة إلى أقل من 20% ويمتد الشتاء من أواخر نوفمبر حتى منتصف مارس.أما كمية الأمطار فهي شحيحة وقليلة جدًا بحيث لا يزيد متوسط عدد الأيام المطيرة فيها في السنة عن ثلاثة أيام فقط [31].

مروي" المدينة التي تمثل حاضرة أهل السودان القدماء في منطقة الشمال، وتربط بين السودان وجنوب منطقة النوبة. وهي أرض لمختلف القبائل السودانية وأهمها الشايقية الذين يعتبرون السكان الأصليون لها ثم الرباطاب والدناقلة والمحس وغيرهم من القبائل العربية التي سكنت المنطقة وما زالت حتى اليوم [32].

مروي أو مرواه بالعربية[33]. أو ميدوي، أو بيدوي باللغة المروية، وبالإغريقية Μερόη) κ) جميعها أسماء لمدينة مروي[34].

صنم.. صنب.. المركز..مروى وغيرها، كلها اسماء لمدينة كانت من أعظم وأجمل مدن هذا البلد قبل استقلاله وتسليم مقاليد الأمور فيه لابنائه(35). وفي أغنية(الرايقة هووي) والتي تعد إحدي درر التراث الشايقي ذكر الشاعر الصنب وقال:

مابـخـلـيكـ إلا انـضـرب

إلا سـيـفـًا يـآخـدنـي تـب

داير أضوق سجنكـ يا صنب

تقع مدينة مروي الحديثة على الضفة الغربية لنهر النيل، وقد شُيدت بالقرب من آثار مدينة صنب أبو دوم (أو صنم) التي يرجع تاريخها إلى العهد النبتي (900-270 ق.م.)، حيث توجد بها مقبرة كبيرة، تضم 1500 قبرٍ، ومعبد للإله آمون، وقصر ملكي. وتُعدُّ تلك

المقبرة دليلًا أثريًا على وجود استيطان بشري في المنطقة منذ وقت مبكر من عمر الدولة الكوشية (مروية). وقبل مجيء الغزو التركي المصري عام 1820م، وكان اسم مروي يطلق على مروي شرق، مركز ملوك الشايقية العدلاناب. وفي العهد التركي المصري (1821-1885م) أضحت مروي (صنب أبودوم) رئاسة لخط مروي الإداري، إلى أن حررها أنصار المهدية بقيادة الطيب السورابي عام 1884م، وخربوا مكاتبها الحكومية، واستولوا على خزينة الدولة، وشونة الغلال. وفي عهد المهدية (1885-1898م) جعلها الخليفة عبد الله رئاسة لخط مروي الإداري، وعَيَّن عليها الشيخ محمد أحمد كنيش. وبعد سقوط المهدية جعلها سردار الجيش الغازي معسكرًا لتموين حملة بربر المتجهة صوب الحاضرة أمدرمان، ثم بعد ذلك أضحت مأمورية إدارية، ثم مركزًا لرئاسة منطقة مروي الكبرى الواقعة بين الباجة شمالاً، وأمري جنوبًا [36].

وعندما ضُمت مديريتا دنقلا وبربر في مديرية واحدة تُعرف بالمديرية الشمالية، أضحت مروي رئاسةً لمركز موحد يضمُّ مجلسي ريفي مروي وريفي دنقلا. وفي ضوء قانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1971م، قُسم مجلس ريفي مروي إلى ثلاث وحدات إدارية، شملت مجلس ريفي مروي الشعبي، ومجلس ريفي كريمة الشعبي، ومجلس ريفي الدبة الشعبي.

حسب نعوم شقير "صنم" كانت عاصمة مأمورية في بداية العهد الإنجليزية-المصري، علمًا بأن كتاب نعوم صدر عام 1903. وربما تكون الإشارة إلى المقبرة الأثرية التي توجد فيها، أو إلى النصب التذكاري الذي وضعه الكولونيل بتلر (W.F. Bulter)، الذي بنى نصبًا تذكاريًا لمشاركة القوات البحرية وسلاح المهندسين في حملة إنقاذ غردون عام 1884م. ويوجد هذا النصب (أو الصنم) في مدينة مروي قبل أن تكون مأمورية في بداية الحكم الثنائي.(انظر النصب أدناه) [37].

شكل رقم (1)



نصب تذكاري لمشاركة القوات البحرية وسلاح المهندسين في حملة إنقاذ غردون عام 1884م.

المصدر :أحمد أبوشوك، مرجع سابق

شكل رقم (2)



نصب تذكاري (عن قرب) لمشاركة القوات البحرية وسلاح المهندسين في حملة إنقاذ غردون عام 1884م.

المصدر :أحمد أبوشوك، مرجع سابق

مروي من المدن التاريخية التي يعود عهدها إلى الحضارة النوبية القديمة، ومحاطة بالآثار التاريخية المهمة والمتنوعة الحضارة، ومن أهم المناطق الأثرية، جبل البركل، ونوري، والكرو [38].

وتقع مروي في الحافة الشرقية لهذا الإقليم الذي يحتوي على موقعين كوشيين مهمين هما النقعة والمصورات الصفراء [39].

أبرز ما يميز موقع مروي هو وجود أكثر من 200 هرم في ثلاث مجموعات، أطلق عليها اسم الأهرامات الكوشية وهي مباني مميزة الأحجام والأبعاد، وقد تحطم الكثير منها عبر العصور[40].

كانت مروي العاصمة الجنوبية لمملكة نبتة/ مروي، ووفقًا للنصوص المروية التي لم تفك شفرتها كليًا فإن المملكة امتد عمرها من العام 800 قبل الميلاد حتى العلادية وكان اسمها ميدوي أو بيدوي [41]. وقد كشفت الأبحاث الأثآرية جوار مناطق التكدس البشري أدلة مهمة خصوصًا في المدافن الملكية الكوشية في المقابر الغربية التي تعود لحقبة نبتة 800 قبل الميلاد إلى 200 قبل الميلاد.

ويعود تطور الثقافة المروية للأسرة الكوشية الخامسة والعشرين التي نشأت في كوش، وينسب تطور مفهوم الحياة المدنية في مروي لنظام الملك اركماني الذي بدأ عام 280 قبل الميلاد عندما تم تحويل المدافن الملكية من جبل البركل في نبتة إلى مروي. كما يوجد بها معبد أمون ومعبد إيزيس والأضرحة.

وكان الاحتلال الروماني لمصر سببًا مباشرًا للاضرابات الحدودية بين النوبيين والرومان وتعددت الغزوات الكوشية على جنوب مصر، مما حدا بالحاكم الروماني بترونيوس غزو مملكة كوش لإنهاء هذه الأزمات وطرد الكوشيين جنوبًا ونهب ثرواتهم، وفي هذه الأثناء قام الكوشيون بهجوم كبير على المدن المصرية قرب الشلال الأول في أسوان وقاموا بالاستيلاء علي العديد من المقتنيات والتماثيل وكان من بين الغنائم تمثال معدني لرأس الامبراطور أغسطس نفسه، وقام الكوشيون بدفن التمثال عند درج المعبد كي يطأه الناس بأرجلهم في دلالة على الاستحقار [42].

وبعد توقيع اتفاق السلام بين الكوشيين والرومان في جزيرة ساموس، عام 22 ميلادي أعاد الكوشيون التماثيل وتمتعت مروي بعلاقات تجارية قوية مع الرومان.ولكن رغم ذلك

وكنتيجة مباشرة للحروب مع الرومان وتدهور الصناعات التقليدية في مروي بدأ الضعف يدب في أوصال الامبراطورية في القرن الأول أو الثاني بعد الميلاد[43].

وقد وثقت الحقبة الأخيرة من حضارة مروي في مسلة انتصار نصبها ملك غير معروف من مملكة أكسوم (يرجح أنه الملك عيزانا) في مروي حوالي العام 350 ميلادية، وقد ذكر الإغريق أن ذلك الملك كان يحكم مملكتي أكسوم وحمير.

قامت مروي على كنف مملكة غنية ومزدهرة بصناعة الحديد والتجارة العالمية مع الهند والصين، وقد استقطبت عمال التعدين من كل أنحاء العالم، وهذا مادفع المؤرخون لإطلاق اسم بيرمنغهام إفريقيا علي مروي للإنتاج الهائل ولحجم التجارة الكبير في خام الحديد والحديد المصنع مع إفريقيا وكل مراكز التجارة العالمية في ذلك الوقت، وكان الحديد ينتج بواسطة أفران الصهر والمحارق وكان المرويون أفضل صناع الحديد في العالم. ويعتقد بعض العلماء مثل جورج اندرو ذريزنر[44].أن أصل الحضارة في وادي النيل يعود لحضارة كرمة التي تعتبر حضارة مروي امتدادًا لها.

كما صدرت مروي المنسوجات والمجوهرات، وكانت المنسوجات الكوشية من القطن، وبلغت أعلى ازدهار لها عام 400 قبل الميلاد، وفضلًا عن ذلك كانت المملكة الكوشية غنية بالذهب، وكذلك اشتهرت مروي بتجارة الحيوانات النادرة إلى ماهو أبعد من مصر وشمال إفريقيا وكان هذا وجهًا آخرًا من أوجه الاقتصاد المروي المتنوع.

وفي الوقت الذي دخلت في مصر فكرة الساقية كأداة لزيادة الإنتاج الزراعي واستدامة الري كان الكوشيون يسيطرون على مياه النيل بواسطة خطوط ري مستقيمة من 1الشمال إلى الجنوب بلغ امتدادها إلى أكثر من 1000 كيلومتر[45].

كان نظام الحكم النوبي نظامًا أوتوقراطيًا، ولا يشرك الحاكم أحدًا في اتخاذ القرار إلا الملكة الأم أو الكنداكة ولكن بدور محدود أو خفي، فيما يباشر الملك بنفسه إدارة الخزينة وحملة الأختام وحافظي السجلات ورؤساء الكتبة وكل مايلي ذلك. وبحلول القرن الثالث الميلادي وفي مرحلة نبتة (ما بين عام 300 إلى 700 قبل الميلاد) طور المرويون أبجدية كتابية جديدة بديلة عن الهيروغليفية المصرية ومشتقة منها، تتكون من 23 حرفًا واستخدمت لكتابة اللغة المروية في المملكة. ورغم ذلك هنالك دلائل تشير إلى ان الظهور الأول لهذه الأبجدية كان في القرن الثاني الميلادي، ويحتمل ان تكون هذه اللغة استخدمت من قبل الملوك النوبيين المتعاقبين [46].

كما كان للكوشيين في مروي إله خاص اباداماك إلى جانب الآلهة الفرعونية التي كانت تعبد بدرجة أقل مثل آمون وحورس وإيزيس وتحوت وغيرها.

عرف الأوربيون مروي في العصر الحديث عام 1821 م عن طريق عالم المعادن الفرنسي فريدريك كلود الذي زار مروي ثم عاد إلى أوروبا ونشر ملفًا يصف فيه آثار مروي، ويعتقد أن هذا الملف كان السبب المباشر لحضور الكثير من صائدي الجوائز واللصوص الباحثين عن الذهب كأمثال الإيطالي جوزيبي فريليني، الذي اكتشف آثارًا متنوعة وخصوصًا المجوهرات والحلي الذهبية الملكية التي تعرض في متحف برلين المصري اليوم.

وتم استكشاف مروي بدقة علمية لأول مرة عام 1844 م بواسطة العالم كارل ريتشارد ليبسيس الذي قام برسم العديد من الخرائط والرسومات والتي أودعها إلى جانب ما اكتشفه من تماثيل ومجوهرات في متحف برلين أيضًا. كما جرى استكشاف المنطقة مرة أخرى في الفترة ما بين عامي 1902 إلى 1905 م بواسطة عالم المصريات والمستشرق الإنجليزي إي. أ واليامز بدج، وهو الذي اكتشف أجمل ماعثر عليه في مروي حتى الآن، مثل مجسمات النحت البارز في حوائط المعابد التي تظهر أسماء الملكات وبعض الملوك وبعض فصول كتاب الموتى والمسلات المنقوشة باللغة المروية والأواني المعدنية وأعمال الخزف. وقد تم تفكيك النحوت البارزة حجرًا حجرًا وتم نقلها إلى المتحف البريطاني وأعيد تجميعها جزئيًا. كما تم تجميع الجزء المتبقي في متحف السودان القومي بالخرطوم. وقد نشر العالم إي. أ واليامز بدج كتابًا مهمًا في لندن عام 1907 م أسماه السودان المصري: التاريخ والآثار. وقد أثبت هذا العالم أن أهرامات النوبة كان يتم بناؤها علي غرف نحتت في الصخر وتحتوي على أجساد الملوك الراحلين، التي يتم تحنيطها عادة كمومياءات أو لا يتم كما في بعض الحالات[47].

وفي عام 1916 قام الحاكم البريطاني للسودان ريجنالد ونجت بإرسال قوات لشق الطرق إلى أهرامات مروي وفيما بينها، فتسبب ذلك في غرق العديد من الأعمدة والآثار.

وفي عام 1910 ونتيجة لتوصيات عالم الأشوريات واللغويات الإنجليزي (1846 1933-) أرشيبالد سايس الذي كان يرأس كرسي الدراسات الأشورية بجامعة أوكسفورد، تم القيام بأعمال حفر وتنقيب واسعة في تلال مروي ومقبرتها الكبرى وبواسطة العالم الإنجليزي

جون قراستنق (1876-1956) وبرعاية جامعة ليفربول فأسفر البحث عن اكتشاف قصر كبير ومعابد متعددة شيدها حكام مروي [48].

تعد مدينة مروي القديمة موطنًا لما يقرب من 200 هرم، شيدت الأهرامات من مجموعة ضخمة من الحجر الرملي على الطراز النوبي، وتبدو مختلفة تمامًا عن شبيهتها المصرية، مع قواعد أصغر وجوانب أكثر انحدارًا، ومع ذلك فقد تم بناؤها لنفس الغرض لتكون بمثابة موقع دفن وبيان القوة، في هذه الحالة لملوك وملكات المملكة المرَّوية القديمة. تم بناء أهرامات مروي ما بين 2700 و 2300 عام، وهي من بقايا المملكة المرَّوية، والمعروفة أيضًا باسم مملكة كوش، حكم ملوك وملكات هذه الفترة ما بين 800 قبل الميلاد و 350 بعد الميلاد وسيطروا على مساحة شاسعة شملت معظم دلتا النيل ووصلت إلى الجنوب حتى الخرطوم، خلال هذا الوقت، كانت مدينة مروي القديمة بمثابة المركز الإداري الجنوبي للمملكة ولاحقًا كعاصمة لها.

مدينة مروي الحديثة:

تعتبر الولاية الشمالية أكبر الولايات السودانية مساحه والأقل من حيث التعداد السكاني، كما ينقسم سكانهم بين القبائل النوبية، مثل: المحس والدناقلة والحلفاويين والسكوت الناطقين باللغة النوبية القديمة.، والقبائل العربية، مثل: الشايقية والبديرية والمناصير والهوارة ، بالإضافة إلى قبائل، مثل: قراريش، كبابيش، هواوير. وغيرهم من القبائل التي سكنت المنطقة وما زالت حتى اليوم.

مساحة الولاية 348,765 كم2 وعاصمتها مدينة دنقلا. يقدر عدد سكان الولاية بحوالي 667 ألف نسمة (تقديرات عام 2008 م). يخترقها نهر النيل. ويوجد بالولاية سد مروي أكبر السدود بالسودان. ومطار دنقلا ومطار مروي.

مروي هي وجهة سياحية أخرى مهمة للغاية في السودان، وتقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، وعلى بعد 200 كيلومتر من العاصمة السودانية الخرطوم. تعد السكك الحديدية أهم وسيلة مواصلات إلى هذه المدينة، وغالبًا ما يستخدم السائحون الحافلات وعربات النقل للتنقل في أنحاء المدينة. وبخلاف المقبرة التاريخية والمثيرة للفضول، فإن أهم مناطق الجذب في هذا المكان هو معبد الإله آمون، وضميمة الأهرامات الكبرى.

تنقسم الولاية إلى المحليات التالية: محلية القولد، محلية البرقيق- محلية دنقلا، محلية وادي حلفا، محلية دلقو، محلية مروي، محلية الدبة

قرى ومناطق محافظة مروى:

أولًا: بالضفة الشرقية :أمري شرق - الحامداب شرق - الكاسنجر - السويقات - الجرف - مدينة كريمة - البركل - شبا - عسوم - مروي شرق - الطريف - الدتي - الكرو - الدهسيرة - مدينة الزومة - مقاشي - حزيمة - البخيت - المقل- الحجير - الاراك - الكرفاب - البرصة - ام درق- البار - جلاس - الأركي- النافعاب -الركابية - مورة - السدر - كوري- الهو - العفاض - علي نارتي- ترقس- ابكر - الدفار - ارقي - سلب -ابو عاج - تنقسي - بنقنارتي... دنقلا العجوز.

ثانيًا: الضفة الغربية :أمري غرب - الحامداب غرب - الدقاويت - التكر - البلل - مدينة نوري - السقاي - دويم ود حاج - الرجيلة - مدينة مروي- ابودوم - الدبيبة - فتنة - ابو رنات - التلبناب - مدينة تنقاسي - مدينة القرير - الكنيسة - مساوي - اوسلي - الباسا - الغريبة - الحلة البيضاء - مدينة كورتي - جواري - الحتاني - حسينارتي - مقنارتي -- الكربة (الكلد) - منصوركتي - فقير ام كتي - ارتموقا - قنتي - ابو دوم - قوشابي - جرا - دبة الفقراء - كرمكول - مدينة الدبة - الكرد - الككر - الجابرية - الغابا - الباجا.

شكل رقم 3



خريطه توضح تكدس قرى ومناطق محافظة مروي على ضفاف النيل

المصدر [49].

تسكن بالمدينة قبائل من مختلف مناطق السودان وتزاوجوا واختلطوا مع السكان بالمنطقة وأصبحوا من نسيج المنطقة الاجتماعي المهم، وبذا تعتبر الولاية الشمالية نموذجًا للتعايش السلمي بين مكونات المجتمع السوداني المختلفة من عرب وأقباط ونوبة وفلاليح ونيليين، ويظهر هذا جليًا مدينة كريمة وفي حاضرة الولاية مدينة دنقلا العرضي حاليًا بعد أن توسعت المدينة وانتقلت إليها الأسر من جميع مكونات الولاية الإثنية من شايقية ومحس ودناقلة وسكوت وحلفاوية وعرب ومهاجرين من غرب السودان منطقة جبال النوبة بحثًا عن التعليم وفرص العمل.

سد مروي:

سد مروي هو سد كهرومائي سوداني، يقع في منطقة الحامداب بمعتمدية مروي بالولاية الشمالية بالسودان، على بعد 350 كيلومتر شمال العاصمة السودانية الخرطوم و40 كيلومتر من مدينة مروي.وحوالي 30 كيلومتر من نوري. بدأت الدراسات للمشروع منذ منتصف الأربعينيات من القرن الماضي بواسطة الحكومة المصرية، وفي مطلع الثمانينيات تمت دراسة ما قبل الجدوى بواسطة المستشار السويدي سويكو في 1993م، اكتملت دراسة الجدوى بواسطة المستشار الكندي موننكو اقرا بتمويل من البنك الدولي.. صدر في أكتوبر 2001م. يبلغ الطول الكلي لسد مروي حوالي 9228.2 متر على ضفتي نهر النيل ويبلغ ارتفاعه 60 مترًا وهو بذلك يعد سدًا متوسط الارتفاع ولكنه في نفس الوقت ينتج الطاقة التي تنتجها السدود المرتفعة وذلك لعمق نهر النيل ووفرة مياهه [50].

اكتمل بناء السد في 3 مارس 2009م، وقد صاحب عملية بنائه عدد من المشاريع التحضيرية، مثل إنشاء عدد من الطرق والجسور وخط للسكة الحديد، ومدينة سكنية لإقامة فريق العمل الذي تألّف من 5,000 عامل نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من الصينيين[51].

الأغراض الأساسية لبناء السد هي:

- توليد الطاقة الكهربائية حيث ينتج السد طاقة بقوة 1,250 ميغاواط.
- ري حوالي 300,000 هكتار من المشاريع الزراعية في الولاية الشمالية.
- حماية أراضي الولاية الشمالية من خطر فيضان النيل.

-إنشاء مشاريع صناعية ومشاريع تعدين وصناعة سمكية تعتمد على بحيرة تخزين المياه البالغ طولها 176 كيلومترًا.

- تحسين مستوى المعيشة للسكان المحليين بمنطقة السد.

- تحسين الملاحة النهرية بالمنطقة.

ولكن بسبب إنشاء سد مروي ضاعت المزارع والمحاصيل الزراعية، كما فقد السكان حيواناتهم ومنازلهم. وأيضًا تسبب السد في إغراق قرى بأسرها وتشتيت عائلات، لأن بعضها يريد الرحيل للعيش في أراضٍ أخرى لم تغرق، رغم أنها غير خصبة، حصلوا عليها كتعويض من الحكومة عن أراضيهم التي فقدوها بسبب إنشاء سد مروي. والبعض الآخر يفضل البقاء في منطقته.. وتعد مناطق الحامداب وأمري والمناصير التي تتبع لمحلية مروي الأكثر تضررًا من إنشاء السد.

ويتهم حقوقيون الشركة الألمانية، التي أغرقت منطقتين وراء السد خلال عامي 2006 و2008، بأنها توانت عن إعلام سكان المنطقتين المتضررتين بعملية الإغراق، وأن الناس فوجئوا بالأمر وأنهم اضطروا إلى الفرار وأن الكثيرين فقدوا كل ما يملكونه.غير أن الانتقادات توالت في السنوات الأخيرة بأن أكبر خزان للمياه على نهر النيل قد تسبب في التهجير القسري لآلاف السكان من المناطق المحيطة به وفي اندثار قرى بأسرها [52].أن سد مروي سبب أضرارًا كبيرة لإنسان المنطقة منها التغيير المناخي وتأثيره على المناطق الأثرية وعلى أشجار النخيل[53].

سد مروي مثال واضح للمشاريع المنقوصة التي لم تستكمل وبذا لم تتم الفائدة المرجوة منها بل على العكس جلبت كثيرًا من الأضرار المتمثلة في سرعة اندفاع المياه خلف بحيرة السد ما يتسبب في زيادة الانجرافات وتنامي ظاهرة الهدام وتحولات الجزر. والجانب الآخر المتمثل في زيادة الرطوبة ولما لذلك من أثر في التركيبة الزراعية، بالمنطقة إلى جانب زيادة المحتوى المائي داخل التربة والذي انعكس في شكل ظاهرة ما يعرف «بالنز». من هنا يتعاظم الاهتمام بالترع لجبر الضرر وإزالة ما لحق بالمواطنين من آثار سالبة وأضرار، إذ الترع هي في مقام الواجب المستحق لجبر الضرر[54].

كارثة بيئة وإنسانية تهدد مشروع «البرقيق»، أكبر المشاريع الزراعية في شمال السودان التي تنتج محاصيل «البلح والفول المصري والقمح»، والظاهرة هي مياه جوفية مالحة تنبع من تحت الأرض. يُــطلق عليها في السودان اسم «الجمام» أو «النز»، وقد أدى الجمام إلى انهيار أكثر من 400 منزل خلال الأشهر الماضية، وتبدو التخوفات من

تأثير هذه الظاهرة على الزراعة مصدر الرزق الرئيسي لسكان المنطقة، الذين يفوق تعدادهم 100 ألف نسمة، ويتوقع أن تتمدد الظاهرة وتوثر على المناطق المجاورة، ففي تلك المنطقة تقع منطقة «الدفوفة» أقدم المناطق الأثرية التاريخية في حضارة شمال السودان.

وجاء تقرير لجنة تقصي أسباب موت النخيل مؤكدًا على تغيرات بيئية ومناخية بسبب قيام السد مما أفضت الى كرمشة وموت مفاجئ للنخيل.السد يحبس حوالي (130) مليون طن من الطمي سنويًا، بسبب تخزين المياه لإنتاج الكهرباء، ويتسبب حبس الطمي بهذه الكيفية في زيادة تسريب المياه إلى باطن الأرض مسببة ظاهرة النز، والتي تأثرت بها مناطق مروي ونوري وتنقاسي والقرير.. حتى البرقيق.ويمكن تعديل الوضع البيئي بصورة إيجابية بحفر وإنشاء ترعتي سد مروي، لأن المياه الضخمة المخزنة خلف السد هي أساس مشكلة النز [55].

إن الإعلان الحكومي عام2012 عن قيام إثيوبيا بمد السودان بالكهرباء وبهذا الحجم المعلن يعني اعتراف الحكومة السودانية ضمنيًا بفشل مشروع سد مروي، الذي لم ينفع السودانيين بشيء غير أن الجهات الرسمية أهدرت المليارات من الدولارات في مشروع فاشل،، ثم قامت بتهجير جماعات عديدة من أهل المنطقة الأصليين [56].

الهوامش:

1. محمد بن موسى القحطاني- العوامل الاجتماعية المؤدية إلى التعثر الدراسي الشباب الجامعي دراسة ميدانية مطبقه على عينة من طلاب كلية العلوم الاجتماعية- مجلة البحث العلميى في التربية- العدد العشرون منشور في النت 2019 http://search.shamaa.org › PDF › Articles › EGBahtht م- ص 146
2. إحسان علي محاسنة، البيئة وصحة المجتمع، الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1991م، ص75
3. Knowledge Spillovers- مؤرشف من الأصل في 1 مايو 2014. اطلع عليه بتاريخ 16 مايو 2010.ص2.
4. "Retrieved 12 ,Vocabulary ,"city/2021/7 Eric Edwin ↑ .Edited 12 Retrieved ,Britannica ,"City" ,Lampard/2021/7. Edited. ↑
5. رزان صلاح، الفرق بين المدينة والريف https://mawdoo3.com - ٢٩ نوفمبر ٢٠١٦ - ص1.
6. مصطفى مدوكي، مفاهيم عامة حول المدينة، بسكرة- الجزائر: جامعة محمد خيضر-بسكرة، 2013-2014، ص2.
7. رشا الصوالحة، تعريف المدينة - تم التدقيق بواسطة: ريمان مصطفى، https:// mawdoo3.com، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١ م- ص2.
8. ماكس فيبر، الاقتصاد والمجتمع، ترجمة: محمد التركي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015م، ص 12.
9. هادفي سمية - سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري - مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد -17 ديسمبر/-2014 ص 170-173.
10. Magnavita, Sonja (2013). "Initial Encounters: Seeking traces of ancient trade connections between West Africa and the wide`r world". Afriques. مؤرشف من الأصل في 07 أكتوبر 2017. اطلع عليه بتاريخ 13 ديسمبر 2013.

11. سمر محمد أبو غالي، استراتيجيات التطوير الحضري لمراكز المدن، غزة- فلسطين: الجامعة الإسلامية، -2013 ص 22-33

12. Megalopolis: An Assay for the Identification of the World Urban Mega-structures"; 55th Congress of the European Regional Science Association: "World Renaissance: Changing roles for people and places", 25–28 August 2015, Lisbon. 2018 نسخة محفوظة 07 أغسطس على موقع واي باك مشين.

13. على لفته سعيد، الإقليم الوظيفي لمدينة النجف الكبرى، 2020، ص ص 11

14. على لفته سعيد، مرجع سابق - ص 13

15. -سمر محمد أبو غالي- استراتيجيات التطوير الحضري لمراكز المدن- غزة- فلسطين: الجامعة الإسلامية -2013- ص 22-33.

16. رشا الصوالحة تم التدقيق بواسطة: ريمان مصطفى - https://mawdoo3.com ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١- ص1.

17. عدي محمد جبر- ما هي المدينة -2019 - https://mawdoo3.comم- ص2.

18. مجد خضر - خصائص المدينة -2016 –https://mawdoo3.comم- ص1

19. يارا تعامرة - بماذا تتميز المدينة عن القرية https://mawdoo3.com-، ٢٢ أبريل ٢٠١٨ - ص1.

20. مجد خضر- خصائص المدينة - مرجع سابق – ص2

21. يارا تعامرة - بماذا تتميز المدينة عن القرية-مرجع سابق – ص2

22. يارا تعامرة - بماذا تتميز المدينة عن القرية-مرجع سابق – ص1

23. عدي محمد جبر - ما هي المدينة -https://mawdoo3.com – ٢ يونيو ٢٠١٩ - ص 224 - المدينة القديمة: خصائصها وتاريخها - موسوعة تاريخ العالم-... https://www.worldhistory.org › trans–2018 - ص2

24. موسوعة تاريخ العالم ؛المدينة القديمة: خصائصها وتاريخها، https://www.worldhistory.org › trans–2019- ص1

25. تصنيف المدن https://uomustansiriyah.edu.iq › media › lectures
-2019-ص 3

26. تصنيف المدن-مرجع سابق – ص2

27. The Natural History of Urbanization by Lewis Mumford, Chicago, 1956Accessed 1 Dec 2016.

28. إنتصار العتوم - نشأة المدن الحضرية القديمة-© حقوق النشر 2022، جميع الحقوق محفوظة 2022 –E3arabiم – ص3

29. صفحة مروي في GeoNames ID". GeoNames ID. اطلع عليه بتاريخ 11 أكتوبر 2021

30. Dongola Climate Dongola Temperatures Dongola Weather Averages نسخة محفوظة 17 مايو 2017 على موقع واي باك مشين.

31. معلومات عن الولاية الشمالية على موقع catalogue.bnf.fr". catalogue.bnf.fr. مؤرشف من الأصل في 17 مارس 2016.

32. Meroe, Encyclopædia Britannica, v.15, p.197, Encyclopædia Britannica Inc., William Benton, London, 1969.

33. The Island of Meroe", UNESCO World Heritage". Whc.unesco.org. مؤرشفمنالأصلفي 1 يناير 2019. اطلععليهبتاريخ 06 سبتمبر 2012.

34. عبد الرحمن بلاص - منالمخلايةالمجموعهالاولى- بكائيهعلىاطلالةمدينةمروىالتي كانت – -1999 ص 18.

35. احمد ابراهيم ابوشوك- السودان السلطه والتراث (مروي ذكريات ومزكرات - شرفي –الكابلي –وقيع الله) الجزء الرابع- امدرمان - مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي- -2015 ص15

36. احمد ابوشوك - مرجع سابق- ص15

37. معلومات عن الولاية الشماليةعلى موقعcatalogue.bnf.fr". catalogue.bnf.fr. مؤرشف من الأصلفي 17 مارس 2016.

38. "The Island of Meroe", UNESCO World Heritage". Whc.unesco."
org. مؤرشف من الأصل في 1 يناير 2019. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
39. Osman Elkhair and Imad-eldin Ali, "Ancient Meroe Site: Naqa and
Musawwarat es-Sufra" (recent photographs)". Ancientsudan.org.
مؤرشف من الأصل في 9 أكتوبر 2018. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
40. * Török, László (1997). The Kingdom of Kush: Handbook of the Napatan-Meroitic Civilization. Vol. 31. Leiden, NDL: Brill..ISBN 9004104488
41. "Bronze head of Augustus" المتحف البريطاني. 1999. مؤرشف من الأصل
في 12 أغسطس 2011. اطلع عليه بتاريخ 14 يونيو 2008م.
42. ""Nubia", "BBC World Service"". Bbc.co.uk". مؤرشف من الأصل في 1
مارس 2019. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
43. Meroe, Encyclopædia Britannica, v.15, p.197, Encyclopædia Britannica Inc., William Benton, London, 1969. - Adams, Nubia, p. 302.
44. ""Meroe: Writing", "Digital Egypt," University College, London"."
Digitalegypt.ucl.ac.uk. مؤرشف من الأصل في 16 يوليو 2012. اطلع عليه
بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
45. "World Heritage Sites: Meröe". مؤرشف من الأصل في 28 سبتمبر 2018.
اطلع عليه بتاريخ 14 يوليو 2011.
46. Bianchi, Steven (1994). The Nubians: People of the ancient Nile. Brookfield, Conn.: Millbrook Press. ISBN 11-356-56294-.
47. Török, László (1997). The Kingdom of Kush: Handbook of the Napatan-Meroitic Civilization. 31. Leiden: Brill. ISBN 90-04-104488.

48. نجلاء عبدالرحمن وقيع الله بلاص -هجرة ابناء قبيلة الشايقية وتكيفهم الاجتماعي في بورسودان -في الفترة من 1910حتي 1950م.مجلة (القُلزم) - تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر –الخرطوم – السودان- العدد الثالث - سبتمبر2020م.

49. "Merowe Dam Project". www.merowedam.gov.sd. مؤرشف من الأصل في 17 أغسطس 2017. اطلع عليه بتاريخ 26 أبريل 2017.

50. وكالة الانباء الكويتية كونا نسخة محفوظة 5 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

51. آدريان كريش / شمس العياري - مراجعة: عبده جميل المخلافي -سد مروي السوداني - مشروع تنموي طموح أم كارثة على السكان https://www. dw.com › - 2010م.

52. حركة كوش :سد مروي سبب اضرار لانسان المنطقة وللاثار -

53. https://www.alrakoba.net › - 2020م.

54. خالد محمد أحمد كبوش- سد مروي وجهجهة التسابالصحافةنشر في النيلين - 2016 -محمد وداعه - النز.. في السد- سوداكون

55. 2017 › http://www.sudacon.net/12 › -blog-post_81 2017/12/22

56. -56 خالد أبو أحمد - الاعلان رسميًا في السودان عن فشل مشروع سد مروي - صحيفة. 19 https://www.alrakoba.net/11/2012م

الفصل الثامن

من تاريخ مدينة أم درمان الحضاري
(شواهد أثرية)

من تاريخ مدينة أم درمان الحضاري
(شواهد أثرية)

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير
قسم الآثار كلية العلوم الإنسانية - جامعة بحري

مقدمة:

تحظى أم درمان بمنزلة خاصة لدى عموم أهل السودان سيما وأنها تضم كافة إثنيات (أعراق) وثقافات هذا الوطن. بيد أن أهميتها في العصر الحديث - كما هو معلوم- مستمدة بشكل كبير من أنها كانت حاضرة دولة المهدية (1885-1898م) التي تعتبر أول حركة وطنية قام بها السودانيون في العصر الحديث ضد المستعمر رغم أن طابعها وأهدافها كانا تقليديين وإسلاميين أكثر مما كانا لدوافع دنيوية محضة. وعرفت أم درمان بـ»العاصمة الوطنية» في مقابل الخرطوم التي ظلت قصبة البلاد الإدارية منذ العهد التركي-المصري (1823م). ويشير السجل الآثاري التاريخي إلى أن منطقة أم درمان شهدت بزوغ حضارات عريقة بدءًا من عصور ما قبل التاريخ وإلى العصور التاريخية اللاحقة(انظر الخارطة: شكل1).

أصل التسمية أم درمان:

ربما كانت أقدم إشارة إلى أم درمان ذكرها المؤرخ ود ضيف الله في كتابه «الطبقات»(ضيف الله1984 :180-181) في معرض حديثه عن الفقيه الشيخ حمد ود أم مريوم في عهد دولة الفونج (1646-1730م). وهناك ثلاث روايات عن أصل تسمية «أم درمان»، الأولى تزعم أن الاسم لامرأة تنتمي إلى أسرة مالكة تنتمي إلى دولة علوة المسيحية كانت تقطن في ذات المكان الذي قامت عليه المدينة عند مشرع الموردة التجاري. وكان لها ابن يسمى «درمان».وأطلق عليها اسم « أم درمان» تأدبًا وتقديرًا. وتقول الرواية الثانية إن الاسم لامرأة كان منزلها مكانًا آمنًا بسبب ما يحيط به من سور آثاره كانت قائمة إلى عهد قريب على مقربة من شاطئ النيل بحي بيت المال. وكانت

تلقب بـ» أم دار الأمان» والذي تحرف إلى « أم درمان». أما الرواية الثالثة فتذهب إلى أن أم درمان (بالفتح والهمزة والميم) لفظ عربي قحطاني الأصل بمعنى المرتفع. وسمي المكان للدلالة على طبيعته الطوبوغرافية المتمثلة في ارتفاعه عن البرين الآخرين اللذين تقع فيهما مدينتا الخرطوم والخرطوم بحري الحاليتين.ولأم درمان اسم آخر وهو «وشل» ويعني المكان الكثير الماء. وأطلق عليها الإمام المهدي بعد أن جعلها عاصمة لدولته اسم « البقعة الطاهرة»(انظر الرابط الإلكتروني أدناه).

العمل الآثاري بمنطقة أم درمان:

سيشمل البحث إضافة إلى الأدبيات المنشورة، نتائج المسوحات والحفريات الآثارية في شمال مدينة أم درمان في فترات مختلفة خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات ومطلع التسعينيات من القرن المنصرم (1973-1990م). ويلزم التنويه إلى أن مشروع العمل الآثاري لجامعة الخرطوم في منطقة شمال مدينة أم درمان قد بدأ عام 1973م مترافقًا مع البدايات الأولى لنشأة قسم الآثار بالجامعة. وأشرف على هذا العمل المسحي والتنقيبي عالم الآثار السوداني الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي الحاكم(رحمه الله). وكان الهدف من هذا المشروع تدريب طلاب الجامعة على التطبيقات العملية للعمل الآثاري من مسوحات وتنقيبات والتي تشكل جزءًا أساسيًا من متطلبات المنهج الدراسي المقرر. وتشمل هذه التدريبات العملية: نظم المسح والحفر والرسم والتصوير والتسجيل الآثاري. وبعد أن شب قسم الآثار بجامعة الخرطوم عن الطوق أصبحت منطقة حفريات شمال أم درمان أحد الروافد الأساسية لمشاريع البحث الآثاري لطلاب الدراسات العليا حيث شهدت تنقيبات لمواقع تؤرخ لفترات تاريخية مختلفة شكلت مادة علمية ثّرة لرسائل ماجستير ودكتوراه داخل السودان (جامعة الخرطوم) وخارجه (جامعات كمبردج ودرم وردينق وبيرجن وساوثهامبتون) لكوادر سودانية تأهلت بشكل متميز وتدير الآن دولاب العمل الآثاري بجدارة واستحقاق داخل الوطن وخارجه.

تقع منطقة التنقيبات الآثارية لجامعة الخرطوم شمال مدينة أم درمان وتمتد من وادي سيدنا جنوبًا إلى خور الدشيناب شمال جبل أم مرحي. وتحد هذه المنطقة من الجهات الغربية والجنوبية جبال كرري، والمعيقل والقيسي والمرخيات، وحدها الشرقي نهر النيل. وتقع المنطقة برمتها على هضبة جيولوجية عتيقة متعرية من الصخر الرملي

النوبي (Nubian Sandstone) تعلوها طبقات متباينة من الحصى والرمال الخشنة والناعمة، فضلًا عن تناثر بعض المنكشفات الصخرية من حجر البازلت على مدى البصر.

عصور ماقبل التاريخ:

وتجد الإشارة إلى أن الأعمال الآثارية الرائدة في هذه المنطقة ابتدرها عالم الآثار البريطاني المعروف أ.ج. آركل A.J.Arkell الذي عين أول مدير لمصلحة الآثار السودانية(1938-1948م). وشملت هذه الأعمال مسوحات آثارية لمواقع العصر الحجري القديم في وادي سيدنا وخور أبوعنجة فُصِلت نتائجها في كتابه الموسوم بـ «العصر الحجري القديم في السودان الإنجليزي-المصري – Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan «.ويصل تاريخها بالمقارنة مع نظائرها في مواقع أخرى بشمال السودان(جزيرة صاي) إلى300.000 ق.م. وتلت ذلك أعمال تنقيب في موقعين مهمين هما الشهيناب (1953م) والسروراب 2– (1978م) . فموقع الشهيناب الذي يرجع للعصر الحجري الحديث قام بحفره أنطوني آركل عام 1949م ونشرت نتائجه بين دفتي كتاب معنّون بـ «شهيناب Shaheinab» عام 1953م.أما موقع السروراب2- الذي يؤرخ لحضارة الخرطوم الباكرة فقد قام بالتنقيب فيه صاحب هذا المقال استكمالًا لأبحاثه في دراسات ماقبل التاريخ في إقليم الخرطوم.(1978-1980م)(Khabir1981) التي نشرت نتائجها في دوريات علمية متنوعة بـأوروبا وأمريكا الشمالية وبعض الأقطار العربية.

وثمة إشارة هنا، وهي أن الموقع الأنموذجي لهذه الحضارة تم التعرف عليه في حفرية سابقة للآثاري آركل (1949م) وهو مستوطنة ترجع للعصر الحجري الوسيط (Mesolithic) تحتل مكان مستشفى الخرطوم التعليمي الحالي. ومن نتائج حفرية هذا الموقع الأنموذجي موجودات حضارية حجرية وعظمية (لحيوانات وأسماك ورخويات) علاوة على فخاريات ذات زخارف متموجة (Wavylines)) تمثل السمة المميزة لهذه الحضارة والتي وجدت مستوطنات تشابهها في العشرات من الأماكن المتباعدة جغرافيًا ، شملت وادي النيل ومنطقة البحيرات الاستوائية وشمال إفريقيا وغربها. وربما كان ذلك بدواعي اتصال حضاري مباشر أو غير مباشر، حيث إن الظروف الجغرافية المطيرة في عصر الهولوسين كانت مؤاتية للتنقل والتداخل الحضاري عبر بقاع شاسعة. وكان القاسم المشترك لهذه المستوطنات المنتمية لحضارة الخرطوم الباكرة هو اشتراكها في

قيم ومفاهيم جمالية عبرّت عن نفسها بصورة جلية في نماذج مميزة من صناعة الفخار وزخرفته بطرز متفردة أبرزها الطراز ذو الزخرفة المتموجة المتصلة . وهذا التجانس القيّمي والجمالي يعضد فرضية مؤداها أن هذه المستوطنات المتباعدة الأطراف تمثل أنموذجًا لمنطقة ثقافية مشتركة بؤرتها إقليم الخرطوم خلال المرحلة المتأخرة لحقبة ما قبل التاريخ في إفريقيا(خبير2005:10-11).

وأكدت لنا حفرية موقع السروراب – 2 (قرية الباعوضة) عام 1978م والتي أشرف عليها كاتب هذه المساهمة وبالدليل اليقيني أن أقدم صناعة للفخار في إفريقيا قد بدأت في أم درمان قبل ما يزيد عن عشرة آلاف عام من الوقت الحاضر (165B.C+Cal. 8625.).

وقد قام بمعايرة Calibration التاريخين(+7380_90ق.م؛+7420_80 ق.م) (380-Khabir1987:377) المعطاة للموقع وهما لعينات فحم حجري من المربع رقم27 للطبقتين الثالثة والخامسة على التوالي الأستاذ الدكتور أزهري مصطفى صادق(أستاذ الآثار بجامعة الخرطوم) بجامعة كولون(المانيا)(معلومة مبلغة شخصيًا) (لوحة:1-1-3) .وعثر على فخاريات في كل من موقع جبل أم مرحي بشمال أم درمان(Elamin and Mohammed 2004:97-110-Ali) والسقاي في الضفة الشرقية لنهر النيل Caneva 1983:149)) ذات تواريخ شبيهة وإن كانت تقل بدرجة ملحوظة عن موقع السروراب 2- في أواسط البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من مواقع العصر الحجري الحديث(4500-3200 ق.م) في شمال أم درمان (إسلانج ، النوفلاب ووادي سيدنا) وجنوبها(الصالحة) تم الكشف عنها خلال العقدين الماضيين.(Khabir 2008:33-42 Salvatori et al 2014:243-270and)

المجموعات النوبية و ممالك كوش:

تشير الكشوفات الآثارية بشمال أم درمان إلى أدلة لحضارات يرجع بعضها إلى الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد. فهناك مواقع لمستوطنات ومدافن بجزيرة إسلانج والنوفلاب والباعوضة(Khabir2008:33-42) عثر فيها على أدوات حجرية وعظمية وفخاريات وخرز ومشغولات من الألباستر (المرمر) والزجاج لها ما يناظرها في حضارات المجموعات النوبية) (A&C(3900-1500 ق.م) بشمال السودان وجنوب مصر، فضلًا عن حضارات كوش (كرمة ونبته ومروي) (2500 ق.م- 350م)(Hakem1979:151-155).

ولعل من المظاهر اللافتة للانتباه في تنقيبات شمال أم درمان الأعداد المهولة من

الجبانات ومقابر التلال((Tumuli التي تعود للفترة المتأخرة لما بعد مروي والعصور الوسطى المبكرة (350-543م). وأطلق نفر من علماء الآثار على الموجودات الحضارية لهذه المقابر التلية «ثقافة تنقاسي» نسبة إلى الموقع الأنموذجي لهذه الثقافة الذي يقع على بعد 400 ميل في شمال السودان. ويربو عدد المقابر التي تؤرخ لـ «ثقافة تنقاسي» على أربعة آلاف تل أثري. وتتعدى هذه المقابر منطقة شمال أم درمان بمختلف الاتجاهات. ففي جنوب أم درمان أجرى باحث الآثار السوداني الرائد عبد الرحمن آدم (رحمه الله) حفريات جنوب منطقة الفتيحاب (العشرة) بالاشتراك مع الآثاري البريطاني كنيث مارشال. ونشر تقرير عن هذه الحفرية بمجلة الآثار السودانية (كوش – Kush) ، العدد الأول عام 1953م(46-Marshal and Adam1953:40). وعثر على ما يماثل هذه المقابر التلية في كل من الهوبجي بالقرب من شندي وتنقاسي على مقربة من كريمة. ومن أهم سمات هذه المقابر أنها دائرية الشكل يعلوها الحصى والتراب من الخارج. ويبرز المخطط الداخلي لهذه المقابر أنها على هيئة حدوة الحصان (Horse-Shoe) . ووجدت بداخلها هياكل عظمية لأفراد من مختلف الأنواع (الجندر) والأعمار وكلهم من عامة الناس. ويلحظ أن المتوفى يوضع بشكل ممدد (Extended) في أغلب المدافن. أما المقابر التي يوضع فيها المتوفى جاثمًا بإنحناءة(Crouched) فهي نادرة. ويضم الأثاث الجنائزي الأواني الفخارية وخرز الفيانس الأزرق وخرز قشرة بيض النعام والأسورة البرونزية ورؤوس السهام الحديدية ودبابيس الصيد والآنية والأدوات الزجاجية وغيرها. ولوحظ أن نذرًا يسيرًا من المقابر التي تنسب لـ «ثقافة تنقاسي» ذات شكل يشبه الطوة(المقلاة) أو بيضاوي له ما يماثله في حضارة البان قريف (Pan-grave) في النوبة السفلى قبل ما يزيد عن 1500 سنة خلت(154-ibid:152).

وباجالة النظر في عادات الدفن الجنائزية التي وجدت في المقابر التلية يلحظ أنها ترجع للفترة المتأخرة لحضارة مروي وما بعدها في شمال أم درمان (موقع أم مرحي نموذجا).وقد عرفت سابقا بأسماء متعددة منها «تلال فخار علوة؛حضارة تنقاسي؛شبه المروية وما بعد مروي(38-El-Hassan2006:15)(لوحة:4).ونلحظ أنها متماثلة بدرجة كبيرة مع تلك التي تم التعرف عليها في شمال كردفان وفي المنطقة الممتدة من نبتة إلى ،الخرطوم، الجزيرة فسنار وجبل موية (إقليم النيل الأزرق)، فضلًا عن تشابهاتها التي لا تخطئها العين مع المعثورات الحضارية لذات الفترة التاريخية على امتداد إقليم النيل

الأبيض. وقد أدى ذلك إلى افتراض إنها تمثل مجموعة ثقافية واحدة عادة ما توصف بـ «ثقافة تنقاسي» (Hakem1979:154-155)(لوحات:5-6).

عهد الممالك المسيحية:

وبنهاية مملكة مروي (350م) استمر نموذج الدولة الثيوقراطية (Theocratic-State) في السودان القديم متمثلًا في ظهور الممالك المسيحية الثلاث(543-1504م) ، نوباتيا في أقصى الشمال وتمتد من أسوان إلى قرب الشلال الثالث وعاصمتها فرس، والمغرة التي تحتل المنطقة الممتدة من قرب الشلال الثالث إلى الأبواب (كبوشية) وعاصمتها دنقلا العجوز في حين أن مملكة علوة وعاصمتها سوبا جنوب الخرطوم تشمل منطقة شاسعة تمتد من الأبواب شمالًا إلى القطينة على النيل الأبيض جنوبًا كما ضمت أجزاء من عطبرة والنيل الأزرق حتى الحدود الإثيوبية وبعض جهات كردفان. ورغم أن المملكة الأخيرة قد ازدهرت لفترة طويلة نسبيًا مقارنة بمملكتي الشمال واستمرت إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي وكانت منطقة أم درمان في.حوزتها، إلا أننا لم نجد أثارًا مادية بأم درمان تنسب لها. ولا ندري وضعية أم درمان في عهد مملكة علوة المسيحية. ومن جهة أخرى ، فإن تنقيبات قسم الآثار بجامعة الخرطوم منذ منتصف السبعينيات الماضية تشير إلى أن منطقة شمال(جبل أم مرحي) وغرب (جبل القيسي) أم درمان تعج بآلاف المقابر(تربو على 4000 مقبرة).وما تم تنقيبه منها لا يزيد عن الـ200 مقبرة. وتومئ أشكال هذه المقابر(دائرية وبيضاوية) وأثاثها الجنائزي (فخار، أدوات زينة وأسلحة) إلى صلات ثقافية وحضارية بشمال السودان (فرس، تنقاسي، شندي) ,وغربه (شمال كردفان) والجزيرة والنيل الأزرق(جبل موية),وتؤرخ إلى الفترة المتأخرة من العهد المروي ربما تصل إلى القرن الخامس الميلادي(.ibid).

العصر الإسلامي: مملكة الفونج.

تكاد السجلات التاريخية والأعمال الآثارية تخلو من معلومات عن عاديات بارزة بأم درمان تؤرخ لمملكة الفونج (السلطنة الزرقاء)(1504-1821م).غير أن هناك مسجدًا أثريًا بقرية التسعين شمال أم درمان بحوالي35 كيلومترًا يعتقد أن عمره يطال خمسمائة عام(Ahmed2010:1130)، أي بني في مطلع عهد دولة الفونج(لوحة:7).

ونلحظ أن الآثار الإسلامية على هيئة مساجد وقباب وأضرحة كانت شاخصة للعيان

في منطقة الخرطوم في ذلك العهد. ويجدر التنويه إلى أن مدينة الخرطوم قد نشأت في فترة دولة الفونج بواسطة شخصيات إسلامية من الفقهاء ورجال الطرق الصوفية من أبرزهم الشيخ أرباب بن علي بن عامر بن أصبح (أرباب العقائد(كما تشير إلى ذلك مخطوطة كاتب الشونة(أحمد بن الحاج أبوعلي1961:124). وبنى هذا الشيخ مسجدا بوسط الخرطوم في القرن السابع عشر الميلادي وتوفي بمدينة سنار عام 1691م.وفي عهد الحكم الثنائي(الإنجليزي-المصري) أعاد الملك فاروق الأول بناء المسجد الذي عرف لاحقا بإسمه .وهو أقدم مسجد في مدينة الخرطوم حاليا.وتوجد بالخرطوم العديد من القباب والأضرحة لمجموعة من الفقهاء في هذا العهد منهم الشيخ إدريس ود الأرباب، الشيخ خوجلي أبوالجاز، الشيخ جميل بن محمد، الشيخ حمد ود أم مريوم، الشيخ عبدالرحمن الخرساني والشيخ محمد فايت(انظر الصادق2009:13-24).

العهد التركي- المصري:

نمت المدينة السودانية خلال العهد التركي-المصري (1821-1885م) بشكل ملحوظ ليس فقط باعتبارها مركزا للبلاد إنما بإعتبارها أيضا ظاهرة ملازمة لتطور النشاط الإقتصادي والاجتماعي والسياسي في مرحلة تاريخية معينة. وارتبطت المدينة في ظل الحكم الأجنبي بالسلطة المركزية وبالطابع العسكري فأضفت عليها الصفتان طابعا سلطويا قهريا.ونِشأت الخرطوم كعاصمة إدارية عام 1823م .وانتعشت كمركز تجاري مرتبطا بطرق القوافل. وأصبحت تجارتها تعادل تجارة جميع أقاليم السودان(القدال2002 .(122-120:وتتالى عمران الخرطوم خلال أيام التركية حيث مر بأربع مراحل. ففي المرحلة الأولى أعيد بناؤها على موقع يختلف يسيرا عن موقعها في عهد دولة الفونج. وفي المرحلة الثانية بنيت العديد من الدور الحسنة في الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. أما المرحلة الثالثة فقد شهدت تطور المواصلات فيها كما جلبت البواخر النيلية. وفي المرحلة الرابعة تسارعت وتيرة بناء الدور الفارهة بالطوب الأحمر وشيدت الحدائق الغناء لسكانها من الحكام والجاليات الأجنبية والأعيان(العطا 2018:155-163). وبرز العمران متمثلا في الأبنية الحكومية والمساجد والأضرحة والقباب بوسط الخرطوم شمال شارع البلدية(شارع عباس سابقا) وشرق شارع القصر الجمهوري(شارع فكتوريا سابقا)(الصادق، مرجع سابق:58-62). وبرغم هذا العمران الحديث في الخرطوم وقتذاك، لا نجد له نظيرا بأم درمان طوال العهد التركي-المصري الذي استمر ما ينيف عن ستين عاما. وتشير نتائج

تنقيبات جامعة الخرطوم أن أم درمان كانت قبل عهد المهدية(انظر أدناه) تتكون من العديد من القرى المتفرقة. وتخصصت في صناعة الصابون وصبغة النيلة الزرقاء(Indigo blue) التي تستخدم في تلوين االثياب. كما وأنها ظلت مركزا مهما للقوافل وتجارة العبور خلال تلك الفترة. ومما ساعد على ذلك وقوعها في ملتقى طرق تمتد من الجنوب للشمال والغرب باتجاه وادي النيل وتواصل المسير شمالا...درب الأربعين، فمسالك عبور صحراء بيوضة والطرق النيلية(البرية والنهرية)(Hakem.Op.cit:151). ومن الآثار المعمارية لهذه الفترة قبة الفكي الأمين بجزيرة إسلانج على بعد 24 كيلومتر شمال أم درمان. فقد بنيت على النمط الفونجي. وقام هذا الفقيه بدور كبير لدعم الثورة المهدية إبان حصار المهدويين للخرطوم عام 1885(Ahmed2010:1127-1128) (لوحة:8).ومن آثار هذه الحقبة مسجد بقرية الشيخ الطيب على بعد 30 كيلومترًا شمال أم درمان وعلى مقربة منه توجد آثار لخلوة قديمة. وهذه القرية للشيخ أحمد الطيب السماني أحد أبرز الفقهاء الذي تتلمذ عليهم الإمام محمد أحمد المهدي في منتصف القرن التاسع عشر(Ahmed.Op.cit:1130).

عهد دولة المهدية:

خلال هذا العهد (1885-1898م) أصبحت أم درمان عاصمة الدولة الجديدة بعد أيام قليلة من سقوط الخرطوم التي كانت في رأي الإمام المهدي عاصمة الترك وهو يود أن يمسح كل أثر بغيض لهم في البلاد. وبدأت أم درمان كمعسكر حربي وإتسعت لاحقا لتصير كبرى مدن البلاد وحاضرة الدولة المهدية (القدال، مرجع سابق:228).

تم التعرف على عشرات الآثار المعمارية التي تعود لعهد المهدية وتشمل القباب والأضرحة والمساجد والأبنية المدنية والعسكرية. ومن أبرزها:

- قبة الإمام محمد أحمد المهدي: بنيت على طراز قباب الأتراك(غرفة مربعة تعلوها قبة) ودفن بها في22 يوليو1885م(لوحة:9).
- وهناك قبة الشيخ حمد النيل بشمال أم درمان التي بنيت من الطين وأعيد بناؤها لاحقا(1965م)على طراز حديث(الصادق200963-64 :).
- بيت الخليفة: وهو مسكن خليفة المهدي عبدالله بن السيد محمد(تورشين) وفي نفس الوقت كان مقرا للحكم. يتكون البيت من طابقين .وتم بناؤه بالطوب

الأحمر المجلوب من أطلال مدينة سوبا المسيحية. وأشرف على تشييده مهندس معماري إيطالي يدعى «بيترو» وتحول حاليا إلى متحف قومي يزار(الصادق، مرجع سابق34:2006-35)(لوحة:10).

- مسجد الخليفة: بني من الطوب المحروق(الأحمر) بعد أن كان مبنيا من الطين عند بنائه الأول. وقد طلي بالجير الأبيض. وشارك الخليفة عبدالله مع قواده في بنائه. وكانت تمارس فيه الصلاه والتعليم الديني. كما كان يقرأ فيه راتب الإمام المهدي إضافة إلى تعليمه للصبية القراءة وحفظ القرآن الكريم(الصادق، مرجع سابق200926:).
- سور الملازمين: ويحيط بمدينة أم درمان القديمة(الملازمين). وتبقى جزء منه صغير شرق حي الملازمين(لوحة:11).
- بيت الأمانة(دار الرياضة بأم درمان حاليا): مبنى مستطيل الشكل يقع جنوب بيت خليفة المهدي, بني من الحجر النوبي الرملي واستعمل تراب أم درمان كمونة رابطة وأسواره عالية وسميكة. وتم ترميمه عدة مرات(لوحة:12).
- بوابة عبدالقيوم: وهي آخر بوابات العهد المهدوي.وكانت متصلة بالسور الذي يحيط بأم درمان القديمة على الرأس الشمالي(لوحة:13).
- الطوابي: وتعتبر من أهم الاستحكامات الدفاعية التي بناها خليفة المهدي للدفاع المباشر عن العاصمة(أم درمان) واستعدادا لمعركة كرري الفاصلة ضد حملة كتشنر التي أعدت لإسترجاع السودان لدائرة الحكم الأجنبي عام 1898م. وتعتبر الطابية من أصغر المباني العسكرية، بنيت من الطوب الأحمر والحجر للحماية والدفاع. وتتكون من مبنى ذي تفاريج (فتحات) تستخدم بواسطة الجنود الموجودين فيها. ويتدرج شكلها نحو الصغر حتى تصبح مثل التل الترابي ذي الفتحات. ويتراوح قطرها بين (28-30 مترا) وتبعد بحوالي (100-150 مترا) من النيل(المرجع نفسه:238-240)(لوحة:14).

خاتمة:

ومما سلف إيراده ، من الواضح أن ثمة صلات ثقافية وحضارية بادئة للعيان بين مختلف المجموعات السكانية التي قطنت السودان القديم (كوش) منذ آجال موغلة في القدم. وتاريخ أم درمان الحضاري كما كشفت عنه المعثورات الأثرية ذو صلة وثيقة العُرى بالعديد من أجزاء السودان القديم. وتومئ كل الشواهد الأثرية المتوفرة إلى قواسم حضارية مشتركة في العادات والتقاليد والفنون لسكان هذا القطر المترامي الأطراف. وهذه الخاصية الفريدة لا تجترحها إلا أمة تشعر بتمايز عن غيرها من الأمم. وهذا لا يتأتى بالطبع إلا ببلوغ الحد الأدنى من التجانس الثقافي والحضاري الذي يسمح بوجود كيان معنوي جدير بأن ينعت بـ «الشخصية القومية»، بغض النظر عن الولاءات العرقية والجهوية والعقدية. وهذا ما كان من شأن مدينة أم درمان، السودان المصغر منذ عشرات القرون.

الهوامش

أ /المراجع العربية:

(1) أبوعلي،أحمد بن الحاج 1961.مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارية المصرية(تحقيق الشاطر بصيلي)،الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة.

(2) العطا ، رشا حسن.نشاة وتطور مدينة الخرطوم: دراسة آثارية-بيئية.رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بحري.

(3) الصادق، صلاح عمر2006.دراسات سودانية في الآثار والفولكلور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم.

(4) الصادق، صلاح عمر2009.الآثار الإسلامية في منطقة الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم.

(5) القدال، محمد سعيد 2002.تاريخ السودان الحديث 1820-1955م، مركز عبدالكريم ميرغني، أم درمان(الطبعة الثانية).

(6) خبير، عبدالرحيم محمد2005.المنجزات الفكرية والتقنية للحضارة السودانية. مجلة جامعة جوبا للآداب والعلوم، العددالرابع، يوليو20058:22-.

(7) ضيف الله، محمد النور1984.كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان(تحقيق وتعليق وتقديم يوسف فضل حسن) (الطبعة الثالثة(، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع.

ب / المراجع الأجنبية:

(8) Ahmed,S.B.2010.The Archaeological and Ethnographical Reconnaissance in the Sabaloka Area(Western Bank of the Nile,North of Omdurman District).Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the12th International Conference for Nubian Studies(eds.J.Anderson& D.Welsby).Belgium:11251133-.

(9) .Arkell,A.1949.Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan,Khartoum.

(10) .Arkell,A.1949.Early Khartoum.Oxford University Press,London 11.Arkell,A,1953. Shaheinab. Oxford University Press.London

(11) Caneva,I.1983.Pottery Using Gatherers and Hunters at Saggai1(Sudan):Preconditions for Food Production.OriginiX11. Rome.

(12) .Elamin,Y. and Mohammed-Ali Abbas 2004."Umm Marrahi :An Early Holocene Ceramic site north of Khartoum(Sudan)",Sahara vol.15:97110-

(13) 14.El-Hassan,A.2006.Jebel Um Marrihi:Post- Meroitic and Early Medieval Site (c.325650-A.D.) in Khartoum Province(Sudan). Adumatu 13:1538-.

(14) Hakem,A.M.1979."University of Khartoum Excavations at Sarurab and Bauda ,North of Omdurman",Meroitica5:151155-.

(15) .Khabir,A.M.1981.Neolithic Ceramics in the Sudan,With Special Reference to Sarurab2.Unpublished M.A.thesis,University of Khartoum.

(16) .Khabir,A.M.1987."New Radiocarbon dates for Sarurab2 and the age of the Early Khartoum tradition" ,Current Anthropology28:377380-.

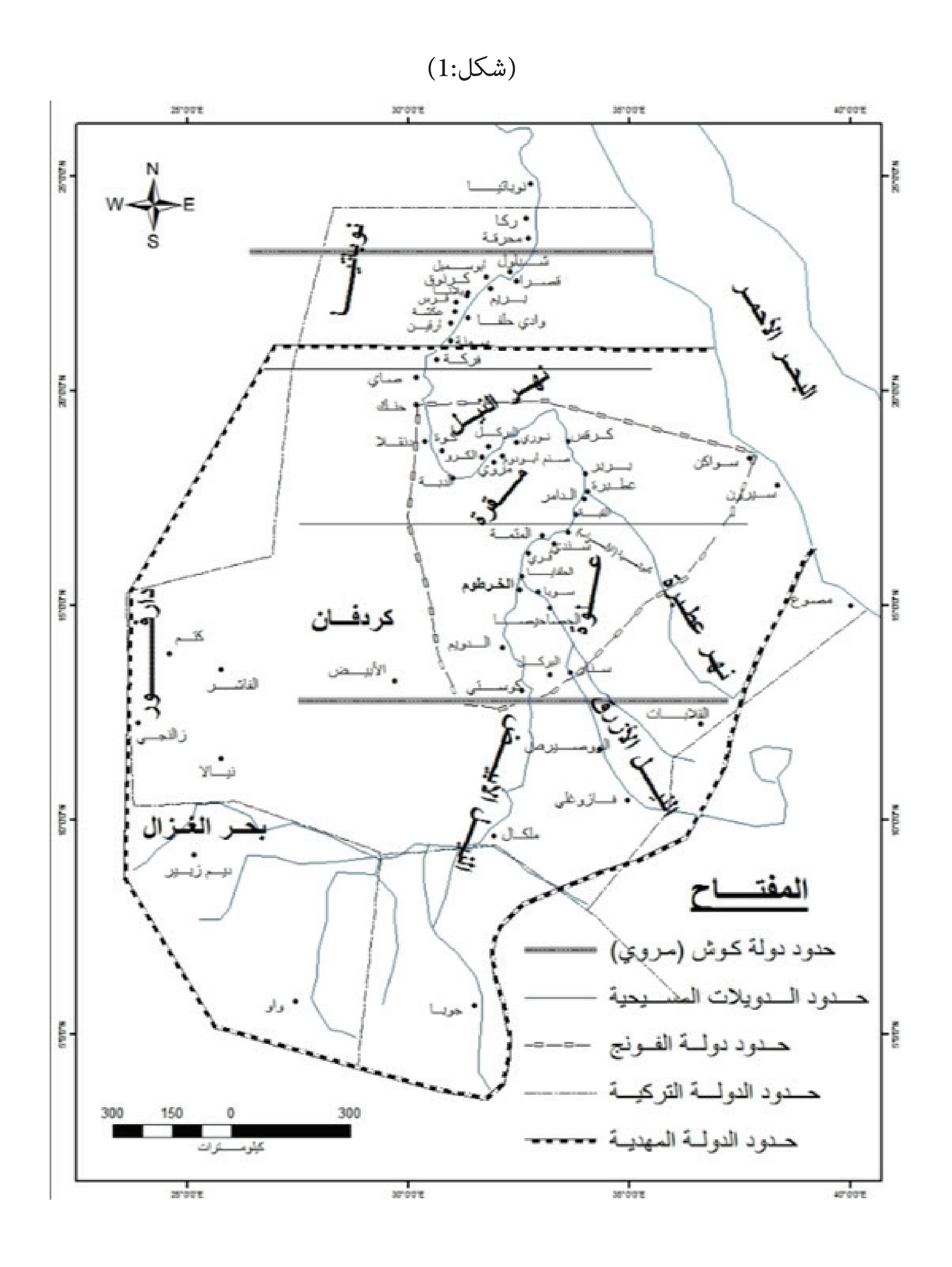
(17) .Khabir,A.M.2008."Physico-Chemical Analysis of Neolithic Pottery from Central Sudan",Adumatu 17:3342-.

(18) .Marshal,K. and A.Adam 1953."Excavation of a mound grave at Ushara",Kush1:4046-.

(19) .Salvatori,S. et al.2014."Archaeology at El-Khiday :New insight on the Prehistory and History of Central Sudan". Fourth Cataract and Beyond,Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies(eds. :J.Anderson& D.Welsby) Belguim:243257-

(20) أم_درمان / .https://ar.wikipedia.org/wiki 10

(شكل:1)


N
W
E
S
البحر الأحمر
نهر النيل
كردفان
الخرطوم
بحر الغزال
سواكن
مصوع
الأبيض
الفاشر
كتم
نيالا
زالنجي
ديم زبير
كوستي
الدويم
سنار
الروصيرص
ملكال
جوبا
واو
وادي حلفا
دنقلا
مروي
الدامر
عطبرة
بربر
المفتاح
حدود دولة كوش (مروي)
حدود الدويلات المسيحية
حدود دولة الفونج
حدود الدولة التركية
حدود الدولة المهدية
300 150 0 300
كيلومترات



(لوحة:1) منظر للقطاع الشرقي من مربعات حفرية موقع السروراب2:شمال أم درمان



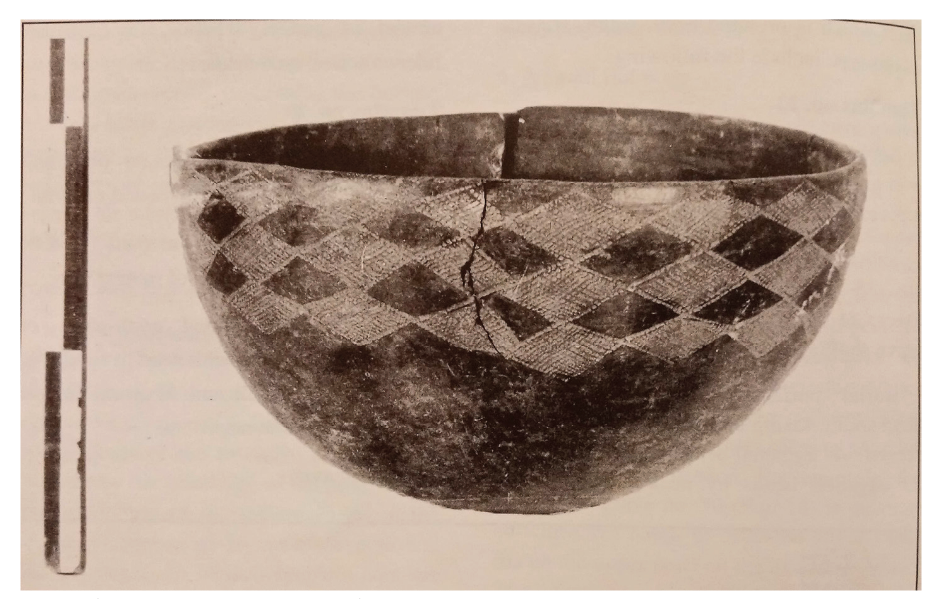
(لوحة:2) نماذج لكسر فخار من العصر الحجري الوسيط بشمال أم درمان،غرب النيل.



(لوحة:3) كسر فخار من العصر الحجري الحديث بشمال أم درمان، غرب النيل.



(لوحة:4) مقبرة تلية(M52) خلال حفرية موقع جبل أم مرحي(ع):الفترة المتأخرة لما بعد عصر دولة



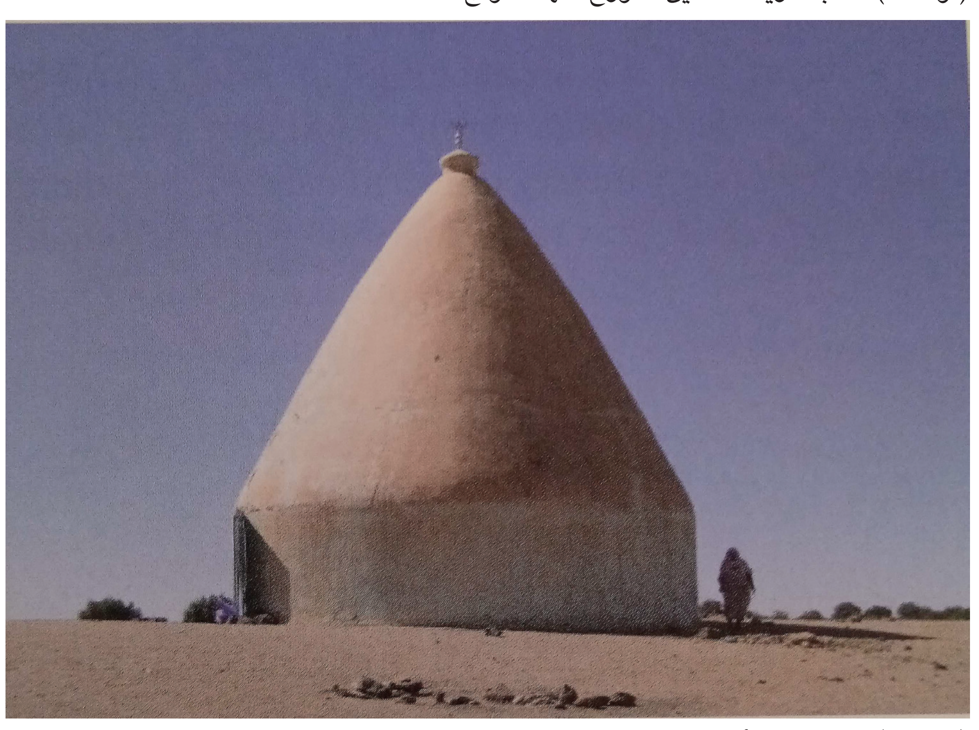
(لوحة:5) طاسة نصف كروية سوداء لامعة مزخرفة بحزوز أشكال هندسية ملئت بصبغ أحمر، موقع جبل أم مرحي المقبرة رقم "70".



(لوحة:6) تميمة لحتحور بتزجيج أخضر: المقبرة نمرة22:موقع جبل أم مرحي.



(لوحة:7) مسجد قرية النسعين المؤرخ لعهد الفونج.



(لوحة:8) قبة الفكي الأمين في جزيرة إسلانج، العهد التركي-المصري.



(لوحة:9) قبة الإمام محمد أحمد المهدي.



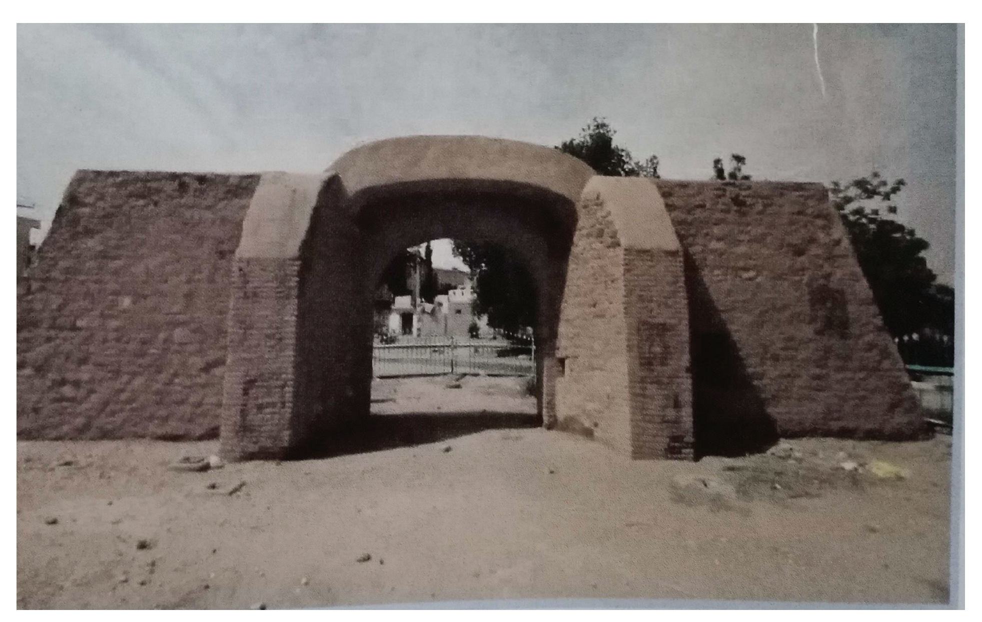
(لوحة:10) منظر جانبي من بيت الخليفة عبدالله.



(لوحة:11) سور الملازمين بأم درمان.



(لوحة:12) بيت الأمانة (دار الرياضة بأم درمان حاليا)



(لوحة:13) بوابة عبدالقيوم.



(لوحة:14) طابية الملازمين بأم درمان

الفصل التاسع

التطور الاجتماعي الاقتصادي لمدينة المناقل

التطور الاجتماعي الاقتصادي لمدينة المناقل

د. آمال جاد الرب علي فضل المولى

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا – كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

مقدمة:

إن الإنسان على مدى تاريخه لا يعيش منفردًا بل يعيش في شكل جماعات بفعل العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي تساعده على التفاعل مع الأرض في كافة مستوياته الحضارية ومن ثم يعكس منجزاته الثقافية. فالقرية تاريخيًا أقدم من المدينة وكثير من المدن تطورت عن أصول قروية، ونشأة المدن الأولى ارتبطت بزيادة إنتاج الأرض وارتبطت نشأة المدن التجارية بنشاط العمران المدني وزيادة مطالب الإنسان فيما يتصل بالحاجات الضرورية كالغذاء والملبس والصناعة وقامت هذه المدن بدور الوسيط التجاري بين مدن العالم باستغلال موقعها الجغرافي في ترويج تجارتها وزيادة ثروتها(1).

ففي المدن القديمة كانت حياة الأفراد في القرون الأولى عبارة عن قبائل تبنت نمط الترحال فجوانب المناخ والصيد والمرعى تتحكم في استقرار هؤلاء الأفراد وتركزهم في هذه المنطقة دون غيرها، بعدها جاءت المستوطنات البشرية التي تعتمد على الزراعة حلت محل الترحال ثم تطور الإنتاج وزاد حجم السكان وتطورت الخدمات ثم الصناعة (2).

مدينة المناقل منذ تاريخها شهدت تحولات سياسية وحضارية بفعل العوامل الطبيعية والبشرية، بيئتها تعتبر من أكثر البيئات الجغرافية تغييرًا تنمويًا لما أحدثه إنسان المنطقة من تطور اجتماعي واقتصادي، فهي تشكل نموذجًا صنعيًا لإنسان المنطقة بنفسه.

مشكلة البحث:

شهدت مدينة المناقل نقطة تحول حضاري واضحة منذ بداية تاريخ نشأتها حتى الآن واستمدته من الكثافة العمرانية لريفها الذي نما حولها ومن ثم قيام مشروع المناقل، كذلك العوامل الطبيعية والبشرية ساهمت في تطورها اقتصلديًا واجتماعيًا فأصبحت

ذات حجم سكاني كبير أسهم يدوره في تطور المدينة. تدور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

1/ ما هي العوامل الحضارية التي أدت إلى بداية نشأة مدينة المناقل؟

2/ ما العوامل الطبيعية والبشرية التي ساهمت في جذب الكثافة العمرانية بالمنطقة وما دورها في تطور مدينة المناقل؟

3/هل لعب مشروع المناقل دورًا واضحًا في تطور مدينة المناقل اقتصاديًا واجتماعياً؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث في الآتي:

1/ شهدت مدينة المناقل نقلة حضارية منذ بداية تاريخ نشأتها القديم منذ الفترة النوبية وما بعدها وتركت فيها أثرًا اجتماعيًا واقتصاديًا واضحًا لم يتناوله المؤرخون، كما أن المدينة شهدت طفرات في النمو الحضري وفي الصناعة والتجارة فهي نموذج فريد من المدن التي تقع في الوسط في السهول بين النيلين لم تنل حظًا وافرًا من الدراسات.

2/ إلقاء الضوء على التطور الحضاري والاجتماعي والسكاني الكبير بالمدينة لتحفيز وتشجيع المستثمرين للاستثمار في البنية التحتية والمجال الاقتصادي لما لها من موارد اقتصادية في الإنتاج الزراعي الناجح.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1/ مناقشة أسباب نشأة مدينة المناقل.

2/ تحليل دور العوامل الطبيعية والبشرية في تطور مدينة المناقل.

3/ معرفة تطور حجم سكان مدينة المناقل.

4/ مناقشة التطور الاقتصادي الاجتماعي بمدينة المناقل.

5/ تقديم التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في تذليل عقبات التطور بمدينة المناقل.

الفرضيات:

1/ شهدت مدينة المناقل نهضة حضارية منذ تاريخ السودان القديم فكانت جاذبة للسكان منذ القدم ومرد ذلك لعوامل البيئة الطبيعية والحضارية الملائمة في المنطقة.

2/ للعوامل الطبيعية دور كبير في النشاط الزراعي والرعوي بالمنطقة فجذبت مراكز العمران بكثافة حول مدينة المناقل مما أسهم في نشأة وتطور المدينة.

3/لعب مشروع المناقل دورًا واضحًا في الاقتصاد الزراعي والرعوي ما أدى لتطور الوضع الاقتصادي ولاجتماعي بمدينة المناقل وجعلها المدينة المسيطرة في إقليمها بصورة ظاهرة.

منهجية البحث:

استخدم البحث مناهج متعددة تتمثل في:

1/المنهج التاريخي استخدم لدراسة التطور الحضاري لمدينة المناقل. كمااستخدم في رصد تطورها الاقتصادي والاجتماعي.

2/ المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف وتحليل نشأة مدينة المناقل وعوامل التطور الاقتصادي والاجتماعي للمدينة ووصف وتحليل حجم سكانها.

3/ استخدام المنهج التحليلي الكمي في التحليل الكمي لسكان المدينة وخدماتها واقتصادها.

طرائق البحث وأدواته:

تشتمل طرائق البحث وأدواته على الآتي:

أ/ المعلومات الثانوية:

تم جمع المعلومات الثانوية من المصادر المكتبية، من الكتب والمصادر العلمية بالمكتبات بولاية الخرطوم التي لها علاقة بموضوع البحث مثل جغرافية المدن والسكان والاقتصاد بصفة عامة .

ب/المعلومات الأولية:

تم جمع المعلومات الأولية من العمل الميداني لجمع الإحصاءات من مكاتب مدينة المناقل ورئاسة مشروع المناقل والجهاز المركزي للإحصاء ومكتبة وزارة الصناعة.

حدود البحث:

تتمثل الحدود في الحدود المكانية لمدينة المناقل، التي هي واحدة من محليات ولاية الجزيرة المتعارف عليها، هي جزء أساسي من إقليم المناقل الذي يقع فيه مشروع المناقل الزراعي، بينما يغطي الإطار الزمني للبحث منذ نشأة مدينة المناقل - 2015 م.

التطور الحضاري التاريخي لمدينة المناقل:

للعوامل التاريخية دور كبير لا يمكن تجاهله في نشأة المحلة العمرانية ونموها وتطورها فإن التاريخ يمدنا بتعريف وافٍ للمدينة عن دورها في التاريخ وفهو من الضروري لفهم النمو العمراني ويمكن أن يميز المدينة من القرية خلال الآثار التاريخية[3].

واكب إقليم المناقل مختلف الحضارات إن كان التاريخ لم يؤرخ لها، فهي تجسد تاريخ حضارتها وتعبر عن ذاكرة أمتها بأحداثها وثقافتها بأثارها المادية التي توضح بأن المنطقة كانت مسكونة منذ القدم غنية بإرثها الحضاري ومايتوارثه إنسان المنطقة أباً عن جد عن هذا التاريخ ويمكن أن نتناول ذلك كما يلي:

1/ الفترة النوبية:

يرجع تأريخ المنطقة إلى حوالي خمسة قرون، ومن أقدم القرى فيها قرية كوقيلا قرية الدسيس (أسماء نوبية) وتليها قرية عتقي وبها مقابر أثرية تعود إلى عهد مملكة علوة المسيحية في السودان.كما تنتشر فيها مقابر أثرية قديمة خاصة في قرية الركل الواقعة بين مدينة المناقل وجبل موية والتي تعود إلى عهد مملكة علوة، هنالك كثير من الآثار النوبية بالمناقل انطمست معالمها بعامل المناخ والنقلة الحضارية للمشاريع التنموية،كما يوجد بين سكن الأهالي أديرة تحمل مسميات نوبية متوارثة أبًا عن جد، جميعها توجد وسط المزارع تخرج منها حلي ملونة (يطلق عليها الأهالي السوميت) وكذلك الأواني الفخارية المكسرة.

أشار المؤرخ يوسف فضل إلى أن العرب تدفقوا في أعداد كبيرة في علوة حتى غلبوا أهلها على أمرها بعد ما أصاب سبع مقاطعات الضعف ليس من بينها سوبا وهي دانغو،أرين، نافيل، كرسي، بارا،وكدرو والأنج أوالعنج الذين هم في سهول الجزيرة[4] وهنالك كثير من الأديرة القديمة في إقليم المناقل يطلقون عليها دار العنج ومن بينها مدينة المناقل.

2/ فترة السلطنة الزرقاء:

لعبت مدينة المناقل في عهد الفونج 1504-1821م دورًا إداريًا وسياسًيا كبيراً، فالملك نايل كانت إدارته بمنطقة المناقل وأحفاده الآن بحي دار نايل بمدينة المناقل وود الشقل، ودكين العادل ود نايل إدارته تمتد من غرب المسلمية (حتى غرب الجزيرة بما فيها مدينة المناقل) اتسم بالعدل والرخاء والأمن من الخوف والسرقات والنهب واشتهرت المنطقة بكمل نومك انحصر هذا الاسم في قرية كمل نومك بوحدة الكريمت كما يتضح من الرواية الشفهية المتوارثة أبًا عن جد أن الشيخ عزالدين النفيع وضح أن اسم المناقل في هذه الفترة جاء من كلمة(مناجل) وهو جمع يرمز إلى أهل السلطة هم الأنجل في دولة الفونج ويعلل ارتباط تسميتهم بهذا المكان لقدومهم إليه من سنار لقضاء فترة الصيف وذلك لارتفاع المكان وجودة هوائه وقلة الحشرات فيه مقارنة بسنار، وقد قيل بأن المكاتبات الرسمية للمملكة السنارية تتم في هذا المكان تحمل أختامها اسم المناجل، الأنجل أصل مقر سكنهم في (دار نايل) وهذا يسهل مهام العاصمة المتنقلة، وما تؤديه من مهام إدارية في هذا الموقع الجغرافي لأهميته البشرية والاقتصادية والسياسية، هذا يشير إلى أن مدينة المناقل كانت من ضمن العاصمة السنارية المتنقلة لم تكن بها مبانٍ ثابتة.

كانت قرى المنطقة في هذه الفترة نشأت في شكل فرقان صغيرة متناثرة ومتباعدة تفصل بينهاغابات وتتجمع حول مصادر المياه المتمثلة في الحفائر والآبار، مسكنها من القش مسورة بأغصان الأشجار وتضم بطونًا من القبائل الرعوية التي تمتلك حرفة الزراعة المطرية إلى جانب الرعي، كانوا غير مستقرين يرتحلون ما بين النيلين الأبيض والأزرق، وبصفة عامة كانت بالمنطقة أنشطة محدودة ذات قاعدة اقتصادية ضعيفة.

كان سلاطين دولة الفونج يعتقدون في صلاح أولياء الله ويهرعون إليهم للمشاورة وقامت العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة وملوك الفونج للنفوذ الروحي الذي كان يمارسه المتصوفة على الملوك، وكان سلاطين الفونج يحسبون لهم حسابًا ويقطعون لهم الأرض، وكانوا يستمعون لنصائحهم نسبة لالتفاف السكان حولهم ومكانتهم الروحية العالية لدى السكان، ولذلك اعتمد عليهم في تأثيرهم الروحي الذي يخدم مصالح الحكام والدولة(5).

تأثرت منطقة المناقل التي هي من سهول الجزيرة بالموجات العربية، وبدأ فيها الاستيطان بسبب الوجود القبلي في عهد الفونج بكثافة بما فيهم رجال الطرق الصوفية،

وكان لتشجيع السلاطين والملوك للعلماء والمتصوفين على الهجرة إلى السودان أثر في الحياة الثقافية والهوية السودانية، ويعتبر التصوف أحد أهم مكونات الثقافة في السودان ومدينة المناقل لها نصيب من ذلك بعد الاستقرار فانشأوا فيها مستوطنات ذات صبغة دينية، فمدينة المناقل تضم أقطاب ورموز الصوفية في السودان ومنهم من وردت أسماؤهم في كتاب الطبقات لود ضيف الله[6] الذين لهم دور في تأسيس مدينة:

- محمد عبودي: درس الرسالة في مكان أبيه، كثير الشفاعة عند الملوك دفن بعبودي وقبره يزار بمدينة عبود التي تقع شرق مدينة المناقل وتبعد عنها (15كلم) تتبع لوحدة ريفي المناقل.

- إبراهيم الفرضي ود عبودي االذي ألف فيه حاشيته المعروفة «بالفرضية» ولتميزه في هذا الفن وعلو فيه لقب بالفرضي. مركزه العمراني الديني بمدينة عبودي.

القدال: واسمه محمد ولد إبراهيم الفرضي: قرأ الرسالة على أبيه الفرضي، ولد بقوز الراكبة وأمه بنت المسلمي، بلغ طلبته ألفاً، ويقال ألفين. له من طلبه التكارير1750طالبًا، والتكارير لفظ يطلق على الوافدين من المنطقة التي تقع غرب دارفور وهم من قبائل الهوسا والفلاتة والبرنو والبرقو[7] بأم طلحة الآن حي بمدينة المناقل.

- ولد البحر: اسمه محمد ولد البحر بن إبراهيم الفرضي تفقه على أخيه محمد القدال مؤسس أم طلحة.

- ولد الشقل: اسمه محمد أخذ من القدال الفرضي مسكنه شمال أم طلحة على جهة الشمال، ود الشقل الآن حي بمدينة المناقل.

- المسلمي الصغير: تتلمذ على ابن عمه القدال وتتلمذ عليه عبد الله ود العجوز، الذي كان معظمًا لشيخه المسلمي، عبد الله ود العجوز أولاده وأحفاده قبورهم بقرية الشكينيبة، والآن لهم مسيد كبير وهذا الموقع الآن تابع لوحدة ريفي المناقل وتقع جنوب شرق مدينة المناقل وتبعد عنها (10كلم).

- عز الدين ولد نفيع بالمناقل درس على دفع الله العركي مؤسس حي ود نفيع بمدينة المناقل.

-عائشة بنت محمد القدال الفرضي تعلمت على يد والدها بأم طلحة ولها مدارس للبنين والبنات بالنيل الأبيض.

- ود صبح درس على الفرضي ضريحة بحي ود المسلمي.

يوضح هؤلاء الشيوخ الدور الثقافي الكبير الذي كان ينشره رجال الطرق الصوفية في مدينة المناقل وخارجها. وشكلت مدينة عبود أكبر محلة عمرانية لها أهميتها في فترة المملكة السنارية، هي مدينة حضرية لها إقليم تعليم ديني وثقافي داخل وخارج حدود منطقة المناقل في كل من جزيرة الهوى وشرق السودان وكردفان ودارفور وحول النيل الأزرق. أصبح السكان يتجمعون حول المنطقة وخارجها لمكانتها الدينية في خدمة المجتمع اجتماعيًا واقتصاديًا فجذبت السوق لما يوفر من احتياجات الناس في تلك الفترة باعتبارها هي عاصمة المنطقة، كان نفوذها أقوى من مدينة المناقل.

على حسب ما ورد في مخطوطة كاتب الشونة[7] تتضح أهمية المنطقة حتى في الفترة الأخيرة من عهد الفونج، من خلال ثورات الهمج المتكرر مع خصومهم وفيما بينهم تأثرت بهم مدينة المناقل بسبب تركز مراكز الطرق الصوفية فيها حيث ينزلون بها أحيانًا ويتركونها أحياناَ ومدينة عبود حيث تأثرت بهم سبع مرات(بها إحدى معاركهم، آثارها في السوق).

3/فترة الحكم التركي المصري (1821–1885م):

كان من مآثر الحكم التركي المصري توحيد أقاليم السودان المختلفة، وقد أوضح الحكم التركي المصري الدور البارز للإدارة باعتبارها وسيلة وأداة للحكم، وبهذا أمكن إظهار التقسيم الحديث، وفي عهده أيضًا زادت عدد الخلاوي والزوايا في عامة السودان كما أوكلت بعض الوظائف الإدارية المهمة لزعماء القبائل واستفادت من النظام القبلي الموروث والمتعارف عليه، فقسم السودان إلى مديريات لكل مديرية مدير وتحتها أقسام يشرف على كل قسم ناظر والقسم يحوي خطوطًا لكل خط حاكم والخطوط مقسمة إلى مأموريات لكل مأمورية مأمور(8)، مدينة المناقل شكلت مامورية بها المأمور، ولم تشهد شيئًا من التغيير في هذه الفترة،إلا ازدياد الخلاوي والزوايا لأن الأهداف الإدارية بسيطة ومحددة وهي المحافظة على الأمن وجمع الضرائب، يروى إن كان لأهالي المناقل دور كبير في الوقوف ضد الأتراك حيث أعلن الشيخ عامر المكاشفي الجهاد ضد حكم الأتراك في منطقة أم حجار بالمناقل ومنع المواطنين من دفع الجزية لهم. وفي منطقة أم سنيطة جنوب المناقل اندلعت ثورة عرفت بثورة ودكرف.

4/ فترة المهدية (1885–1899م):

قسمت الدولة المهدية السودان إلى عمالات وانقسمت منطقة المناقل بين عمالات مختلفة كما تبين إحدى وثائق المهدية في مركز الوثائق(وثيقة6/42/1) بينت العمالات وحدودها التي كانت تجمع الضرائب والزكاة وكانت التبعية الإدارية لإقليم المناقل عامة كما يلي:

قسم سنار الروصيرص التي كانت حدودها تتبع لمحمد عثمان الحاج خالد حدودها من السافل بقادي حتي أم تريبات وهي الآن تتبع محلية ريفي المناقل. حدود قسم الخرطوم التي تتبع لمحمد علي التني، حدودها من الصعيد تتبع حدودها إلى الفرجاب والعقدة، فهذه تتبع حاليًا الأولى إلى الكريمت، والثانية إلى وحدة الهدى ثم إلى الشقلة ومنيرود رويبح والمطمير وشكير وهي تتبع حاليًا لوحدة العزازي وعراق إلى معتوق وشاشا تتبع إلى الكريمت.حدود قسم عبود تتبع للأمين العقلي حدودها من الصبح ود زروق والنقير وكتري وكمل نومك تتبع إلى الكريمت والطليح إلى ريفى المناقل ومن السافل الهميج إلى العزازي وأبو عجب إلى الهدى ومن الغرب قبوجة والعديد, أبوحوه تتبع إلى الجاموسي فهذه شملت العديد من القرى التي تتبع لإقليم المناقل ونلاحظ في هذه الفترة أن قرية المناقل لم تكن لها السيادة الإدارية فكانت لمنطقة عبود الأهمية نسبة لتجمع العديد من المشايخ منذ السلطنة الزرقاء ودورها في جذب عدد كبير من السكان إلى المنطقة.حدود أقسام ولد مدني تتبع عمر حمد حدودها من الغرب تشمل قرى محلية المناقل وهي ودعايد والدقيساب والحمراء تتبع إلى ريفي المناقل والحجاب وهجرس تتبع إلى الكريمت(9).

إن منطقة المناقل في هذه الفترة مثلها مثل فترة التركية لم تشهد تطورًا لا في عمرانها ولا خدماتها فظل أسلوب حياة السكان هو البدائي متمثلًا في الزراعة المطرية ورعي الضأن والماشية وكانت الإدارة الأهلية التي تتمثل في زعماء القبائل والمشايخ يعتمدون عليهم في جمع الضرائب وحفظ الأمن بالمنطقة، إلى أن أصبحت العديد من القرى مراكز جذب للكثير من رجال الطرق الصوفية متمثلة في قرية عبود والمناقل والشكينيبة...

5/ فترة الاستعمار الإنجليزي :(1899–1956م):

في عام 1925م، بدأت الزراعة في مشروع الجزيرة فأصبح لسكان منطقة المناقل مصدر دخل آخر للرزق بالهجرة موسميًا صوب منطقة الجزيرة لجني القطن وقلع سيقانه،

وكان المشروع يعتمد اعتمادًا كليًا على هذه الأيدي العاملة.فبدأت معالم التطور تظهر في مناطق مشروع الجزيرة من استقرار في العمران وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية فكانت الخدمات ووفرتها تعتمد على ميزانية المناطق لذلك كانت منطقة المناقل أقل درجة في الوضع الاقتصادي والاجتماعي، ولكن حظيت المنطقة لأول مرة سنة 1943م بميزانية بسبب زراعة القطن المطري، وانتعشت التجارة بها بسبب قيام الأسواق في مناطق مشروع الجزيرة (10). فكانت التجارة تعتمد على كبار رجال المنطقة الذين لهم مستوى دخل أفضل من غيرهم فهم يقومون بجلب السلع الضرورية من سكر وشاي ودمور وغيرها من أسواق الجزيرة مثل سوق طابت وفطيس والمسلمية ومدني والحاج عبد الله وود رعية وغيرها، وكانت وسيلة النقل المستخدمة فهي النقل عن طريق الدواب (الجمال) وتأتي محملة بالبضائع وتوزع بالقرى وظل هذا الوضع حتي عام 1958م.

تم اختيار مدينة المناقل إبان الحكم االثنائي لتكون مركزًا إداريًا، وعين مفتش بريطانيً لها. تتكون المدينة من الناحية العمرانية قبل عام 1955 م، من ثلاثة أحياء فقط هي: ود نفيع، والدسيس، عتقي وصاحب ذلك نهضة عمرانية شملت مباني الأحياء التي بدأت تستخدم مواد البناء الثابت، كما حددت لمحلية المناقل (محلية المناقل + محلية القرشي) لها حدود إدارية فهي تتطابق مع حدودها الإدارية الآن فأصبحت مدينة المناقل تمثل مركز المأمور ورئاسة الإدارة الأهلية، فقسمت منطقة المناقل إلى نظارات فكانت نظارة القسم الجنوبي بأم طلحة كواهلة ونظارة القسم الغربي بعدار رفاعة ونظارة القسم الشمالي بالهدي وود الزين مغاربة ونظارة الكريمت عركيين وقسمت هذه النظارات إلى عموديات ومشايخ مختلفة التي يكون تحت إشرافهاعمدة أو شيخ القبيلة يجمع الضرائب وأدى ظهور النظام الإداري الجديد للمنطقة لظهور وظائف جديدة لمدينة المناقل فبنيت الدواوين الحكومية بها متمثلة في مجلس الإدارة الأهلية ونقطة البوليس وظهور بعض المدارس الإعدادية حيث فتحت في مدينة المناقل عام1905م(11).

6/ الفترة الثانية: فترة ما بعد مشروع المناقل عام1958م:

في عام 1958م تم تنفيذ مشروع المناقل الذي حمل اسم مدينة المناقل، أنشئ مجلس ريفي المناقل ثم انقسم إلى إدارتين في ظل قانون1973م هما:-

1/مجلس منطقة غرب الجزيرة.

2/ مجلس منطقة24 القرشي بها رئاسة مشروع امتداد المناقل.

واستمر حتي إلغاء العمل بقانون1981م وفي عام1989م صدر قانون الحكم المحلي حيث قسمت المنطقة الي13محلية تحت إشراف محافظة المناقل، ثم تقلصت إلي8 محليات في ظل قانون1998م إلى إدارة واحدة، ثم غير اسم المحافظة إلى محلية والمحليات إلى وحدات إدارية تحت إشراف مدينة المناقل عام 2003م، وفي عام2014م تم تقسيم المحلية إلى محليتين هما محلية المناقل ومحلية24القرشي ليسهل إدارة المحلية نسبة لاتساعها وبعد وحداتها الإدارية عن بعضها (12).

بتنفيذ مشروع المناقل تغيرت ملامح الأرض وبيئتها بشبكة الري وتبدل القفار إلى خضرة والسكون إلى حركة دائبة والهجرة إلى استقرار فتوسعت القرى القديمة وأنشئت قرى حديثة إلى جانب اجتذاب مواطنين من خارج المنطقة وكذلك اجتذاب هجرة استيطانية من خارج السودان وإسكانهم فيما يسمى بالكنابي. وتعني زيادة السكان بهذه الصورة زيادة السكن وكما تعني أيضًا زيادة الخدمات وتوزيعهاعلي التجمعات العمرانية، فأصبح هنالك نمو عمراني مفروض على المحلات العمرانية تبعًا للتخطيط الزراعي تحده مجموعة من المساحات الزراعية وكذلك المجاري المائية ومارس السكان نمط حياة جديد.

فتطور الهيكل الإداري للمشروع فأدخل فيه قسم إدارة الخدمات الاجتماعية والإرشاد والإنتاج البستاني وتنمية المرأة والاقتصاد المنزلي، فأصبحت الحواشة محور الحياة المستقرة، اقتصاديًا واجتماعياً،وعمرانياً، فخصصت إدارة المشروع 2%من عائد القطن لتوفير الخدمات وفي غضون ذلك زادت مؤسسات التعليم والخدمات الصحية، ودخلت السينما المتجولة وفصول محو الأمية وجريدة جزيرة الأسبوعية لتثقيف المزارعين وفصول الإرشاد النسوي وغيرها من الخدمات بالمنطقة[13].

ترتب علي ذلك من قيام مشروع المناقل1958 م زيادة في الإنتاج الزراعي وظهرت وظائف أخرى بالمنطقة مثل العمل بالخدمات داخل المنطقة، فأصبحت مدينة المناقل تنتعش فتطورت تطورًا اقتصاديا واجتماعيا من خدمات أساسية تعليم وصحة وكهرباء ومياه وطرق وغيرها، بل أن الزراعة لم تقتصر على الإكتفاء الذاتي وأصبحت تشكل وظيفة تجارية كبرى مما أدى إلى انتشار الأسواق بالمنطقة، شهدت مدينة المناقل نهضة

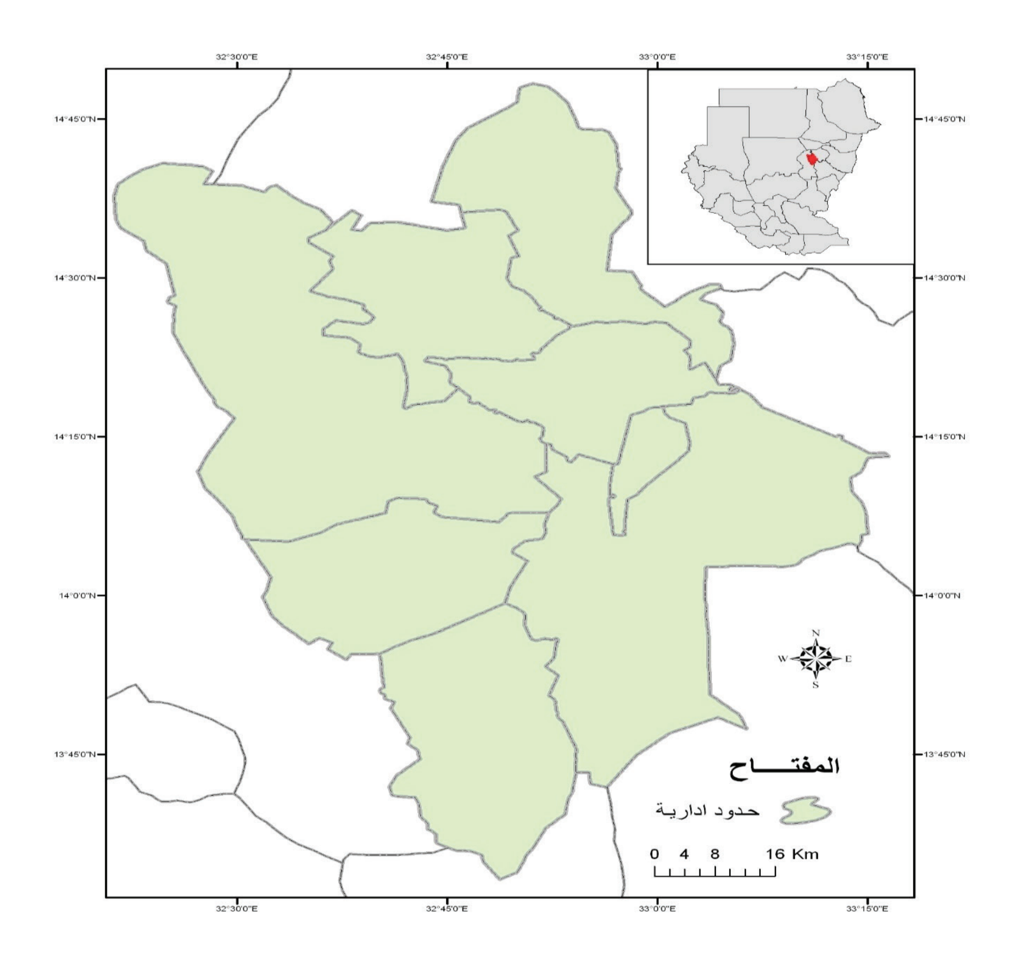
عمرانية شملت مباني الأحياء التي بدأت تستخدم مواد البناء الثابت، أما سوق المناقل فهو السوق الرئيسي، تحول إلى سوق أسبوعي يقام في يومي الأحد والأربعاء ثم إلى سوق مستديم. وهذا المشروع يعد أكبر نقطة تحول في نمو وتطور مدينة المناقل، الأمر الذي نتج عنه تشغيل رؤوس أموال كبيرة في سوق المناقل خاصة في مجال الاستثمار في مجال الصناعات الزراعية مما أفرز نماذج وأنماط عمرانية ومعيشية جديدة بالمدينة.

دور البيئة الطبيعية في تطور مدينة المناقل:

تشمل عناصر البيئة الطبيعية لمدينة المناقل التي أسهمت في نشأة وتطور المدينة الآتي:

1/ موقع مدينة المناقل:

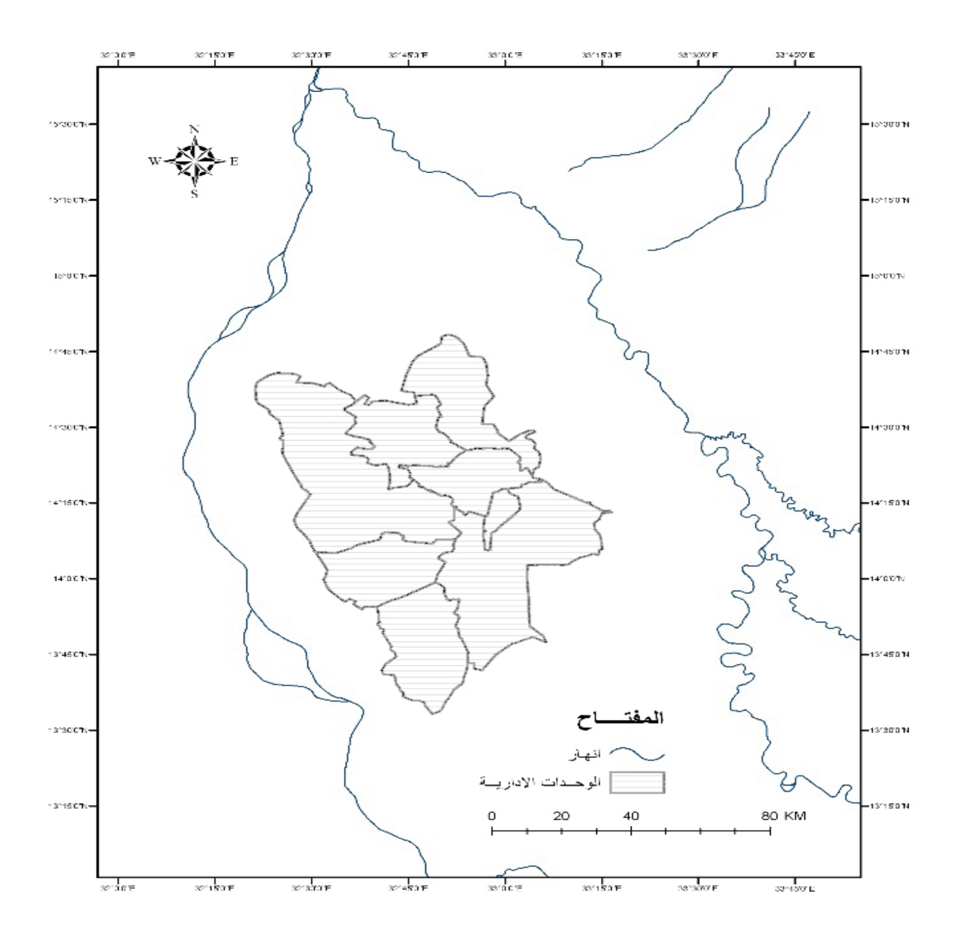
تقع مدينة المناقل على دائرة عرض 15 - 14 °و °ش وخط° طول 33 ° ق تقع شرق إقليم المناقل الذي يحتل الجزء الغربي من ولاية الجزيرة بين دائرتي عرض -46 °13و 46 - 14 ° ش وبين خطي طول -30 32 ° ق 6 °33-ق ويغطي إقليم المناقل محلية المناقل تشمل كل من وحدة مدينة المناقل وريفي المناقل ومعتوق والهدى والعزازي والكريمت والماطوري والجاموسي وفي عام 2014 تم قسم المحلية إلى محليتين محلية المناقل تشمل وحدة مدينة المناقل وريفي المناقل والهدى والجاموسي والكريمت، بينما محلية 24 القرشي تشمل وحدة معتوق والعزازي والماطوري، خريطة (1).



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء2008.

تحد مدينة المناقل من الشمال والشمال الغربي وحدة الكريمت ومن الشرق والجنوب والجنوب الغربي وحدة ريفي المناقل .. انظر خريطة (1)، وورثت مدينة المناقل موقعًا جغرافيًا متميزًا داخل المنطقة منذ بداية الاستيطان الكثيف في عهد الفونج لتحقيق الأمن والمتطلبات الضرورية للمعيشة وإمكانية الاتصال بريفها والمدن، وهي تقع موقعا وسطًا لا ينافسها مركز عمراني حضري في الوسط من حيث الحجم فأصبح موقعها موقعًا تجاريًا رئدًا لمراكز عمرانها في إقليمها والتي تقع خارج نطاق حدودها لذلك يمكن

أن نطلق على مدينة المناقل عروس سهول النيلين مما أكسبها هذا الموقع تطورًا اقتصاديًا واجتماعيًا وعمرانيًا انظر خريطة (2).



المصدر:عمل الباحثة اعتمادًا على الجهاز المركزي للإحصاء2008م

2/ التركيب الجيولوجي:

تنتمي منطقه الدراسة إلى التكوينات الجيولوجية لمنطقة الجزيرة ويمكن تقسيم منطقة غرب الجزيرة التي تشمل إقليم المناقل بما فيه مدينة المناقل إلى ثلاث مجموعات رئيسية من الناحية الجيولوجية على النحو التالي انظر خرطة (3).

1 ـ صخور القاعدة الأساسية:

تعتبر قاعدة لكل الطبقات الأرضية في السودان فهي تنتمي إلى فترة ما قبل الكمبري وهي صخور نارية صلبة تتألف من الجرانيت والنيس، ويتضح من الخرطة(3) أنها تحتوي تكوينات حمضية بركانية أساسها ديولايت تتمثل في وجودها في المنطقة الجنوبية الغربية من المحلية حيث تغطي أراضي وحدة الجاموسي والماطوري ووحدة معتوق وبروزها على سطح الأرض في جبل الماطوري وجبل ود التوميات.

2 ـ التكوينات الرسوبية:

تتمثل في تكوينات الصخور النوبية (الحجر النوبي الرملي)،وتكون الحجر الرملي النوبي بواسطة الحركات الرأسية التي أدت إلى تغيير العلاقة بين اليابس والماء ثم أحدثت إرسابات في عصر الجوارسي والكرتياسي في الزمن الثاني يتمثل ذلك في رواسب طبقية مصفوفة تعلو صخور القاعدة بالمنطقة يتكون الحجر الرملي والطيني والحجر الجيري[(14)]. من الخرطة (3) تفسر أن تكويناته تحتوي على حجر غريني وحجر طيني وحصوي وتوجد به تلال صخرية مبعثرة مثل تل أم حجيرات فتغطي الصخور الرملية النوبية المنطقة الشمالية والشرقية من محلية المناقل بما فيها مدينة المناقل، بينما تفسر الخرطة(3) تكوينات أماكي التي توجد في جنوب المنطقة عبارة عن حجر رملي وحجر حصوي وبعض من الحجر الجيري، أما رسوبيات الأودية والمستنقعات توجد في شكل شريط طولي شمال المنطقة التي امتدادها إلى ولاية النيل الأبيض ويعرف بالوادي الرقيق انظر خرطة(3).

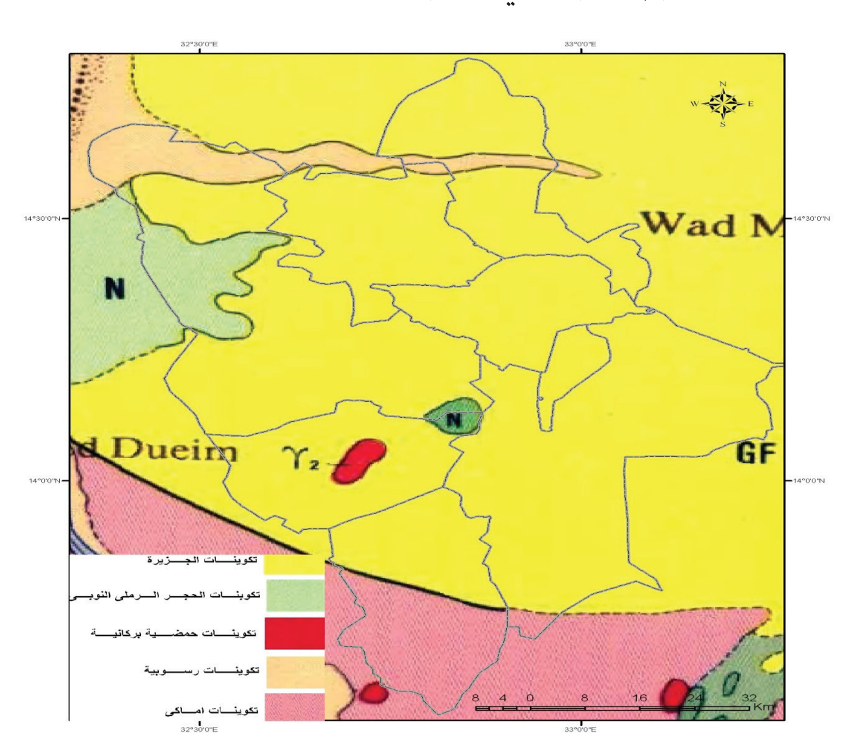
3ـ تكوينات الجزيرة :

هي عبارة عن رواسب تكونت بسبب الإرساب الهوائي والنهري معًا وأغلب الظن أن النيل الأزرق هو الذي يتحمل مسؤولية تراكم الرواسب وبناء التربة الرسوبية منذ عصر البلايستوسين وتتكون من الرمل والطين والحصى فهي تغطي صخور القاعدة والصخور النوبية بمنطقة الجزيرة [(15)].

إن التكوينات الجيولوجية لمنطقة غرب الجزيرة أثرت بشكل واضح على الموارد المائية خاصة المياه الجوفية فتكوينات الجزيرة تنتشر بنسبة39.7% من مساحة الجزيرة وتتكون من حصى ورمل وطين وتتميز بعذوبة مياهها وقلة الملوحة بينما الصخور الأساسية ضعيفة في مخزونها المائي ومياهها مالحة وتغطي الجزء الجنوبي الغربي

لمشروع المناقل[16]. ويلاحظ أثر التكوينات الأساسية واضحة في إقليم المناقل التي تتمثل في وحدة معتوق والجاموسي والماطوري(حوض الجاموسي المالح) فالسكان يعتمدون على القنوات والجداول والحفائر والدليل قرب هذه التكوينات الحمضية من سطح التربة ووجودها في جبل الماطوري والتويمات مما أثر ذلك على توزيع المياه الصالحة للشرب في المنطقة عامة.

خرطة (3)التركيب الجيولوجي لمحلية المناقل



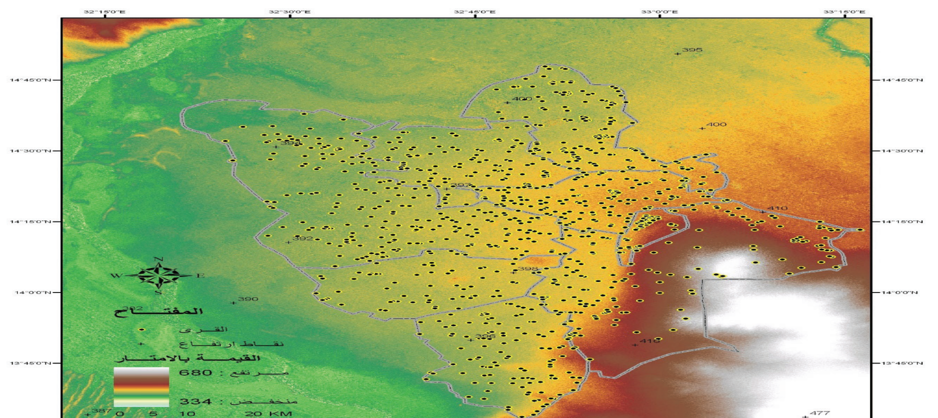
المصدر : الهيئة العامة لجيولوجية السودان 2009م(17) بتصرف الباحثة

3 / السطح - التضاريس:

تقع مدينة المناقل في أراضي سهلية يبلغ ارتفاعها(411 مترًا) فوق سطح البحر، أما إقليم المناقل بصفة عامة هو امتداد لسهول الجزيرة التي تتميز بانبساطها وميلانها التدريجي من الجنوب الشرقي من النيل الأزرق إلى الشمال الغربي تجاه النيل الأبيض ويتراوح ميلانها ما بين -680 334 مترًا فوق سطح البحر انظر خرطة (4)، لكن هذا السهل المنبسط تتخلله

بعض المرتفعات الصخرية في شكل تلال صخرية لا تشكل عائقًا في الجزء الجنوبي الغربي من المنطقة يتمثل في جبل الماطوري الذي يبلغ ارتفاعه (519مترًا) وجبل ود تويمات (513 مترًا) والحجيرات (410 أمتار) وينحدر السهل منهم نحو الغرب والشمال على أبعاد تتراوح بين 3-15كلم تجاه النيل الأبيض. كما يرتفع هذا السطح قليلًا في الجزء الجنوبي الشرقي من إقليم المناقل أي من الخط الذي يمر شمالًا بمدينة المناقل وجنوبًا إلى خط السكة الحديد سنار وينحدر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي تجاه وحدة معتوق الكبرى يتراوح ارتفاعه ما بين ـ680-400متر ويسمى (بظهر المناقل) فهو يشمل معظم وحدة ريفي المناقل وتشكل هذه الهضبة حدًا طبيعيًا للأراضي المروية بالري الانسيابي في مشروع الجزيرة الزراعي وعلى الرغم من ذلك لا تخلو هذه الهضبة من العمران نسبة لصلاحيتها للإنتاج الزراعي مما جعل سكان هذه المنطقة يعتمدون على الأمطار في الزراعة وتربية الحيوانات، كما سهل السطح على انتشار العمران في كافة إقليم المناقل بكثافة.. انظر خريطة (4) ويعتبر سهل المنطقة بصفة عامة سهلًا منبسطًا فهذا عاملًا له أهميته في إكساب هذه المنطقة صفات معينة فأصبحت هذه البيئة العملية لها القدرة على أن تمهد الأرض وتجهزها للزراعة فلا تحتاج إلى تسوية فهو سهل ملائم للإنتاج الزراعي جعل مدينة المناقل مركز جذب سكاني وكذلك ساعد السهل على مد الطرق الترابية لكافة مراكز العمران بالمنطقة مما سهل حركة سكان الإقليم والمناطق المجاورة إلى مدينة المناقل مما أسهم في سرعة تطورها اقتصادياً.

خرطة(4) السطح في محلية المناقل

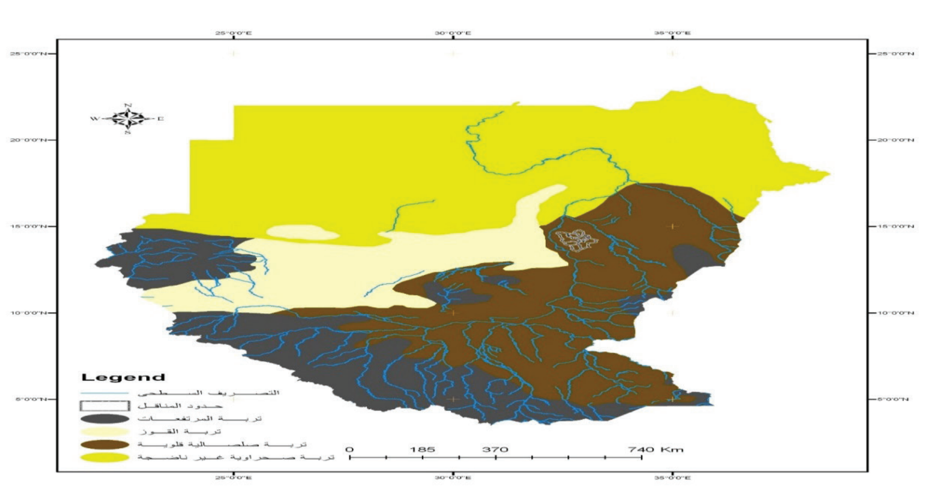


المصدر:عمل الباحثة2011م اعتمادًا على المرئية الفضائية 2009م Shuttle Rada Topography Mission (SRTM) data

التـربة:

تعتبر تربة مدينة المناقل جزءًا من تربة الجزيرة، انظر خرطة(5) تتميز هذه التربة بصفات في تكوينها وهي تربة ذات طابع قلوي تسمى بالمونتومورلونيت هذا إلى جانب تميزها بالشقوق العميقة التي تسمح بمرور الهواء والماء داخل التربة ويمتاز هذا النوع من التربة بخاصية التمدد عند غمرها بالمياه والانكماش والتشقق في حالة الجفاف فهي تربة طينية رملية تبلغ نسبة الصلصال فيها إلى 60% كما تصل نسبة الطين فيها إلى 20% والرمل الناعم من12 - 20%والرمل الخشن مابين -2 10%، وتمتاز أيضا بأنها تربة ذات طبقة سطحية بسمك قدمين لونها أسمر داكن تعلوها طبقة رمادية اللون سمكها نحو قدمين لونها أسمر داكن تعلوها طبقة رمادية اللون سمكها نحو قدمين آخرين وترتكز عليها طبقة سمراء مائلة إلى الاصفرار، أما من ناحية الخواص الكيميائية فتحتوي التربة على كميات كبيرة من الأملاح المذابة كالصوديوم والفوسفات والبوتاسيوم، والنسبة المقدرة منها كافية لزراعة المحاصيل المختلفة ولكن تفتقر التربة إلى الأزوت؛ لذلك يتم تسميد المحاصيل بالأسمدة الأزوتية المصنعة لزيادة الإنتاج [19].

خرطة(5) أنواع التربة في السودان وموقع منطقة الدراسة

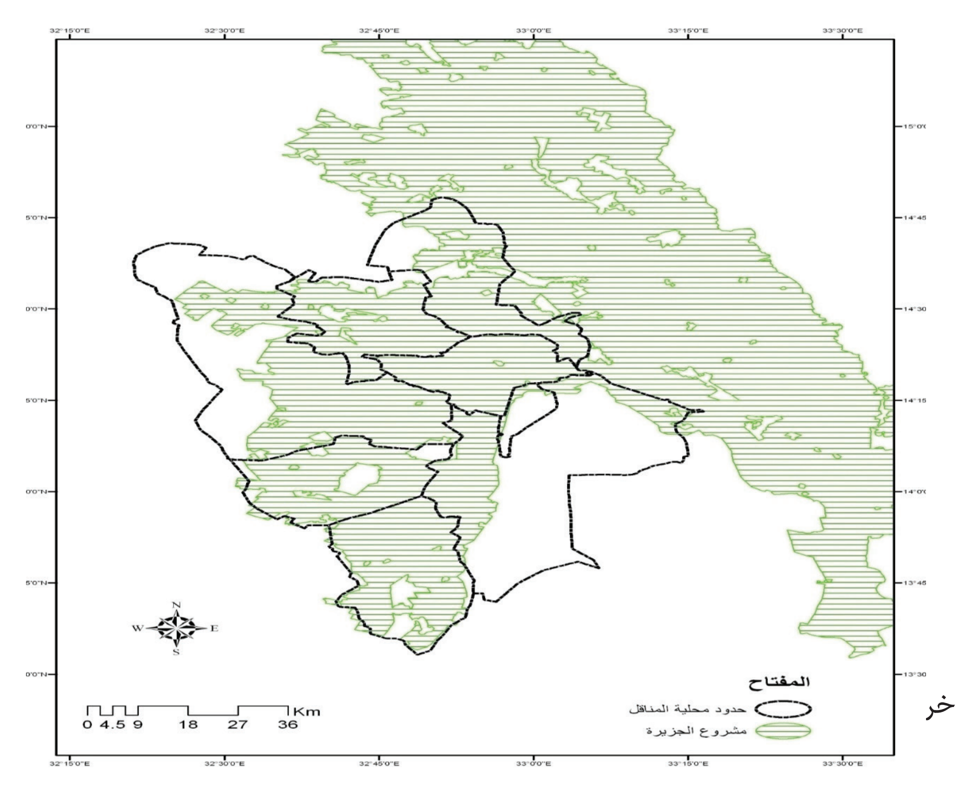


المصدر:الصياد والسعودي 1972 م (20). بتصرف الباحثة

ساعدت كل من خصوبة التربة ووفرة مياه الري على قيام النشاط الزراعي المروي المتمثل في مشروع المناقل والمطري في منطقة هضبة المناقل انظر خريطة (6). فالإنتاجية المرتفعة للأرض أدت إلى جذب السكان ولذلك تمخضت هذه الأرض بكثافة عمرانية مرتفعة لأن الأرض أصبحت تتضمن إعالة المستقرين عليها يناسب احتياجات الكثافة العمرانية بالمنطقة مما جعلها تلبي احتياجات مدينة المناقل في التصنيع الزراعي.



خريطة(6)مشروع الجزيرة وأمتداد المناقل



خر

المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

5 / المناخ:

يمكن تناول عناصر المناخ بصورة عامة فموقع منطقة الدراسة كما ذكر سابقا يوضح أنها تقع في النطاق شبه الجاف. وهي منطقة انتقالية بين المناخ شبه الصحراوي والمناخ المداري الممطر صيفا، ففي فصل الشتاء تكون خصائص المناخ فيها أقرب إلى المناخ شبه الصحراوي حيث يكون دافئًا وفي فصل الصيف يكون أقرب إلى المداري الممطر حيث

يكون حارًا وممطرًا، انظر خرطه (7).ويمكن أن تناول العناصر المناخية بإقليم مدينة المناقل بصفة عامة على النحو التالي:

1ـ الحرارة:

تعتبر منطقة الدراسة جزءًا من أواسط السودان التي تخضع إلى المناخ القاري الذي يتميز بصيف حار وشتاء بارد، فترتفع فيه درجة الحرارة ما بين مارس إلى يونيو حيث تصل أعلى درجة حرارة إلى ْ41 درجة مئوية وأدناها 19 ْدرجة مئوية كما يتميز بالشتاء البارد نسبيًا وعمومًا درجة الحرارة تزداد كلما اتجهنا شمالًا في فصل الصيف (21). ويمكن تقسيم درجات الحرارة إلى ثلاث فترات، الصيف الحار من إبريل – يونيو شهور السنة حرارة والفترة الثانية من يوليو– أكتوبر فهي أقل نسبيا من السابقة بسبب هطول الأمطار أما الفترة الثالثة من نوفمبر – مارس فهي فترة الشتاء وهي من أكثر الشهور التي تقل فيها درجة الحرارة بالمنطقة.

2 – الرياح:

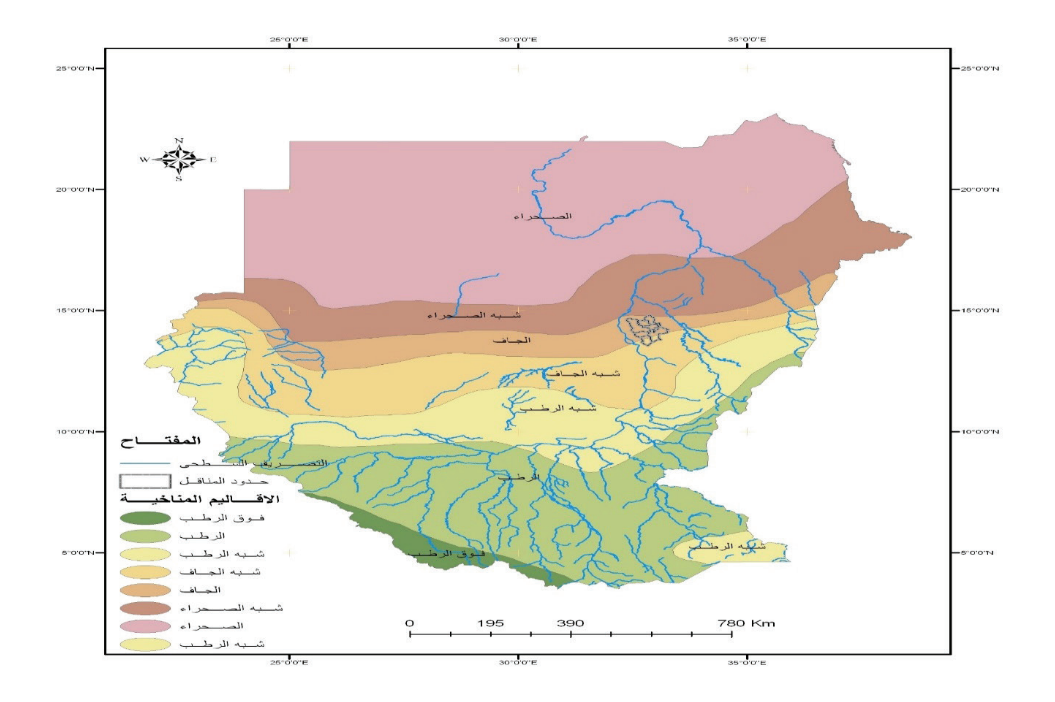
تتحكم الرياح في درجة رطوبة الجو فتهب الرياح الشمالية الشرقية في فصل الشتاء وهي جافة من شهر نوفمبر إلى مارس وتهب الرياح الجنوبية الغربية في فصل الصيف ويمكن تقسيمها إلى فصلين، أحدهما فصل الصيف الذي تقل الرطوبة فيه في الفترة مابين إبريل ويونيو- والآخر فصل الصيف الرطب حيث تهب الرياح الجنوبية الغربية الرطبة من شهر يوليو إلى شهر أكتوبر مسببة الأمطار، وتقل رطوبتها كلّما اتجهنا شمالًا.

3 – الأمطار:

تتمتع المنطقة بأمطار صيفية تقل كميتها كلّما اتجهنا شمالًا فتكثر كمية المطر جنوب المنطقة حيث يبلغ متوسط الكمية لعام 2009م ما بين 400-500ملم وتقل كلمااتجهنا شمالًا حيث تبلغ 300-400ملم بينما هنالك دراسة عامة لمتوسطات كمية المطر في السودان لستين عامًا من(1950ـ 2009م)(23). يتضح أن متوسطات المطر في هذه الفترة في جنوب المنطقة 400 ملم, بينما تقل كلّما اتجهنا شمالًا حتى تبلغ200ملم بالمنطقة.

يعتبر المطر أهم عناصر المناخ المؤثرة إذ إنه يؤثر على حياة الإنسان والحيوان كما ذكر أهميته سابقًا وبينما الأمطار مصدر اختصاص بسيط بوصفها مصدر ماء للمحاصيل المروية إلا أن تأثيرها على المحاصيل يستحق الاعتبار، وتبلغ طول مدة فترة هطول الأمطار أربعة أشهر من يونيو إلى سبتمبر ويسجل شهر يوليو وأغسطس أعلى قمة للأمطار [24].

خرطة (7) الأقاليم المناخية في السودان وموقع منطقة الدراسة



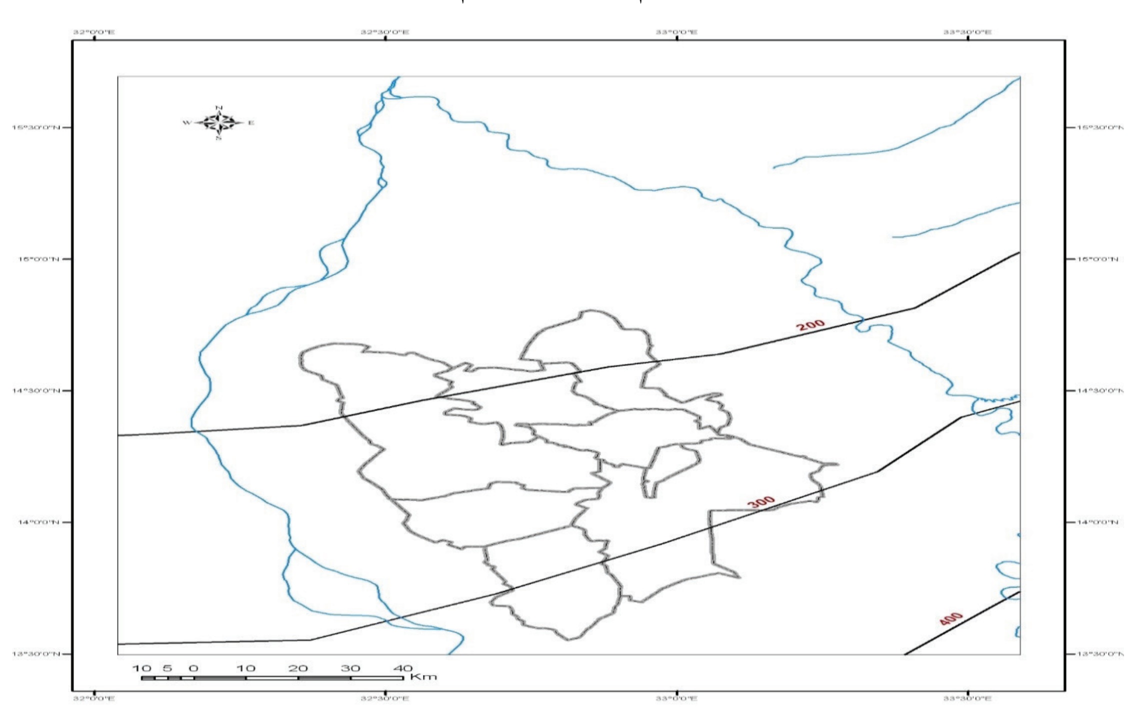
المصدر: برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 2020 (22)، بتصرف الباحثة.

6/ النباتات الطبيعية:

الغطاء النباتي ماهو إلا انعكاس للمكونات الطبيعية، ومن المعلوم أن كثافة الغطاء النباتي تؤثر في امتداد العمران بتباعده وبتقاربه ولكن هذا لا يوجد في إقليم المناقل نسبة لعوامل الزمن وتدخل الإنسان ولكن الغطاء النباتي الموجود له دوره بالمنطقة الذي يعتبر مرعى للثروة الحيوانية، ولكنه تأثر بالمنطقة كمًا ونوعًا حيث أزيلت الأشجار من أجل التوسع العمراني والنشاط الزراعي المروي فلم يتبقَ من نوعها إلا بعضها المتفرق في هوامش المشروع أوما تحمله أسماء بعض القرى بنوع الأشجار التي كانت سائدة. ففي فترة ما قبل المشروع عام 1958م كانت الأشجار الغابية تتباين بتباين الظروف الطبيعية فهو امتداد للنظام البيئي المفتوح وتتدرج الأشجار في نوعها وكثافتها وتتمثل في اللعوت Acaia nubica والهجليج Balamite aegyptiaca والسدرZiziphus spina-christi

والكترAcacia mellifera والسنط nilotica Acacia والطلح Acacia seyal حتى هذه الأشجار قد تمت إزالتها في المنطقة التي لم يشملها المشروع بواسطة السكان للزراعة المطرية (البلدات) وأستخدمت أيضًا حطب للوقود. أما الحشائش فهي قصيرة تنمو في فصل الخريف لا تتجاوز فترة حياتها بضعة أشهر وأهم أنواعها السعدةCyperus rountindus – النجيلة Cynodon dactylon ـ الربعةpentandra Trianthema - الدفرةEchinochlo catonom - التبر Pistia striotes.وتعتبر مصدرًا أساسيًا لغذاء الثروة الحيوانية الموجودة بالمنطقة.

خرطة (8)متوسط المطر من عام (1950ـ 2009م) بمحلية المناقل



المصدر : الهيئة العامة للإرصاد الجوي، 2009م بتصرف الباحثة

دور البيئة البشرية في تطور مدينة المناقل:

تشمل عناصر البيئة البشرية لمدينة المناقل التي أسهمت في نشأة وتطور المدينة على الآتي:

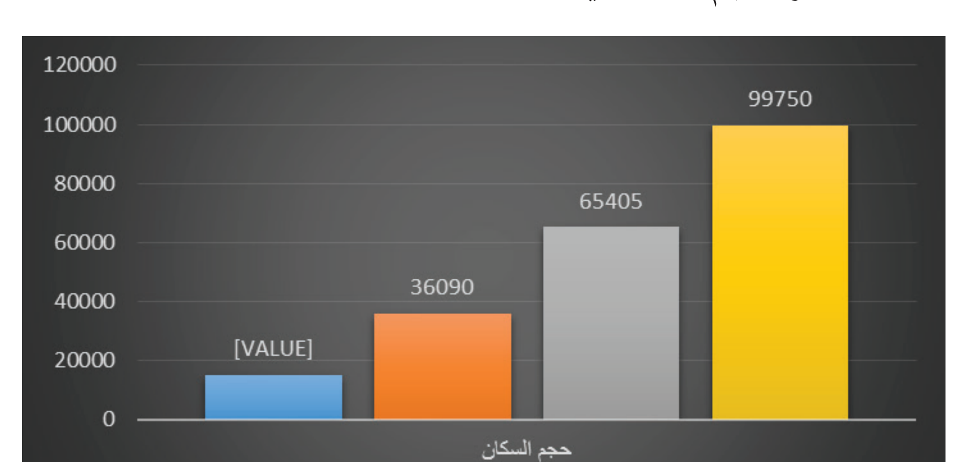
1/ حجم السكان:

ليس من الصعب فهم الترابط الوثيق بين موارد الأرض وأنظمتها الطبيعية والسكان، فالناس يعتمدون في حياتهم على الغذاء والهواء والماء، في الأرض موارد طبيعية متنوعة لأنشطة الإنسان، وهذه الأنشطة تتركً بدورها أثرًا على الأرض ومواردها وأنظمتها الطبيعية وأن كثيرًا من الحضارات قامت وازدهرت لتوافر الموارد المهمة اللازمة. فعندما تزداد إمدادات الغذاء وترتفع معدلات النمو الاقتصادي ينمو حجم السكان وتزداد أعدادهم استجابة لذلك. ولكن أعداد السكان الكبيرة تتطلب استهلاك الموارد بكثافة مما يؤدي في النهاية إلى استنزافها فلا شك أن الطلب على الغذاء والطاقة والملبس وغيرها من الاحتياجات الضرورية يتزايد بتزايد أعداد السكان، علاوة على ذلك يؤدي ازدياد الثراء لدى الإنسان إلى زيادة الاستهلاك، فكلما ارتفع مستوى المعيشة ازداد استهلاك الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية الأخرى.

من الشكل(1) يتضح أن حجم سكان مدينة المناقل بلغ في تعداد 1973م (15.223) نسمة بينما في تعداد 1983م بلغ (36.090) نسمة وعام 1993م بلغ (65405م) نسمة، بينما في تعداد(2008م) بلغ حجم السكان(99750) (25) نسمة، من أبرز ملامح التوزيع السكاني في مدينة المناقل التركز السكاني لأنها تمثل المدينة الرئيسية، خلال عشر سنوات من عام1973 م - 1983م، زاد حجم السكان في عام 1983م أكثر من الضعف (58%)، بينما زاد حجم السكان من عام1993 م 2008- م35% خلال خمسة عشر عامًا وهذا يوضح أن تشهد مدينة المناقل تحولا ديموغرافياً كبيراً وبتزايد عدد سكانها، ففي عام 1973 هو بداية التطور الحقيقي الأول لمدينة المناقل؛ نسبة لما وفره مشروع المناقل من زيادة وتنوع في الإنتاج الزراعي والخدمي فساعد ذلك على استقطاب الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية ؛ مما أدى إلى هجرة السكان بكثافة تجاه المدينة وتوفرت فرص استثمارية مجدية قادرة من راس المال المحلي، فشيدت المعامل والمصانع والمشاغل للقطاع العام والخاص، وأدى هذا الأمر إلى طلب مزيد من الأيدي العاملة الصناعية لهذا السبب توجهت نسبةً كبيرة من القوى العاملة إلى المدينة للعمل في المصانع، ثم كانت

مؤسسات التعليم العالي في المدينة سببًا آخر ساعد في جذب السكان إليها، كان لوجود هذه المؤسسات شكل عامل جذب العديد من السكانً الذين يرغبون الإقامة فيها لتوظيف رؤوس أموالهم، وكذلك أدى إلى جذب الآلاف من السكان من الريف ما حولها إلى تلك المدينة بسبب العمل اليومي والتسوق.

شكل (1) تطور حجم سكان مدينة المناقل



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

يمكن أن نحسب تطور حجم السكان بمدينة المناقل بحساب معدل الزيادة السكانية لعام 2008م على النحو التالي: ر= ك^{2} ـ ك^{1} / ك^{1} والناتج يقسم على الفرق بين التعدادين ويضرب ×100 حيث(ر) هو معدل الزيادة السكانية و(ك^{2})عدد السكان بناءً على التعداد الحالي و(ك^{1}) التعداد السابق ثم يقسم على عدد سنوات التعداد(ك) ويضرب في (100) للحصول على النسبة المئوية للزيادة [26].

وبتطبيق المعادلة على سكان مدينة المناقل وفقًا لإحصاءات 1993م و2008 م=

$$\frac{99750 - 65405}{65405} = 0.525$$

وبتطبيق الطرف الثاني للمعادلة بقسمة نتيجة المعادلة على عدد سنوات التعداد مضروبة في مائة تبلغ نسبة النمو السكاني3.5% وهذه تشكل نسبة عالية تحتاج إلى تخطيط مستقبلي لحل مشكلة الخدمات التي تعاني منها المدينة الآن، هذا يوضح ارتفاع معدل

الزيادة لسكان مدينة المناقل وفقًا لاحصاءات 1993م و2008 م، بمعنى أن كل عام يزداد حجم سكان مدينة المناقل في كل عام (بقسمة الفرق بين تعدادين 34345على 15سنة) 2290 نسمة، وإذا حسبنا توقعات حجم سكان مدينة المناقل لعام2022 يساوي 131810 نسمة. وأيضًا عند مقارنة حجم السكان لعام 2008 م مع مساحة مدينة المناقل 180كلم2 فإن الكثافة السكانية تبلغ 554 نسمة كلم².

يبلغ حجم سكان مدينة المناقل11% من جمل سكان محلية المناقل (906216 نسمة) مدنًا وريفًا على حسب تعداد (2008 م) بينما يبلغ حجم سكان مدينة المناقل 56% مقارنة بسكان المدن في محلية المناقل(177665 نسمة) تعداد (2008 م) ويلاحظ الفرق الشاسع بين حجم سكان مدينة المناقل ومدن إقليمها ورغم جهود الدولة في عملية تنمية متوازنة بين المناطق الحضرية والريفية في إقليمها لتقليل الفجوة عن طريق إدخال الخدمات وتطوير الزراعة، اتضح من الدراسة الميدانية للباحثة عام 2011م أن سكان محلية المناقل تعتمد مصادر دخلهم على بيع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ومنتجاتها وتشكل أعلى نسبة بالمنطقة 66 %من جملة مصادر الدخل بالمنطقة بينما بلغت نسبة بيع المحاصيل الزراعية 53 %من هذه النسبة، كما أن 50%من مستوى دخل الأفراد بالمحلية تحت خط الفقر بسبب تدهور مدخلات الإنتاج الزراعي في مشروع المناقل(27)، نسبة لهذه المشاكل تشهد مدينة المناقل زيادة كبيرة في الحجم السكاني بسبب الهجرة خاصة من ريفها، لتركز الخدمات ومشاريع التنمية الاقتصادية فيها بالإضافة إلى عامل الزيادة الطبيعية،على الرغم أن المدينة لها الإمكانية أن تتوسع شرقًا وجنوبًا تجاه هضبة المناقل خصمًا على الأراضي الزراعية في القطاع المطري وهذا له تأثيرات كبيرة سلبية في المتغيرات التنموية الاقتصادية والاجتماعية بالمدينة؛ وإذا خطط تخطيطاًعلميًا لهذه الزيادة، فإن لها ايجابياتها فأصبحت موقع لتصريف الخدمات والسلع التي تنتجها المدينة لسكانها ولمدنها داخل إقليمها وخارجه، فتطورت وظيفتها ونمت المدينة بسبب ظهيرها البشري وبسبب الهجرات لها من الأرياف وسكان الضواحي الذين يأتون إلى المدينة بشكل يومي أو دوري لشراء احتياجاتهم وأيضًا يشكلون موردًا للعمالة بالنسبة للمدينة يزودون المدينة بالأيدي العاملة الرخيصة خاصة في مجال الصناعة.

من الجدول(1) يتوزع هؤلاء السكان على (51)حيًا: الأحياء القديمة الدسيس وود نفيع وعتقي وكشكوش، تم تخطيط المدينة عمرانيًا وتقسيم احيائها إلى مربعات ثم وتوسعت لاحقًا لتضم الاحياء(قرى تقع بالقرب منها)التالية:كوقيلا ورفاعة وحاج علي وودالمسلمي والكلاكلة ومبروكة ودار المقام ودار نايل والمنورة وعشم الله وود الشقل وطيبة وكرادي وأم طلحة.

جدول (1) توزيع سكان مدينة المناقل بألأحياء

اسم الحي	حجم السكان	اسم الحي	حجم السكان
النهضة 36و48	2308	مربع24	1070
حي ود نفيع	3218	السوق الصغير	204
حي المحافظ -37 -38 -43 42- -41 -40 39-72-71-70-45-44	4223	مربع31	1099
مربعات40و41	1019	حي رفاعة مربعات90-91-92- 26الحي القديم	2936
مربع30	1082	حاج علي	927
مربع28	1309	ود المسلمي	2576
مربع27	2123	مربعات34-50-49	4762
كوقيلا	1959	مربعات87-35	1632
مربع 93 وابو رصاص	120	حي النصر	7092
حي الدسيس	1967	حي مبروكة	1500
مربعات12-21-22	913	حي السلام	2500
مربع29	782	حي دار المقام	1597
منطقة الصناعات	67	مربعات 51-52-56-55-45-53- 60-59-58-57-62-61	6502
الوحدةمربعات 65-66-67	2395	عتقي الجعليين	2729
الكلاكلة مربعات57-23-15	1852	رابح ود البحر	2068
السوق الكبير	84	عتقي الجابريين	2787
مربعات21والاشلاق	1308	دار نايل شما ل	3452
المصانع	234	دار نايل جنوب	2828
مربع3	1280	حي المنورة عشم الله	516
مربع4	768	ود الشقل شمال	1838
مربع17-18	3677	ود الشقل جنوب	2053
مربعات15-16	2724	طيبة ود الشقل	1188
مربعات 36-14	919	كرادي	712
مربعات5	1666	أم طلحة شمال	1555
مربعات25-33	1123	أم طلحة جنوب	3310
		أم طلحة وسط	1222

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

احتوت مدينة المناقل على العديد من الخلفيات الديموغرافية المختلفة، مما جعل المدينة تحتوي على تنوع اجتماعي، تضم معظم القبائل السودانية من شمال السودان ووسطه وغربه وشرقه وجنوبه من رفاعة هم القواسمة العركيين والفرضيين والعبدلاب والفريجاب بالإضافة إلى قبائل البطاحين والبديرية والكواهلة والبعاشيم والحسنات والمسلمية والجعليين والفونج وكما تضم قبائل المسيرية والفور والتعايشة والشوايقة والدناقلة وغيرهم كما تضم مجموعة من قبائل غرب إفريقيا التي تتمثل في قبائل البرقو والتامة والفلاتة والهوسا وغيرهم، كما توافدت إليها مؤخرًا موجات جديدة من النازحين عام 1983م بسبب الحروب الأهلية من جنوب السودان وبسبب التصحر والجفاف من مناطق غرب النيل الأبيض ثم بسبب الحروب الأهلية عام 2003م من جنوب كردفان والنيل الأزرق ودارفور، وكذلك لتدهور الوضع الاقتصادي في السودان عامة فأصبحت جاذبة حتى لسكان الريف بإقليمها فالمنطقة تعتبر جاذبة منذ إنشاء المشروع في عام 1958م الذي أكسبها أهمية كبرى جعلتها من أهم مناطق الإنتاج في السودان ولقد شهدت المدينة حركة تجارية نشطة فتركزت فيها الأنشطة الإنتاجية والخدمية بكثافة.

التوزيع الحجمي لسكان مدينة المناقل مع مدن إقليمها والمدن الكبرى على النيلين:

يتضح من الجدول (2) أن مدينة المناقل هي الأولى في الإقليم من حيث حجم السكان فهي المدينة التجارية والإدارية والصناعية بالنسبة لإقليمها بينما المناطق الحضرية الأخرى في إقليم المناقل التي تمثل مراكز إدارية وتجارية للوحدات الإدارية فهي : مدينة الهدى هي الثانية من حيث حجم السكان وتبعد من مدينة المناقل45 كلم في الجزء الشمالي الشرقي ثم يوجد أيضًا مدينة الكريمت تشكل المركز الثالث وتقع شمال مدينة المناقل على بعد20 كلم، ثم مدينة العزازي في المرتبة الرابعة تبعدعن مدينة المناقل50 كلم ثم تأتي مدينة ود النورة وتبعد عن مدينة المناقل 60كلم، ومدينة قبوجة تبعد70 كلم عن مدينة المناقل ثم مدينة 24القرشي وتبعد عن مدينة المناقل 33كلم، كذلك مدينة الشكينيبة تمثل المركز الثامن وتبعد 10 كلم عن مدينة المناقل بينما مدينة سرحان في المرتبة التاسعة وتبعد عن مدينة المناقل 60 كلم. وتحتل مدينة الرخا المرتبة العاشرة تبعد عن مدينة المناقل 50 كلم، وأخيرًا مدينة معتوق التي تبعد عن المناقل 65 كلم، لا تخرج جميع المراكز الحضرية في الإقليم عن دور الزراعة تمامًا فمن الحقائق المسلم بها

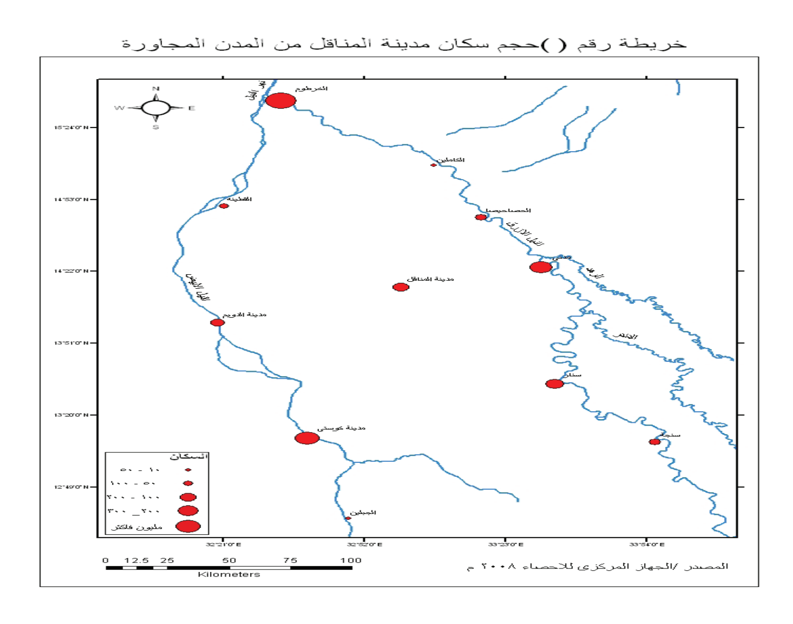
أن هذه المناطق في الأصل كانت قرى قديمة قبل المشروع تعتمد على الزراعة المطرية ولكن تطورت بها الزراعة بعد المشروع ثم أصبحت مراكز تجارية لتسويق المحاصيل الزراعية وبعضها أصبح مراكز إدارية وتسويقية تعتمد جميعها تجاريًا على مدينة المناقل وبالإضافة إلى ذلك يشتغل سكانها في الورش ومركبات النقل ويمكن أن تعتبر مراكز خدمات لريفها التابع لها، ماعدا وحدة ريفي المناقل تمثل مدينة المناقل هي المركز الرئيسي لها، لوقوعها في هضبة المناقل وصعوبة النقل والاتصال بين ريفها استحال وجود مركز إداري لها من مراكز العمران التابعة إليها مماجعل إنشاء مركزها في داخل مدينة المناقل أفضل، بسبب سهولة الوصول إلى مدينة المناقل التي تعتبر المنطقة الرئيسية تغذي سكان ريفي المناقل بالسلع والخدمات كما أن الكثير من قراها مربوطة بطرق نقل يومية وبعضها مربوطة بيومي السوق.

جدول (2) حجم سكان المدن بإقليم المناقل 2008 م

المركز الحضري	حجم السكان	المرتبة	المركز الحضري	حجم السكان	المرتبة
المناقل	٩٩٧٥٧	الأولى	٢٤القرشي	٦٩٧٤	السابعة
الهدى	١٣٠٣٨	الثانية	الشكينيبة	٦٦٥٠	الثامنة
الكريمت	١١٧٠٢	الثالثة	سرحان	٦٥٠٨	التاسعة
العزازي	١٠٩٦٩	الرابعة	الرخا	٢٨٦٨	العاشرة
ود النورة	٩٩١٥	الخامسة	معتوق	٢٢٦٩	الحادية عشرة
قبوجة	٧٠١٥	السادسة			

المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء2008م

أما بالنسبة لمقارنة حجم سكان مدينة المناقل بولاية الجزيرة على حسب (تعداد 2008م) فإنها تمثل المدينة الثانية بعد مدينة ود مدني (201038 نسمة)، والثالثة مدينة الحصاحيصا (47408 نسمة) والرابعة مدينة الكاملين (17742نسمة)،أما بالنسبة لمقارنة حجم سكان مدينة المناقل بمدن بالأقاليم التي تجاورها بصفة عامة التي تشكل مراكز تجارية وإدارية (ثلاث عشرة مدينة) أي المدن التي تقع على ضفتي النيل الأزرق والأبيض، انظر خريطة (9) فتوجد الأولى مدينة الخرطوم (1295047نسمة) والثانية مدينة كوستي التي يبلغ عدد سكانها(213080نسمة) والثالثة مدينة ود مدني(201038نسمة) والرابعة مدينة ربك(123890) والخامسة سنار التي يبلغ حجم سكانها(123158) نسمة، بينما مدينة المناقل في المرتبة السادسة حجم سكانها (99775 نسمة) والسابعة الحاج عبد الله (85969 نسمة) والثامنة مدينة الدويم (73622نسمة) والتاسعة مدينة سنجة(56058 نسمة) والعاشرة مدينة الحصاحيصا(47408 نسمة)، والحاديةعشرة القطينة (32169 نسمة)، والثانية عشرة مدينة الكاملين (17742نسمة)، وأخيرًا مدينة الجبلين التي يبلغ حجم سكانها (12703نسمة)، فمدينة المناقل حجم سكانها كبير بالنسبة للولاية التي تقع فيها، والإقليمين المجاورين لها وهي تمثل مركز الوسط الذي لا تنافسها فيه مدينة، فهي تشكل أهمية من حيث الموقع وحجم السكان والحجم الاقتصادي بها.



عمل :الباحثة اعتمادًا على الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

تطور الخدمات الاجتماعية بمنطقة الدراسة:

تعتبر الخدمات الاجتماعية بأنواعها المختلفة وأدوارها المتباينة من المرتكزات الأساسية في تطور المجتمعات الريفية والحضرية ؛ ذلك لأنها تساعد في دعم القوى الكامنة في الإنسان للحصول على أفضل أداء لمساهمته الإيجابية في النهوض بالمجتمعات وبذلك تعد بمثابة نسق مكملة للعملية الإنتاجية. لقد ارتبط ازدهار مدينة المناقل بازدهار النمو الاقتصادي والنمو السكاني السريع التوسع في نشاطات القطاعات الخدمية سواء كان الحكومية أوالخاصة مثل التعليم والصحة والمياه والكهرباء والطرق والإسكان وغيرها للطلب الزائد عليها. تم إنشاء العديد من المؤسسات الخدمية بصورة واسعة في التسعينيات بمدينة المناقل وتتمثل في الآتي على حسب(تقرير محلية المناقل، 2015م) : (28)

1 / الخدمات التعليمية:

انتشر التعليم بصورة واسعة في التسعينيات بمدينة المناقل تم إنشأء العديد من المؤسسات الخدمية بالمنطقة وتتمثل في مؤسسات التعليم قبل المدرسي (رياض أطفال) الذي بلغ عددها(66 روضة) والتعليم الأساسي (65مدرسة) والتعليم الثانوي (10 مدارس) بالإضافة إلى التعليم الجامعي يتمثل في جامعة المناقل وكما يوجد فيها فرع لإدارة مركز جامعة السودان المفتوحة وكذلك تضم كلية التربية جامعة القرآن الكريم , وكلية الإنتاج الحيواني جامعة الجزيرة وأكاديمية العلوم الصحية.

2/ الخدمات الصحية:

قبل إنشاء المشروع 1958م لم تحظ المدينة بالخدمات الصحية وكان السكان قبل تلك الفترة علاجهم عن طريق العلاج الروحي على أيدي الشيوخ أو بالأعشاب البلدية، وبعد قيام المشروع وحتى نهاية السبعينيات أنشأت الخدمات الاجتماعية التابعة للمشروع، كالشفخانات ونقاط الغيار ومستشفى المناقل ثم في التسعينات تطور مستشفى المناقل التعليمي وشمل جميع أنواع التخصصات، ثم تم إنشاء أربعة مراكز صحية وتم تطوير ثلاث شفخانات وبعض الوحدات العلاجية الصغيرة كما أنها تضم المؤسسات الصحية المتطورة مستوصفات وعيادات خارجية و(مدرسة القابلات) وتدريب الممرضين ومركز بيطري وعدد من الصيدليات.

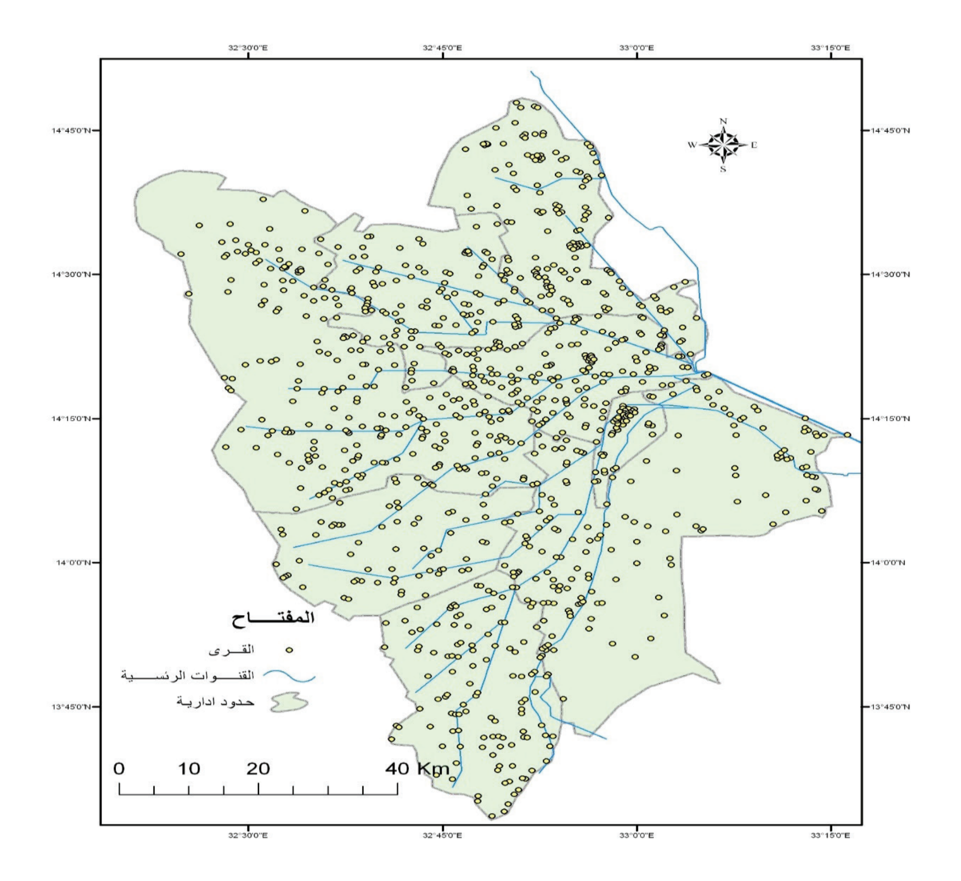
3/ خدمات النقل بمدينة المناقل:

تأثرت منطقة الدراسة أكثر بتأخر طرق مواصلاتها فقد أدت صعوبة المواصلات بينها وبين غيرها من الأقاليم الأخرى إلى شبه عزلة خاصة في فصل الخريف ولعل أهم أسباب ذلك يرتبط بظروف فصل الخريف في المنطقة والتربة الطينية وانعدام الطرق المسفلتة داخل إقليمها، وتتمثل الطرق الترابية الرئيسية التي تربط مدينة المناقل بالمدن الريفية داخل حدود إقليمها في قنوات الري التي تعتبر شرايين النقل الرئيسية التي تربط القرى بعضها مع بعض والمراكز الإدارية والتجارية خارج حدود الإقليم مع مدينة المناقل، انظر خريطة[10]،

تقع مدينة المناقل في وسط ولاية الجزيرة التي تتوسط المنطقة المأهولة بالسكان في السودان، ولهذا فإن الطرق المسفلتة التي تربط شرق السودان بغربه ترتبط بها مدينة المناقل عبر مدينة ود مدني (62 كلم)، يخرج الطريق المسفلت من شرق مدينة المناقل تجاه مدينة مدني ثم يربط كل من مدينة سنار والعاصمة القومية والقضارف كسلا وبورتسودان وطريق غرب مدينة المناقل يربطها بمدينة القرشي (33كلم) والدويم (65 كلم) ثم يربط كل من مدينة ربك وكوستي والأبيض، لا يمر الخط الحديدي المتجه نحو غرب السودان وجنوبه عبر المناقل. كما لا يوجد فيها مطار دولي، وأقرب مطار إليها هو مطار ود مدني.

تساهم وسائل النقل بصورة فعالة في نقل الإنتاج والبضائع والركاب من القرى إلى الأسواق الدورية مربوطة بطرق ترابية في كل منطقة الدراسة، فجميع المحلات العمرانية بكل وحدة إدارية لها وسائل نقل يومية خاصة في يوم السوق الذي يعتبر قمة الازدحام بالعربات والزوار من الساعة السابعة صباحًا إلى الثالثة مساءً، بالإضافة إلى أن مدينة المناقل مربوطة بطرق نقل ترابية مع المدن المجاورة في النيل الأبيض والأزرق تتمثل في طريق المناقل ود مدني وطريق المناقل الحصاحيصا وسنار والحاج عبدالله، القطينة، وطابت، والحوش، وود رعية وغيرها مما أ دى إلى اتساع إقليمها خارج المحلية، من الطبيعي أن يرافق حركة النقل التنمية التي حدثت بالمنطقة عقب مشروع المناقل لتصريف الإنتاج والسلع بين المناطق مهما كان نوع الطرق مسفلت أم ترابية نسبة لكثافة السكان والاستقرار وظهور مراكز تجارية وإدارية لتسهيل الاتصال بين أجزاء الإقليم والحصول علي الخدمات.

خرطة(10) ارتباط مراكز العمران بقنوات الري بمنطقة الدراسة



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

4/ خدمات المياه والكهرباء:

خدمات المياه والكهرباء من الخدمات المهمة التي أولت الجهات الإدارية الاهتمام بها بقصد توفير الماء الصالح للشرب لوقاية السكان من خطر الاعتماد على المياه الملوثة من قنوات الري التي تتسبب في انتشار أمراض المياه،ك ما يجب توفيرها لكل مسكن وأن يطابق تشغيل محطة المياه وشبكة المواسير والخزانات للمواصفات الفنية كما يجب التأكد من وجود مورد مائي كافٍ يقابل احتياجات السكان من إحتياجات منزلية أوخدمات أوصناعة، فيوجد بمدينة المناقل (12) بئرًا ارتوازيًا لا تلبي حاجة السكان المنزلية والصناعية بسبب الزيادة السكانية والتطور الاقتصادي بالمنطقة.

أما بالنسبة لخدمات الكهرباء بالمدينة هي أساس التنمية للاستفادة منها في كل المجالات التنموية المختلفة ووحدة مدينة المناقل جميعها منارة من الشبكة القومية للكهرباء.

5 / الخدمات الإدارية:

الخدمات الإدارية من الخدمات المهمة التي تساعد السكان في الإشراف والتنسيق والمتابعة لمشاريع التنمية المختلفة بالمنطقة، تتركز جميعها في رئاسة المحلية بمدينة المناقل حيث توجد بها مكاتب رئاسة المحلية ومكاتب الشرطة ومكتب المياه ومكتب الرعاية الاجتماعية ومكتب تعليم الأساس وتعليم الثانوي وتعليم ما قبل المدرسي ومكتب الخدمات الصحية ومكتب الخدمات الثقافية، بالإضافة إلى ذلك تضم رئاسة كل إدارات مؤسسات القطاع الخاص.

6 /الخدمات الأمنية:

كانت الخدمات الأمنية قبل المشروع1958م تديرها الإدارة الأهلية ممثلة في شيخ القرية الذي يعتبر السلطة العليا، ولكن بعد إنشاء المراكز الأمنية بواسطة الحكومة المركزية تضاءل دورها وحتى الآن لا تزال لها دور في حل المشكلات الاجتماعية البسيطة على مستوى المناطق الريفية، بعد قيام المشروع تم إنشاء المراكز الأمنية بواسطة الحكومة المركزية لفض النزاعات وحفظ الأمن؛ لأن المنطقة أصبح بها عدد كبير من القبائل المختلفة، فأنشئت المراكز الأمنية الكبرى في مدينة المناقل متمثلة في رئاسة الشرطة بأنواعها المختلفة والسجن الكبير والمحاكم العليا.

7 / خدمات الاتصال:

بدأت خدمات الاتصال في أماكن القناطر الزراعية لخدمة مواطن المنطقة ولكن بمرور الزمن وعدم الإهتمام بها وقلة الصيانة والمراقبة تقلص دورها أصبحت الآن لا تؤدي دوراً. وفي عام 1999م أدخلت كبانيات الاتصال في جميع مراكز الإقليم فارتبطت بشبكة اتصالات الهاتف الثابت والمحمول، فأدخلت الهواتف في المؤسسات الحكومية والتجارية لخدمة عامة السكان ويسرت عملية الاتصال بصورة واضحة الحركة التجارية والصناعية بمدينة المناقل كما توجد فيها خدمات الإنترنت.

8/ الخدمات الثقافية والترفيهية:

لا تجد هذه الخدمات الاهتمام الكافي من قبل المحلية الشيء الذي انعكس على الدور المناط بها ويتمثل وجودها في المدينة في أندية كرة القدم، هناك عدد من الأندية

والفرق الرياضية منها النادي الأهلي ونادي الهلال المناقل ونادي المريخ المناقل ونادي الموردة المناقل ونادي الزهرة وفريق النيل الرياضي وفريق السلام الرياضي ونادي اتحاد كوقيلا وفريق حي ود نفيع وفريق الأندلس وفريق عتقي، فضلًا عن وجود المدارس فإن نشاطها الثقافي محدود في إطارها لايتعدى سكان المدينة فإنه لا تصل رسائله الثقافية للمجتمع المحلي بالإضافة إلى وجود بعض الملاعب الرياضية البسيطة في الأحياء.

أما بالنسبة للخدمات الترفيهية لا توجد منتزهات عامة بمدينة المناقل إلا منتزهًا واحدًا ظهر نتيجة لتطورها العمراني والسكاني بالإضافة إلى وجود سينما واحدة، كما لا توجد بالمنطقة المسارح نسبة إلى العادات والتقاليد المحافظة.

9/ الخدمات المصرفية:

نسبة لانتعاش المنطقة تجاريًا وصناعيًا توجد بالمدينة بعض فروع المصارف منها: البنك السوداني الفرنسي وبنك المزارع وبنك التنمية التعاوني الإسلامي والبنك الإسلامي السوداني والبنك الزراعي السوداني وبنك النيلين وبنك الخرطوم.

10 / خدمات أخرى:

يوجد بمدينة المناقل عدد من المساجد والزوايا وعدد من محطات الوقود في كثير من الأحيان على الطرق العابرة إلى مراكز الوحدات الإدارية التي بلغ عددها إحدى عشرة محطة وقود.

• النشاط الاقتصادي:

كان النشاط الاقتصادي لسكان المنطقة قبل قيام مشروع امتداد المناقل الزراعي يتركز على الزراعة المطرية في فصل الخريف وتربية المواشي ثم تنوع النشاط بعد قيام المشروع ليشمل الزراعة المروية والتجارة والصناعة المرتبطة بالمنتجات الزراعية. وتعتبر مدينة المناقل من المناطق الرئيسية لمدّ العاصمة الخرطوم بالحبوب.ويمكن أن نشير إلى ملامح عامة للنشاط الاقتصادي بإقليم المناقل وما تستفيد منه المدبنة في اقتصادها كمايلي:

1/ الإنتاج الزراعي بإقليم المناقل:

تمارس حرفة الزراعة بإقليم المناقل بنمطين من حيث الري، زراعة بالري المروي من خزان سنار متمثلة في مشروع المناقل وأُخرى بالقطاع المطري في المناطق التي لم يغطها المشروع انظر خرطة (11).ويمكن تناولها على النحو التالي:

أ /الزراعة في القطاع المروي:

يعتبر القطاع الزراعي المروي فى السودان من القطاعات الرائدة التي تسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في دفع عملية التنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي. يعتبر مشروع المناقل من مشاريع القطاع المروي الذي يساهم في الاقتصاد السوداني، وإستيعاب المزيد من العمالة الزراعية المحلية والوافدة واستقرار الآلاف من المزارعين وأسرهم. إذ تبلغ مساحة المشروع 1.014.015/ فدانًا(29) وأن نظام الزراعة بالري الصناعي الانسيابي جعل لاستخدام الأرض طابعًا خاصًا يختلف عن الاستخدامات الأخرى من رعي وزراعة مطرية. تبلغ مساحة الحواشة في مشروع المناقل (15فداناً) وتغيرت الدوره الزراعية مرارًا من ثلاثية إلى رباعية وأخيرًا خماسية.و تنوعت المحاصيل الزراعية تبعًا لذلك وتركت حرية اختيار المحاصيل للمزارع من قطن وفول وقمح وذرة وخضروات وفاكهة وغيرها من المحاصيل الزراعية التي يمكن أن يزرعها في الموسم الزراعي على حسب المساحة التي يستطيع أن يزرعها.

ب/ الزراعة في القطاع المطري:

بدأ تاريخ الزراعة بالمنطقة قبل إنشاء المشروع، بدأت الزراعة بدائية تعرف بالبلدات، وتعتمد على الري المطري في فصل الصيف تهدف إلى الاكتفاء الذاتي، ولكن إذا نظرنا إلى خرطة أنماط الزراعة خريطة (11) ما زالت الزراعة مستمرة بالمنطقة في الجزء الجنوبي الشرقي أي تغطي معظم وحدة ريفي المناقل؛ نسبة لوجود هضبة المناقل التي يبلغ ارتفاعها أكثر من 400متر، هذا الارتفاع أعلى من منسوب مياه الري مما استحال زراعتها بالري الصناعي، إذ إن الدراسات ما زالت جارية في كيفية ريها عن طريق الري الصناعي بالطلمبات أو الري الانسيابي لأنها تربة خصبة تركيبتها مثل تركيبة تربة الجزيرة، تبلغ مساحة هذه الهضبة أكثر من 300 ألف فدان، وهذه المساحة تعول عددًا كبيرًا من الأفراد التي تنتشر في قراها انظر خريطة (11)، والمساحة للفرد تسمى جدعة (مساحتهاحوالي خمسة»أفدنة») وتحدد عن طريق الترس وتزرع محصول الذرة «الفتريتة» كما تزرع بمحصول السمسم.وأيضًا تزرع الهوامش الشمالية والغربية التي لا يغطيها مشروع المناقل تمارس الزرعة المطرية.

ج/ تـربية الحيوان:

تعتبر حرفة الرعي الحرفة الرئيسية لمعظم سكان المنطقة إلى جانب حرفة الزراعة لأن البيئة الموجودة تناسب النمطين فلا تخلو أي أسرة من ثروة حيوانية في مناطق الزراعة المطرية والمروية على الرغم من أن الدورة الخماسية بالمناطق المروية قللت

من الأراضي البور التي تمثل مراعي طبيعية في موسم الأمطار. ولكن من ناحية أخرى فإن الزراعة تعطي كما أخذت إذ إنها تترك بقايا المحاصيل مرعى طيبًا للثروة الحيوانية.

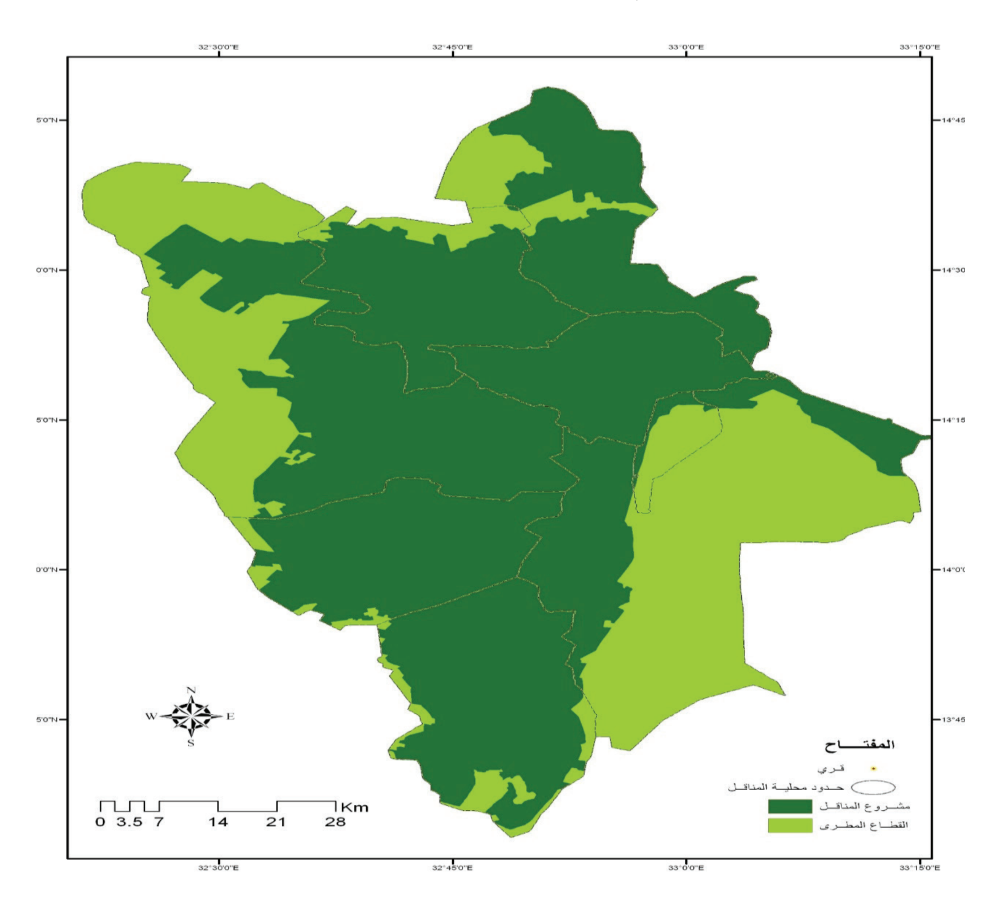
يتضح من السجل الإيرادي لأسواق محلية المناقل (2009م) (30)أن الثروة الحيوانية لها دور في أسواق المنطقة نسبة لوجود ثروة حيوانية كبيرة بالمنطقة نتيجة لتوافر الغذاء من بقايا المحاصيل الزراعية بعد الحصاد وتوافر الأعلاف بالمنطقة، كما أن موقع إقليم المناقل على المناطق التي تجاوره شمالًا وغربًا والجزء الجنوب الشرقي تعتمد علي الزراعة المطرية مما جعل حركة الرعاة تجاهها في موسم الأمطار؛ نسبة لوجود الزراعة المروية التي أصبحت تزرع بها محاصيل متنوعة في جميع المساحات الزراعية بنظام الدورة الخماسية، لم تترك مجالًا فسيحًا لحركة الرعاة مما جعل حركة الرعاة في موسم الزراعة المروية يتجهون صوب محلية القطينة في الشمال والغرب ومحلية الجبلين وسنار في الجنوب، بالإضافة إلى الهوامش الشمالية والغربية التي لم يغطها مشروع المناقل، بالإضافة إلى وحدة ريفي المناقل التي يقع معظمها في القطاع المطري أ، فأصبحت هذه تمثل مراعي طبيعية للثروة الحيوانية بالمنطقة، يتضح من الجدول(3) حجم الثروة الحيوانية الكبير بالمنطقة، وهي تساهم بقدر كبير في تغذية الأسواق بكل منتجاتها وكذلك تغذي أسواقًا خارج إقليم المناقل للمحليات المجاورة وأن هذه الأرقام ليست هي الأرقام الكلية للثروة نسبة لحركة الرعاة تجاه النيل الأبيض والأزرق وكذلك حركتهم في موسم التحصيل خوفًا من دفع رسوم القطعان. فالإنتاج الزراعي بشقية النباتي والحيواني أوجد حركة تجارية نشطة بمدينة المناقل لوقوعها في منطقة زراعية واسعة.

جدول (3) الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة

اسم الوحدة	عدد الأبقار	عدد الضأن	الماعز	الجمال
العزازي	20000	20000	25000	-
الجاموسي	25000	20000	20000	10000
الماطوري	16000	18000	28000	-
الهدي	20000	12000	9000	-
الكريمت	18000	8000	9000	-
ريفي المناقل	12000	25000	600	-
معتوق	25000	20000	30000	5000
المجموع	136000	123000	101600	15000

المصدر: محلية المناقل 2009م

خرطة(11) أنماط الزراعة بمنطقة الدراسة



المصدر:عمل الباحثة اعتمادًا على http://srtm.csi.cgiar.org data FAO 2002.
والجهاز المركزي للإحصاء 2008م

2/ النشاط التجاري بمدينة المناقل:

توجد حركة تجارية نشطة بمحلية المناقل لوقوعها في منطقة زراعية واسعة، فمدينة المناقل التي تمثل المنطقة المركزية الرئيسية لإقليمها ونفوذ خدمتها يغطي كل إقليم المناقل وخارج حدودها الإدارية، فهي تمثل مركز الثقل الوظيفي إذ إنها تعكس الأهمية المركزية الجغرافية في إقليمها ولا شك أن مدينة المناقل بمثابة القلب لهذا الظهير، وقد أخذت هذا المكان انطلاقًا من تسهيلات النقل والمواصلات للوصول إلى المدينة، كما أن مدينة المناقل نمت في مناطق تماس الفضاء من ناحية الجنوب والشرق

تجاه مناطق القطاع المطري ووفرت مساحات واسعة للسكن للحجم السكاني الكبير الذي كان له أثر الكبير في تنوع الوظائف التجارية والصناعية مماجعل فيها سوقًا واسعًا ومتخصصًا لتبادل السلع والخدمات الوظائف والخدمات التي تؤديها المدينة من خلال العديد من المؤسسات والمنشات المتنوعة سواء الصناعية والتجارية والإدارية والتعليمية والصحية.

فالعمل الزراعي في واقع الحال عبارة عن مجموعة أنشطة متكاملة ومترامية تبدأ بالإنتاج ومؤشراته ثم التسويق ثم انتهاء بالاستهلاك والأنماط الاستهلاكية المختلفة، فالاهتمام بالتسويق الزراعي هو نجاح العملية الزراعية، فالمنطقة تتعدد بها الأسواق الدورية منذ قيام مشروع المناقل (1958م)، كان قبله التسويق ضئيلًا يتركز في مدينة المناقل التي كانت عاصمة الإقليم منذ الاستعمار، فهي تمثل مركزًا تسويقيًا صغيرًا للمحاصيل الزراعية المطرية وبعض السلع الاستهلاكية الضرورية التي يتم التبادل التجاري بها عن طريق الدواب (الجمال، والحمير) ثم ترجع محملة بالسلع الاستهلاكية الضرورية اليومية لتوزيعها بالقرى.

سوق مدينة المناقل بعد قيام مشروع المناقل تطور تطورًا سريعًا منذ السبعينيات ويعتبر من أكبر الأسواق في المنطقة بها سوق (السوق الكبير+ السوق الصغير) متخصص يجذب العديد من المستفيدين من خارج حدودها، بالإضافة إلى ذلك حدد لها يوم الأحد والأربعاء سوق رسمي يتجمع فيه العديد من سكان المنطقة وخارج المنطقة سواء كانوا عارضين أو طالبين. يوجد فيها سوق الحبوب الزراعية (سوق الذرة وسوق القمح وكذلك سوق الفول السوداني) كما يوجد بهاسوق الخضر والفاكهة وموردة البصل(الملجة) كما توجد بها أسواق متخصصة في بيع منتجات الثروة الحيوانية (سوق الدواجن سوق الجلود وسوق اللبن بالإضافة لبيع الحيوانات والأبقار والضأن والماعز والدواب)، يوجد بالمدينة عدد(2851 دكانًا) ثابت جملة وقطاعي لبيع السلع الاستهلاكية الغذائية. والملابس والأثاث والأواني المنزلية والذهب وغيرها. هنالك بالمدينة محلات مخصصة لبيع اللحوم يسمى بالجزارات. يوجد في سوق مدينة المناقل (35) جزارة كما أنه السوق الوحيد بالمنطقة الذي توجد به مكاتب استيراد وتصدير من الخارج عدد (3) وبها اللكوندات عدد (2)، وسينما، ومحلات التوكيلات والترحيلات عدد (8) والمطاعم السياحية ومحلات الباسطة عدد (4) والمركبات السياحية عدد (75) مركبة التي تربطها بود مدني والعاصمة

القومية، ودلالة العربات عددها (8) وكوافير السيدات عددها (3)ومحلات السوبرماركت عددها(39)، كما توجد بها محلات الحدادة والنجارة والمغالق والورش ومحلات الأثاثات المنزلية والأواني وبيع العطور وصيانة الأجهزة الكهربائية والاستديوهات والاتصالات ومراكز الغاز والاسبيرات وبيع العجلات والبوتيكات والملبوسات والمجوهرات وغيرها من السلع التي تزخر بها دكالكين البيع القطاعي [31].

نشاط الصناعة بمدينة المناقل:

التربة الخصبة والمراعي والإنتاج الزراعي والحيواني والتخصص السلعي والخدمي والتغلغل بين المدن وطرق النقل الترابية التي تربط كل المنطقة وتوافر الأيدي العاملة الرخيصة بالإضافة إلى ربط التيار الكهربائي في كافة إقليم المناقل منذ تاريخ 2011م أدى إلى تأمين احتياجات سكان إقليم مدينة المناقل من المواد الغذائية وساعد على قيام العديد من الصناعات الخفيفة والصغيرة، ولعل أهم ما تقدمه هذه المدينة في المجال الصناعي لخدمة المنطقة هو مد جسور التعاون والاتصال مع المعاهد والكليات والجامعة لتبادل المعارف، والاستفادة من الخبرا ت التي تدرس بمركز التدريب على الصناعة، مما يترتب عليه قيام علاقات اجتماعية جديدة، إضافة إلى دورها قي رفع القدرة الشرائية في المنطقة وكذلك قيام حركة عمل يومية بين الموقع والمناطق المجاورة، فإن التوسع في المواقع الصناعية الجديدة ترتب عليه تغيير في بنية القوى العاملة المهنية للسكان من رعي وزراعة وخدمات إلى صناعة. كما ترتب عليها آثار اجتماعية تتعلق بإمكانية الخدمات الاجتماعية الأساسية التي تحتاجها الصناعة في المنطقة، كالخدمات الصحية والثقافية والماء والكهرباء والوضع الاجتماعي في المنطقة، أي إيقاف الهجرة السكانية منها ـبسبب خلق فرص العمل.

وعلى حسب التقرير الصناعي لوزارة الصناعة (2016م) (32) توجد مجموعة المنشآت الصناعية الكبيرة العاملة في مدينة المناقل ويمكن أن نناقشها كما يلي:

(أ) التصنيع مبني على الإنتاج الزراعي:

توجد بمدينة المناقل المصانع الكبيرة للصناعات الخفيفة يتمثل هذا النمط بصورة أكبر في الصناعات الغذائية التي يبلغ عددها(27) مصنعًا لصناعة الأغذية والمشروبات ومرده إلى النمو السكاني المطرد وتغير النمط الاستهلاكي، فالصناعات الغذائية هي

حلقة الوصل وعجلة التوازن بين السياسات القومية للتنمية الزراعية والصناعية. وتكمن أهمية التصنيع الغذائي في مدينة المناقل لتشجيع التوسع الأفقي والرأسي في الإنتاج الزراعي في مشروع المناقل وهذا يحقق الأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي ويخلق فرص عمل جديدة بالمدينة، تتوزع أنواع هذه الصناعات الغذائية إلى:عدد (3) مطاحن حبوب ويعتبر هذا القطاع أحد أهم قطاعات الصناعات الغذائية الرئيسية زاد عدد مطاحن الحبوب بالمدينة بسبب إدخال القمح في الدورة الزراعية بمشروع المناقل وكلما توفر القمح من مشروع المناقل يساهم في تغطية إحتياجات الطلب المحلي المتنامي من الدقيق، مشاكل قلة الدقيق التي انتشرت في كافة السودان ويعزى ذلك بصورة أساسية إلى مشاكل تمويل القمح بالمنطقة، حيث أصبح تمويل توريد القمح لأي مطحن هو الهم الأكبر لإدارة المطحن، كما يوجد مصنع واحد لمعاصر الزيوت، وعدد (3)مخابز آلية كبيرة،عدد (3)مصانع للبسكويت وعدد (8) مصانع للطحنية والحلويات وعدد (3) مصانع للمواد الغذائية وعدد (6) مصانع للشعيرية والسكسكانية، ومصنع واحد للثلج، كما يوجد مصنع للعلف الحيواني.

ومن المصانع الكبيرة التي لا توجد مادتها الخام من الإنتاج الزراعي المحلي يتمثل في: عدد (2) مصنع لصناعة الخشب، وعدد(1) مصنع لصناعة المواد والمنتجات الكيماوية (صابون) وعدد (1) مصنع لصناعة منتجات المطاط واللدائن فهي صناعة الأحذية الإسفنجية والبلاستكية.

أما صناعة الأغذية التي تصنع في مجموعة المنشآت الصغيرة :منها(34) طاحونة لطحن الحبوب بالإضافة إلى (18) مصنعًا صغيرًا لمعاصر الزيوت عن طريق الوابورات الكهربائية الصغيرة و(15) مصنعًا للصناعات الغذائية (الحلويات والنشويات). بالإضافة إلى ذلك هنالك مجموعة المنشآت الصغيرة التي لا توجد مادتها الخام من الإنتاج الزراعي المحلي تتمثل في: عدد (16) مصنعًا لصناعة الخشب وعدد (36) مصنعًا لتشكيل المعادن وورش وحدادة وعدد (9) مصانع لصناعة الأثاث.

أما التصنيع الحيواني بأسواق محلية المناقل مصانع صغيرة لصناعة الجبنة البلدية فيوجد في سوق العزازي (5) مصانع جبنة وفي أسواق وحدة الجاموسي (20) مصنع جبنة وفي أسواق وحدة الماطوري (17) مصنعًا وفي سوق الهدي (5) مصانع وفي أسواق

معتوق(25) مصنعًا للجبنة وكذلك يوجد في أسواق ريفي المناقل(23) مصنعًا، هذا يوضح خلو مدينة المناقل من التصنيع المبني على الإنتاج الحيواني سواء كان في مجموعة المنشآت الكبيرة أوالصغيرة على الرغم من أن المنطقة تزخر بأعداد كبيرة من الثروة الحيوانية كما ذكر آنفًا، مما يؤكد ضعف البيئة الاقتصادية المؤاتية للاستثمار في مجال التصنيع الحيواني بالمدينة، وهذا يفسح مجالًا كبيرًا للاستثمار في صناعة اللحوم والألبان ودبغ الجلود وصناعة الأحذية والشنط الجلدية وغيرها، مما يوفر فرص عمل إضافية وكذلك يسهم في نهضة مدينة المناقل وتطورها.

الخاتمة:

مرت مدينة المناقل بفترات تاريخية قديمة منذ تاريخ الحضارة النوبية ثم مملكة الفونج إلى تاريخ السودان الحديث هي الأساس في نشأة مدينة المناقل ثم تطورت بسبب الإمكانات الطبيعية من تربة خصبة وموارد مائية وانعدام العوائق الطبيعية بالإضافة إلى ذلك قيام مشروع المناقل1958م الزراعي أسهم إسهامًا كبيرًا في نهضة المدينة عمرانيًا واقتصاديًا وخدميًا وهذه العوامل مجتمعة حددت أهمية مدينة المناقل فأصبحت من مراكز الاستقطاب الحضري فجذبت السكان من إقليم المناقل ومن جميع مناطق السودان وغرب إفريقيا.

الهوامش:

(1) عبد الفتاح محمد وهيبة: في جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص 40.

(2) رشوان حسن عبد الحميد:المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية الطبعة الخامسة، 1989،ص 82.

(3) أحمد البدوي محمد الشريعي: دراسات في جغرافية العمران دراسة تطبيقية على منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية، دار الفكر العربي، القاهرة مدينة نصر1995م، ص24.

(4) يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ المماليك الاسلامية في السودان الشرقي1450-1821م،معهد البحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 2002، ص24.

(5) تاج السر عثمان الحاج : لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعي -1504 1821 م، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة امدرمان الاهلية، 2004م، ص151.

(6) محمد النور ابن ضيف الله :كتاب الطبقات، تحقيق الشيخ إبراهيم أحمد صديق، الدار السودانية للكتب، الخرطوم،2009م، ص32 - 232.

(7) (مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية. تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل، مكتبة السكري، القاهرة، 1961م، ص41-72.

(8) عباس صالح موسى :الإدارة العامة في السودان، مركز محمدعمر بشير للدراسات السودانية،، 2005م، أم درمان ص118.

(9) د.و.ق : (ب.ت) :وثيقة مهدية 6/42/1 حدود العمالات المدنية الوسطى لدولة المهدية، الدارالسودانية للوثائق، الخرطوم.

(10) عباس صالح موسى: 2005، مرجع سابق،ص119.

(11) محلية المناقل :التقرير الإحصائي لوحدة مدينة المناقل، المناقل، 2015م.

(12) محلية المناقل :2015م، المرجع نفسه.

(13) إدارة مشروع الجزيرة،1966: مجلس إدارة الجزيرة، مشروع الجزيرة بين الأمس واليوم، بركات، ود مدني، 1966، ص 13.

(14) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي : السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، القاهرة، 1966، ص26.

(15) صلاح الدين علي الشامي : السودان دراسة جغرافية منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972م، ص124.

(16) إدارة مشروع الجزيرة، : تقرير عن تكوينات الجزيرة، بركات، ود مدني، 1995،م، ص 21.

(17) الهيئة العامة لمصلحة الجيولوجيا:الخريطة الجيولوجية للسودان،الخرطوم، 2009م.

(18) إدارة مشروع الجزيرة: 1966م، مرجع سابق، ص 13. 32،

(19) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي : 1966، مرجع سابق، ص128.

(20) المرجع نفسه، ص129.

(21) إدارة إلارصاد الجوي : التقرير السنوي لحالة المناخ في ولاية الجزيرة، أرصاد ود مدني،2009.

(22) تقرير برنامج الأمم المتحدة للبيئة: تقريرالسودان الأول عن حالة البيئة والتوقعات البيئية2020م، ص86.

(23) إدارة الأرصاد الجوي : تقرير عن متوسط المطر في السودان خلال ستين عام(1950 الى2009) الهيئة العامة للإرصاد الجوي، الخرطوم،2009م.

(24) إدارة مشروع المناقل : تقرير عام لمشروع المناقل،إدارة المشروع، 24القرشي،2009، ص4.

(25) الجهاز المركزي للإحصاء:التعداد السكاني الخامس لجمهورية السودان، مصلحة الإحصاء،الخرطوم، 2008م.

(26) عمر يوسف الطيب :علم اجتماع السكان وتطبيقاته مع الوصف والتحليل

المقارن لسكان السودان،الجهاز المركزي للإحصاء، الخرطوم، 2005م ص109.

(27) امال جاد الرب على :النظام المكاني محلية المناقل دراسة تحليلية، دكتوراة، كلية الدراسات العليا، جامعة الزعيم الأزهري، 2011م، ص-117 120.

(28) محلية المناقل :، 2015م، مرجع سابق.

(29) إدارة مشروع المناقل : 2009م، مرجع سابق، ص5.

(30) محلية المناقل: للسجل الإيرادي لأسواق محلية المناقل، تقرير عن الثروة الحيوانية بمحلية المناقل، مدينة المناقل، 2009م.

(31) محلية المناقل : 2015م، مرجع سابق.

(32) التقرير الصناعي لوزارة الصناعة :جمهورية السودان الصناعة مستقبل السودان،اعتمادًا على جداول النتائج النهائية للمسح الصناعي الشامل2005 (المجلد الثالي)،وزارة الصناعة، الخرطوم،2016، ص501.

الفصل العاشر

مدينة سواكن
(دراسة تاريخية تحليلية)

مدينة سواكن
(دراسة تاريخية تحليلية)

د. أماني بابكر إبراهيم سليمان
الأستاذ المساعد بقسم علم النفس- كلية التربية - جامعة غرب كردفان.

مقدمة:

تعتبر مدينة سواكن إحدى المدن الساحلية التي لها أهميتها الجغرافية والتاريخية والحضارية من بين مدن السواحل المتعددة. فالمدن الساحلية بصفة عامة هي مدن تقع على السواحل التي تطل على مياه المحيطات أو البحار، وتتأثر بشكل مباشر به من حيث المناخ، وعادات السكان وأنشطتهم. وتحتوي المدن الساحلية على عدد وافر من الموارد الطبيعية التي تتمثل في الثروة السمكية، والبترول، والغاز الطبيعي، والموارد الحيوانية، والموارد الزراعية، والسياحة، والنقل البحري، ويعمل سكانها بقطاع التجارة، والصناعة، والزراعة. [1]

وتضيف الباحثة أن المدن الساحلية تعتبر مضيفة للسواح بحكم موقعها الجغرافي الجاذب والذي يريح النفس ويبهجها في الغالب باعتباره متنفس قوي للانفعالات السالبة وضغوطات الحياة، ومن أمثلة المدن الساحلية في الوطن العربي مدينة جدة بالسعودية، ومدينة بورتسودان ومدينة سواكن بالسودان، ومدينة الإسكندرية بمصر، ومدينة الرباط بالمغرب، ومدينة نواكشوط بموريتانيا، ومدينة مقديشو بالصومال وغيرها.

لمحة تاريخية عن مدينة سواكن:

لا يعرف تاريخ سواكن بالضبط في العصور الخالية إلا تلك الخرافة القديمة، وهي أنها كانت كسائر الجزر التي في البحر الأحمر خالية من السكان إلا الجن. [2]

سواكن لغاً:

سواكن لفظ أقرب إلى السكنى بمعنى الإقامة، سكن يسكن ساكن سواكن، أو

بمعنى الهدوء السكون والسكينة، إلا أن هناك عدة افتراضات وروايات يتداولها الكتاب في معرفة معنى الاسم ومصدره وسبب تسمية المدينة به، ومنها ما ذهب إليه الكاتب المصري الشاطر البصيلي الذي ذكر بأن اللفظ سواكن من أصل مصري قديم وهو «شواخن» ويعنى محطة - شوا. وشوا Shewa هو اسم لمملكة إسلامية بالحبشة في سنة 1285 م، وحسب رأيه فإن سبب تحول كلمة «شواخن» إلى شواكن أو سواكن، يعود إلى خلو لغات البجا من لفظ الخاء والذي غالبًا ما يقلب إلى كاف أو هاء في بعض لهجاتها. [3]

وهناك من يعتقد بأن الاسم عربي الأصل ومشتق من كلمة «السوق» ويستدل على ذلك بوصول بعض العناصر العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية من الضفة المقابلة لموقع سواكن على البحر الأحمر واستقروا فيه واختلطوا بسكانه المحليين. وتطور الموقع بفضل خدمة التجارة وعرف باسم «سواقٍ» أو أسواق والذي حرف فيما بعد إلى سواكن، ويدعمون هذا الرأي بالاسم الذي يطلقه البجا على سواكن وهو (اوسوك) ومعناه باللغة البجاوية السوق. [4].

الموقع والطبوغرافيا:

تقع سواكن على خط عرض 19,5 درجة شمال خط الاستواء وخط طول 37,5 درجة شرق. واشتهرت قديمًا وكانت تمر بها الرحلات بعد عبور الموانئ المجاورة له مثل ميناء القنفذة وميناء جدة وميناء الليث وميناء ينبع في السعودية وميناء القصير وميناء سفاجا في مصر. وكانت في الأصل جزيرة ثم توسعت إلى الساحل وما جاوره فغدت مدينة سواكن تضم الجزيرة والساحل.

أما طبوغرافيًا فبنيت سواكن فوق جزيرة مسطحة الأرض بيضاوية الشكل طولها حوالي 750 مترًا وعرضها أقل من 500 متر داخل شرم ضيق يفتح على البحر الأحمر ومتصل بالبر بطريق ممهد، ويتكون الساحل من بحيرات مستنقعات وشعاب مرجانية وسهول تحدها تلال من الداخل تغطيها أحراش متفرقة وخيران (أودية موسمية) وفي الخريف توفر الأمطار كميات من المياه. [5].

مناخ سواكن:

في الشتاء تهب رياح موسمية ينتج عنها نسيم بارد وأمطار، ولكن في الصيف تتغير أحوال الطقس ويكون أقرب إلى جو المحيط الهندي الصيفي الحار المشبع بالرطوبة وتكون الرياح مصحوبة بعواصف ترابية تهب من الصحراء [6].

نشأة سواكن تاريخيًا:

لا يعرف تاريخ محدد تأسست فيه سواكن، ولكن الكثير من الشواهد تدل على أن الجزيرة كانت مأهولة منذ تاريخ موغل في القدم، واشتهرت بعد ظهور الإسلام وازدادت شهرة بعد أن استطاعت أن تحل محل عيذاب كمنفذ تجاري لممالك السودان القديمة وميناء إفريقيا الأول للحجيج.

العصور القديمة:

يشير بعض المؤرخين إلى تزامن اكتشاف سواكن مع النشاط البحري والتجاري الذي مارسه اليونانيون والبطالسة إبّان العهد البطلمي. كما يعتقد بأن قدماء المصريين منذ عهد الأسرة الخامسة كانوا يمرون عبر سواكن ويستخدمونها كمحطة في طريقهم إلى بلاد بنط (الصومال الحالية) في القرن الإفريقي لجلب الذهب واللبان.

ومن المرجح أن سواكن كانت ميناء الرجاء الصالح، ليمين Evangelis Portus Limen الذي كان يقصده بطليموس، ذلك لأن الوصف الذي أورده عن ذلك الميناء الواقع على البحر الأحمر ينطبق على سواكن من حيث وقوعه على جزيرة مستديرة بقطر 1.5 كيلومتر بمقياس اليوم في نهاية لسان بحري إلى داخل البر، وأشار بطليموس في وصفه إلى الفيلة التي تم جلبها إلى المدينة من غابات وسط السودان، إلا أن الميناء الرئيسي على البحر الأحمر حسب البطالسة والرومان لم يكن في سواكن، بل هو ميناء برنيس. وكان البحر الأحمر يشكل نقطة وصل مهم للرومان والبيزنطيين تربطهم بالمحيط الهندي(7).

العصور العربية الإسلامية:

خلال القرن الثامن الميلادي ورد اسم سواكن لأول مرة في مؤلفات الرحالة وعلماء الجغرافية والتاريخ العرب كمدينة مر عبرها بعض أفراد أسرة بني أمية من قبيلة قريش المتجهين إلى مصر هربًا من العباسيين بعد مقتل الخليفة الأموي مروان بن محمد سنة 750 ميلادية. فقد ذكر المقريزي «في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»(8).

بأن ثمة «طريق من النيل إلى سواكن وباضع ودهلك وغيرها من جزائر البحر الأحمر نجا منه بنو أمية الهاربين عندما جدّ اتباع العباسيين في ملاحقتهم». وهذا يعني بأن سواكن عاصرت كلًا من مدينتي باضع وعيذاب خلال فترة امتدت إلى خمسة قرون: من القرن الثامن

الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي. وتؤكد مراجع أخرى عربية قديمة على أن سواكن استقبلت افواجًا من الأسر العربية خلال القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر بغرض الاستقرار فيها. ويبدو أنها ظلت ومنذ بداية الهجرات العربية وحتى سنة 1255 م قرية صغيرة تقطنها جماعات من الهمج تقوم بنشاط بحري محدود يتمثل في خدمة مرور تجارة لشمال ووسط السودان إلى الأسواق الخارجية. ووفقًا للمقريزي وابن سليم الأسواني بأن سواكن كانت مرتبطة بمراكز تجميع التجارة على النيل وكانت تشكل منفذً بحريًا للدويلات المسيحية في السودان تمر من خلالها تجارتهم مع العالم الخارجي وكان يمر عبرها الحجاج المسيحيون في طريقهم إلى الأراضي المقدسة في أورشليم (بيت المقدس) حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي[9].

أدى انهيار الدولة العباسية في العراق ونمو الدولة الفاطمية في مصر إلى تغيير في هذا الوضع فأصبح ميناءا القصير وعيذاب أهم مركزين للتجارة مع الهند. وورد اسم سواكن في كتابات الهمداني في القرن العاشر، الذي أشار إلى وجود بلدة قديمة نشأت كمستوطنة صغيرة للبجا ثم توسعت بعدما تم التخلي عن ميناء باضع (مصوع في إرتريا الحالية) في جنوبها. وقد أدت الحروب الصليبية والغزو المغولي في الشرق الأدنى إلى تحول التجارة إلى المنطقة وازدهارها فيها. وفي القرن الثاني عشر الميلادي غزا الصليبيون سواحل البحر الأحمر وقاموا بتخريب ونهب المدن الساحلية الواقعة عليه ومن بينها سواكن، وجرت عدة معارك بينهم وبين سكان تلك المناطق.

وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر وصل بعض التجار من مدينة البندقية الإيطالية إلى سواكن وباضع.

وفي سنة 1264 م، تعرضت سواكن لهجوم من قبل المماليك بدعم من حاكم عيذاب عندما أثار أحد حكامها، ويدعى علاء الدين الأسبعاني غضب السلطان المملوكي بيبرس باستيلائه على بضائع تجار لقوا حتفهم في البحر في مكان قريب من المدينة وكانوا رعايا للسلطان بيبرس الذي أرسل حملة تأديبية ضد أمير سواكن علاء الدين بقيادة حاكم قوص المصري تدعمه 50 سفينة من عيذاب، فاضطر الأسبعاني الذي كانت له صلات بأعيان مدينتي جدة ومكة المكرمة إلى الفرار. وقد تحدث عنه ابن بطوطة.

وهناك من يعتقد بأن الهجوم الذي شنه الملك النوبي داؤود على عيذاب في وقت لاحق بعد بضع سنوات كان ردًا على تعاونها مع بيبرس ضد سواكن. وكان العداء والتنافس

بين سواكن وعيذاب كبيرًا لفترات طويلة. وبعد الدمار الذي تعرضت له عيذاب على يد السلطان المملوكي استقبلت سواكن العيذابيين الذين نزحوا إليها لاستئناف حياتهم في خدمة التجارة والملاحة فوصلت إليها السفن التجارية الكبيرة من الهند والصين، وأصبحت سواكن ميناء السودان الأول واشتهرت وازدهرت، إلا أن تلك الحال قد تغيّرت بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا الجنوبية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي واتجاه عدد كبير من السفن التجارية الأوروبية نحوه واستخدامه طريقًا رئيسيًا نحو شبه الجزيرة الهندية والشرق الأقصى حتى غدت منافسًا خطيرًا لجميع الطرق التي تمر عبرها التجارة بين الشرق والغرب في تلك الأزمنة، ومن ضمنها طريق البحر الأحمر[10].

الحكم العثماني: سليم الأول:

وبظهور الأتراك العثمانيين كقوة دولية كبرى وتمكنهم من بسط سيطرتهم على مناطق في آسيا وإفريقيا وأوروبا ومن بينها الشريط الساحلي للبحر الأحمر، غزا السلطان العثماني سليم الأول مدينة سواكن في سنة 1517 م بعد احتلال قصير من قبل الفونج، وأصبحت المدينة مقرًا لحاكم مديرية الحبشة العثمانية، والتي شملت مدن حرقيقو ومصوع في إرتريا الحالية. وفي عهد السلطان سليم العثماني ضمت سواكن لولاية الحجاز العثمانية، فيما استمر تجار سواكن في تعاملهم مع السلطنة الزرقاء حيث كان الفونج يقومون بتجميع السلع والمنتجات من أواسط السودان ويوجهون القوافل التجارية إلى سواكن عبر سنار وكسلا ليتم تسويقها والتبادل عليها هناك مع التجار الأجانب ومن ثم شحنها تحت إشراف العثمانيين، إلا أن المدينة تدهورت تدهورًا كبيرًا تحت ظل الحكم العثماني بسبب سياسة التضييق التي مارسها العثمانيون فيما بعد على التجار الأوروبيين للحد من نشاطهم التجاري عبر طريق البحر الأحمر في محاولة لمحاربة الأطماع الأوروبية في المنطقة.

وفي سنة 1540 م، حدث خلاف بين قائد الأسطول البرتغالي استيفانو دا غاما وحاكم سواكن وكانت السفن البرتغالية في طريقها من جيب جوا البرتغالي بالهند إلى خليج السويس بغرض مهاجمته والاستيلاء عليه، وعندما وصلت إلى سواكن أحدثت دمارًا على بنايات المدينة ونهبتها الأمر الذي أثار غضب العثمانيين فاصطدموا مع البرتغاليين.

وفي عام 1629 م، أصبحت سواكن قاعدة عسكرية للحملة العثمانية على اليمن.

وبوصول أسرة محمد علي باشا إلى سدة الحكم في مصر بعد بضع سنوات قليلة من بداية القرن التاسع عشر الميلادي وما تبع ذلك من أطماع توسعية لها شملت حدود مصر الجنوبية واحتلال السودان في عام 1821 م، دخلت سواكن مرحلة جديدة في تاريخها ولم تعترف الامبراطورية العثمانية بحق محمد علي في ضم سواكن إلى ملكه، وقامت بتأجيرها له مقابل مبلغ مالي يدفعه سنويًا. وبعد وفاة محمد علي سنة 1849 عادت سواكن للدولة العثمانية وكان مواطن سواكن يعتبر سواكني عثماني[11].

وفي عهد الخديوي إسماعيل باشا ضمت سواكن للسودان الإنجليزي المصري بعد أن تعهد الخديوي إسماعيل بدفع مبلغ 7.500 جنيه مصري لوالي جدة مقابل تنازل السلطان العثماني عن سواكن. وصدر فرمان عثماني بذلك. وفي مايو / أيار 1865 م تنازلت السلطة العثمانية رسميًا عن سواكن ضمن مناطق أخرى على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن مقابل جزية سنوية قدرها 15 ألف جنيه مصري، حاول المصريون الأتراك تطوير سواكن لتقوم بدورها كمنفذ بحري للسودان، إلا أن سياسة محمد علي باشا التجارية إزاء السودان لم تساعد كثيرًا على ذلك، فقد عمد توجيه تجارة السودان نحو مصر وأصبحت السلع السودانية المطلوبة من قبل الأسواق الأوروبية تمر عبر طريق مصر وموانئها على ساحل البحر الأبيض المتوسط، لكن افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية في عام 1869م، من ناحية أخرى، أنعش الطريق البحري المار عبر البحر الأحمر الذي ازدحم بحركة السفن التجارية مما أدى إلى إعادة الحيوية إلى موانئ المنطقة ومن بينها سواكن[12].

سعى الخديوي إسماعيل باشا إلى تطوير المدينة مرة أخرى فبنى فيها منازل جديدة ومصانع ومساجد ومستشفيات وحتى كنيسة لأقباط المهجر. فعادت إليها السفن الأوروبية وجرت عمليات تبادل السلع السودانية المختلفة كالتمور والجلود والقطن والصمغ العربي وسن الفيل وريش النعام وشمع العسل والسمن بمنتجات الشرق والغرب ومن بينها التوابل والزجاج والورق والمنسوجات، وازداد عدد سكان المدينة من البجا والعرب وغيرهم من التجار القادمين من مختلف أنحاء الدولة العثمانية ومصر واليونان، واليمن وأرمينيا والهند. وعملت فيها شركات بحرية دولية مثل «شركة الهند الشرقية الإنجليزية»، و«الشركة الخديوية» و«وشركة ملاحة رباطين» الإيطالية. كما حاول المصريون الأتراك ربط المدينة

ببقية مناطق الإنتاج في السودان بخطوط السكك الحديدية، إلا أن الحرب الإثيوبية المصرية واندلاع الثورة المهدية ضد الحكم البريطاني أدت إلى شلّ حركة العمران في المدينة وإفشال محاولة تطويرها. فقد كانت قوات عثمان دقنة، أحد أمراء المهدية، تهاجم مواقع تشييد الخط من حين لآخر ثم قامت بفرض حصار على المدينة أدى إلى نهاية عهدها المزدهر. وبحلول القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي وجد الرحالة السويسري يوهان لودفيج بوركهارت الذي زار المدينة بأن ثلثي المنازل كانت في خراب.[13]

الحكم الثنائي:

اتخذ اللورد كتشنر من سواكن مقرًا لقواته ونجا من الحصار الطويل الذي فرضته جيوش المهدية بقيادة الأمير عثمان دقنة، بعد نجاح حملة استرداد السودان في سنة 1899 م.

بدأ البريطانيون في دراسة فكرة تشييد ميناء بحري جديد في السودان بعد أن أشار الحاكم الإنجليزي لشرق السودان إلى عدم ملاءمة سواكن لاستقبال السفن الكبيرة واقترح البحث عن موقع آخر على الساحل السوداني يمكن أن تدخل عليه السفن ليلًا على ضوء فنار يقام في موقع قريب.

تم تكليف أحد الخبراء في عام 1904 م بتقديم تقرير عن المبالغ اللازمة لتطهير ميناء سواكن وإزالة الشعب المرجانية. وأشار تقرير الخبير إلى أن المرابط والمياه العميقة حول جزيرة سواكن لا تتحمل إلا عددًا محدودًا من السفن وإن من الأفضل بناء ميناء جديد في شرم الشيخ برغوث الواقع شمال سواكن وتزويده بأجهزة حديثة وإعداده فنيًا لاستيعاب حركة الملاحة ومرور التجارة الخارجية.

وهكذا تقرر بناء ميناء جديد للسودان في مرسى الشيخ برغوث أطلق عليه اسم بورتسودان أي ميناء السودان بدلًا من الانخراط في إعادة بناء واسعة النطاق في سواكن. وبحلول عام 1922، غادرت آخر شركة بحرية ميناء سواكن إلى الميناء الجديد في بورتسودان.[14]

سواكن بعد الاستقلال:

تراجع دور سواكن كميناء تجاري بحري لحساب بورتسودان بعد أن هجرها معظم سكانها إلى المدينة الجديدة وخيم الخراب على معظم منازلها التي يسودها الطابع

المعماري الإسلامي والعربي القديم وأصبحت موقعًا من المواقع الأثرية القديمة في السودان.

وبنهاية ثمانينيات القرن الماضي قررت الحكومة السودانية افتتاح ميناء عرف باسم ميناء عثمان دقنة لخدمة نقل الحجيج المتوجه إلى الأراضي المقدسة بالمملكة العربية السعودية مما أعاد الحياة إلى سواكن مجددًا.(15).

العمران:

سواكن أول مدينة سودانية عمرت بالمباني العالية والمباني الثابتة، فكانت قصورها الشامخة لا مثيل لها في المنطقة، وكانت مدينة التجارة والمال على البحر الأحمر والشرق العربي، فكانت تمون بلاد الحجاز، وتهامة بالحبوب، واللحوم، والسمن.

بنيت المدينة القديمة على جزيرة مرجانية ويحيط بها سور فتحت به خمس بوابات لمراقبة الداخلين والخارجين أشهرها «بوابة كتشنر» (باب شرق السودان)، ويربط الجزيرة بالساحل جسر وعلى بعد ميلين فأكثر من الجزيرة توجد ثمانية أبراج للمراقبة. تمتاز مباني سواكن بأنها مبنية من الحجارة المرجانية وبجمال النقوش والتصميم والمظهر العام ولقد زار سواكن كثير من الرحالة عبر تاريخها بدءًا بابن بطوطة 1324 م، والكثير من الرحالة الأوربيين مثل صامويل بيكر، وجنكر، واسترجل سياد ليمنر، ولقد زارها الكثير من القادة والزعماء عبر تاريخها، فلقد زارها خديوي مصر عباس حلمي الثاني، وزارها اللورد ألنبي والكثير من قادة الغرب.[16].

السياحة:

سواكن مدينة تاريخية قديمة تضم منطقة غنية بآثار منازل القرون الوسطى مبنية من الحجارة المرجانية ومزدانة بالنقوش والزخارف الخشبية. ومن معالم سواكن السياحية.

الجزر:

- جزيرة سواكن وتضم المدينة الأثرية.
- جزيرة الحجر الصحي على بعد 5.8 كيلومتر من سواكن.
- جزيرة الرمال وتبعد حوالي 32 كيلومترًا.

الشعاب:

- شعاب داموث وتبعد 21 كيلومترًا من وسط سواكن

- شعاب المدخل
- شعاب قاض ايتود
- شعاب بيرنس

الحصون والبوابات:

تضم منطقة القيف بقايا السور والبوابات والحصون ومنها:

- بوابة كتشنر (بوابة شرق السودان حاليًا)
- حصن مهاجر
- حصن أبو الهول
- حصن طوكر
- حصن السوداني
- حصن الأنصاري
- حصن اليمني.[17].

المتاحف:

متحف هداب:

هو أكبر وأبرز متحف في شرق السودان يقع في مدينة سواكن وقد تم إنشاؤه بجهد شخصي من قبل محمد نور هداب وهو أحد أعيان مدينة سواكن. ويحتوي المتحف على مقتنيات تاريخية لعصور مختلفة لمدينة سواكن من بينها صور عامة وقطع أثاث وأزياء ونموذج لسكن وغيرها من الأعمال الفولكلورية لسكان سواكن بشكل خاص وسكان شرق السودان بصفة عامة وتوجد به مقتنيات للأمير عثمان دقنة أحد قادة الثورة المهدية في شرق السودان ومن بينها الزي الذي كان يرتديه إلى جانب بعض وثائق تلك المرحلة(18).

الآثار:

وتضم أنقاض المباني بما فيها منازل السكنى كقصر الشناوي ومنزل خورشيد والمؤسسات العامة مثل مبنى الجمارك ومبنى البنك الأهلي المصري والمسجد الشافعي وغيرها.

التعداد السكاني:

السنة	عدد السكان
1973	5.895 (تعداد)
1983	18.030(تعداد)
2010	44.521 (تقديرات)

.(19)

النقل:

وجدت حافلات يومية من مختلف الأنواع والأحجام بين بورتسودان وسواكن. ويمكن زيارة سواكن والعودة في نفس اليوم. هناك خط للسكة الحديد بين سواكن وبورتسودان تم بناؤه في عام 1905، ولكنه لا يعمل الآن.

يوجد ميناء جديد وهو ميناء الأمير عثمان دقنة تم افتتاحه في عام 1991 م، لاستقبال سفن الركاب والبضائع، ويستخدم في نقل الحجيج إلى الأراضي المقدسة بالمملكة العربية السعودية.

ميناء الأمير عثمان دقنه بسواكن:

تسع طاقة الميناء لمعالجة مليون ونصف مليون طن سنويًا، وتبلغ الطاقة الاستيعابية الفعلية 323 مليون طن في العام. ويبلغ طول المدخل حوالي 90 مترًا، وتبلغ مساحة أماكن التخزين العاملة 14400 متر مربع والساحات الاحتياطية 27 ألف متر مربع وعدد المرابط عشرة وبالميناء مستودع للبضائع والأمتعة وصالة مغادرة للركاب وأخرى للوصول تتوفر فيهما كافة الخدمات. (20).

الخاتمة:

أن مدينة سواكن إحدى مدن السواحل التي خلدها التاريخ وصارت مرتبطة بالحضارة والآثار والسياحة، وهي من أقدم المدن السودانية إذ تميزت بموقعها الجغرافي المميز. وقد تناولت الدراسة الحالية نشأتها وتطورها تاريخيًا وحضاريًا عبر العصور القديمة مرورًا بالعصور العربية الإسلامية بالتركيز على العهد العثماني، ثم توضيح تطورها إبان الحكم الثنائي في السودان ثم ما بعد استقلال السودان متناولة أهم الملامح التاريخية والحضارية والعمران والسياحة والآثار.

الهوامش:

(1) المدن الساحليةhttps://www.mawdoo3.com

(2) محمد صالح صرار (1981م) تاريخ سواكن والبحر الأحمر، ط1, الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ص24

(3) المدن الساحليةhttps://www.mawdoo3.com

(4) G.W.B. Huntingford, The historical geography of Ethiopia from the first century AD to 1704, (Oxford University Press: 1989)، p. 76

(5) Saudi Aramco World: Suakin: Time and Tideنسخة محفوظة 01 يناير 2015 على موقع واي باك https://archive.aramcoworld.com/issue/199304/suakin-time.and.tide.htm رابط الموقع:

(6) موقع رئاسة الجمهورية السودانية رابط الموقع: https://www.presidency.gov.sd/states-of-sudan/Red-Sea-State

(7) "معلومات عن المناخ سواكن، السودان". Weatherbase7- مؤرشف من الأصل في 8 ديسمبر 2019 رابط الموقع: https://web.archive.org/web/20191208090002/http://www.weatherbase.com/weather/weather.php3?s=626520&refer=wikipedia

(8) Saudi Aramco World: Suakin: Time and Tideنسخة محفوظة 01 يناير 2015 على موقع واي باك (مرجع سابق)

(9) أبي العباس بن عبد القادر المقريزي (1998م) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزء1 , ط1, دار الكتب العلمية، عمان، ص 119

(10) "تاريخ مدينة سواكن". بكري هاشم الخليفة 13 مارس 2013 رابط الموقع: https://web.archive.org/web/20130313020719/http://nilenet.8k.com/sawakinhistory.htm

(11) 11-Dahl, Gudrun & al: "Precolonial Beja: A Periphery at the Crossroads." Nordic Journal of African Studies 15(4): 473–498

2006)). رابط الورقة العلمية: http://www.njas.helsinki.fi/pdf-files/vol15num4/hjort.pdf

(12) - مكي شبيكة(1980) تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، ط2، دار الثقافة، بيروت، ص. 542

(13) تاريخ مدينة سواكن". بكري هاشم الخليفة 13 مارس 2013(مرجع سابق)

(14) Saudi Aramco World: Suakin: Time and Tideنسخة محفوظة 01 يناير 2015 على موقع واي باك (مرجع سابق)

(15) المرجع السابق

(16) - المرجع السابق

(17) Suakin Island / Suakin Island, (SU31), Sudan, Africa نسخة محفوظة 19 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين. رابط الموقع:http://travelingluck.com/Africa/Sudan/(SU31)/_366772_Suakin+Island.html Account Suspended نسخة محفوظة 04 فبراير 2015 على موقع واي باك مشين

(18) رابط الموقع: http://www.discoverrs.com/what-you-will-discover/121-hadab.html

(19) World Gazetteer: Sudan: Die wichtigsten Orte mit Statistiken zu ihrer Bevölkerung www.aspf.org.eg -

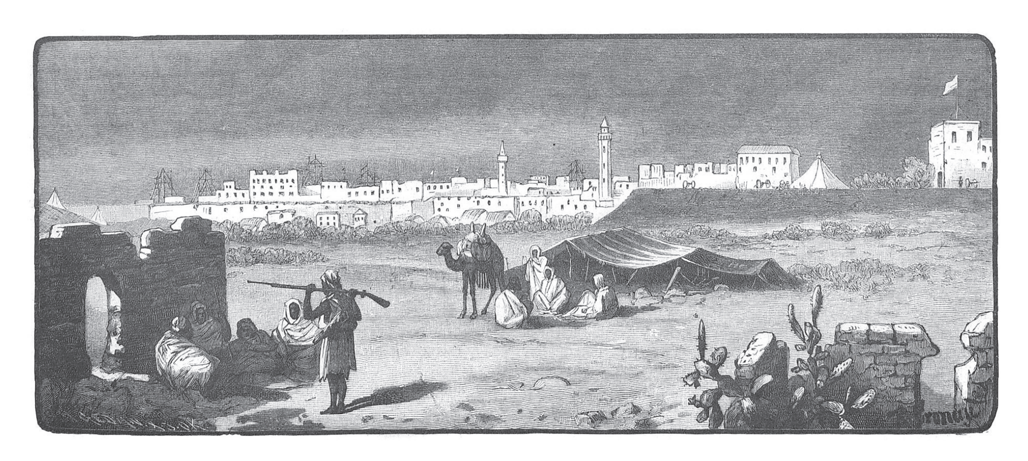
(20) هيئة الموانئ البحرية السودانية". مؤرشف من الأصل في 28 يناير 201320 -



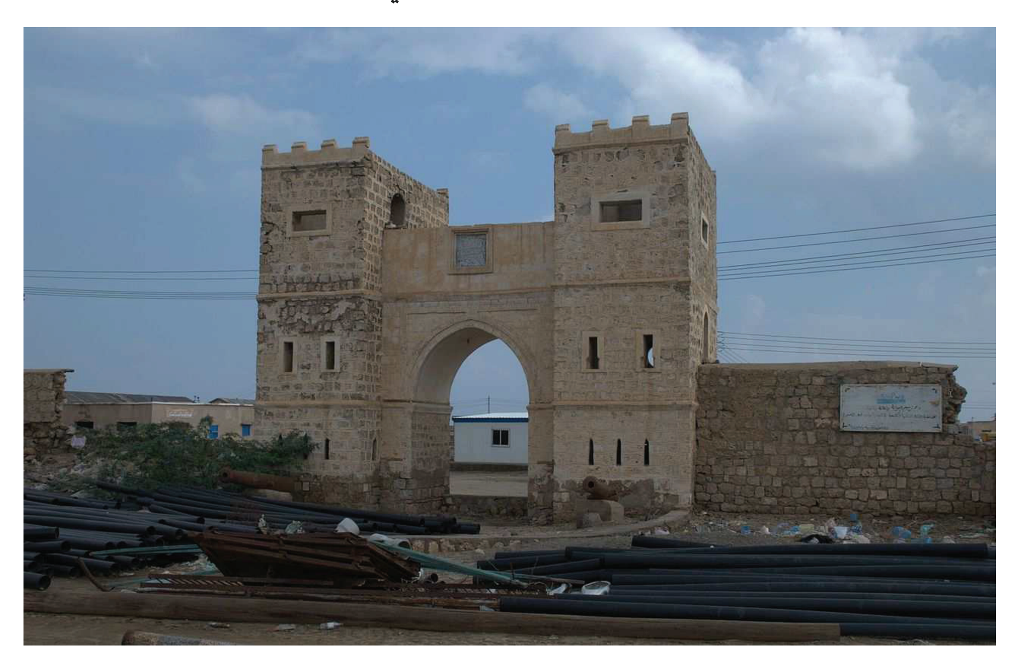
شارع في سواكن،   ومسجد في الخلفية



سواكن عام 1928



لوحة لخيمة محلية خارج سواكن في سنة 1884



بوابة كتشنر وجزء من بقايا السور القديم



آثار مبنى الجمارك



آثار مبنى البنك الأهلي المصري



مئذنة المسجد الشافعي



محراب المسجد الشافعي



جزيرة سواكن